في بلاط ملك إفريقي



تأليف

إيفا ل. ر. ميروفتش

ترجمة: الدكتور زاهر رياض

راجعه: الدكتور عبد العزيز عبد القادر كامل



الألف كتاب ٦٣٣

فى بلاط ملك إفريقى

بإشراف
الإدارة العامة للثقافة
بوزارة التعليم العالى

تصدر هذه السلسلة بمعاونة
المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

الألف كتاب ٦٣٣

فى بلاط ملك إفريقى

تأليف
إيفا ل. ر. ميروفتش

ترجمه
الدكتور زاهر رياض

راجعه
الدكتور عبد العزيز عبد القادر كامل

الناشر
مؤسسة سجل العرب
٢٦ شارع شريف باشا - القاهرة
تليفون ٤٩٩٩٩ ٥٢٣٠٩

١٩٦٧

هذه ترجمة كتاب :

AT THE COURT OF AN AFRICAN KING

تأليف :

EVA L. R. MEROWITZ

محتويات الكتاب

	صفحة
مقدمة المراجع	٩
تمهيـــد	١٧
الفصـل الأول ـ تكيمان (١٩٤٦ ــ ١٩٤٩)	٢٩
الفصل الثـانى ـ اكتوبر سنة ١٩٤٩	٥٥
الفصل الثـالث ــ نوفمبر	١١١
الفصل الرابع ــ ديسمبر	١٦٧
الفصل الخامس ــ يناير	١٧٧
الفصل السادس ــ فبراير	٢٠١
الفصل السابع ــ مارس	٢٢٧
خاتمـــة	٢٥٣
تقـــويم	٢٦٥

مقدمة المراجع

(١)

الكتاب الذى بين أيدينا ، يوميات كتبتها السيدة « إيفا ميروفتش » عن صراع دار بين ملك « بونو - تكيمان » التى تحمل الآن اسم « تكيمان - برونج » وبين « الأشانتى » . وكان هدفه أن تستخلص « بونو - تكيمان » تسع قرى اغتصبتها منها « الأشانتى » .

ومسرح الحوادث هو الجزء الشمالى من جمهورية « غانة » الحالية . وكانت الكاتبة فى صف ملك « بونو - تكيمان » : النانا أكومفى أمياو الثالث .

ومن المنتظر فى كتاب يقوم على تسجيل يوميات ألا يعنى بالدراسة العلمية بمعناها الدقيق ، بقدر ما يعنى بإعطاء صورة نابضة بالحياة للأحداث التى عاشتها الكاتبة . أما الدراسة العلمية فمجالها كتب أخرى للكاتبة عن حضارات « الأكان » فى غانة .

ومما يجعل لكتابات السيدة « إيفا ميروفتش » أهمية كبيرة للقارىء العربى ، أنها عنيت بدراسة الروابط الحضارية بين مصر القديمة وحضارة الأكان فى غانة ، ولها فى هذا الموضوع أربعة كتب (١) وعدد من المقالات العلمية والبحوث .

وهذا الخط الفكرى ثارت من حوله مناقشات فكرية طويلة ، فهناك كتاب مثل سلجمان وميك وهوجبن عنوا بهذه الروابط وحاولوا تأصيلها وإبراز جوانبها ،

---

(١) (أ) The Sacred State of the Akan

(ب) The Akan Traditions of Origin

(جـ) The Akan of Ghana, their ancient Beliefs

(د) The Divine Kingship in Ghana and Ancient Egypt .

بينما نجد مؤلفات أخرى لا تؤكد هذه الروابط بل تحاول التقليل من شأنها والتهوين من أمرها ، ولعل من أحدث الكتب الكبيرة التى نرى فيها هذا الاتجاه كتاب الأستاذ هرز كوفتش (١) .

وفى السنوات الأخيرة يكتسب اتجاه الروابط الحضارية عبر الصحراء أنصاراً ، له من الإفريقيين ونفر من غير الإفريقيين . والهدف الكبير — من وراء ذلك — إثبات أصالة هذه الروابط الحضارية وعمقها التاريخى وتعدد الطرق التى سلكتها المؤثرات سواء بين الشرق والغرب أو بين الشمال والجنوب فى إفريقيا . وهو الاتجاه الذى أخذت به لجنة الموسوعة الإفريقية ، التى يتمثل فيها الآن أعظم جهد على بعرض الحضارة الإفريقية على مستوى القارة . ولقد لقيت الموسوعة الإفريقية تيارات فكرية متباينة يرمى بعضها إلى أن تقتصر على إفريقيا جنوب الصحراء ، وتتوسع تيارات أخرى لتشمل كل الإفريقيين وأصحاب الأصول الإفريقية فى خارج القارة ، ولكن تغلب اتجاه متزن يستهدف بأن تكون القارة بمدلولها الجغرافى ، الأساس فى الكتابة . واعتمدت أمانتها الدائمة الرأى القائل بقوة الروابط الحضارية عبر الصحراء وألا تعتبر الصحراء حاجزاً حضارياً فى أفريقيا .

من هذه الزاوية تبدو أهمية الكتب التى تعنى بهذه الروابط ، وتبدو عناية المكتبة العربية بإنتاج الباحثين المعنيين بهذه الروابط . . وتبدو — بالتالى — أهمية الكتاب الذى بين أيدينا للقارئ العربى .

(٢)

إلا أن كتب اليوميات — بطبيعتها — لا تلتزم بالبحث الدقيق وتحرى الحقيقة الكاملة .. ذلك لأن الباحث يسجل فيها مشاهدات ، منها مايدخل فى مجال تخصصه ، ومنها مايراه كمسافر عادى غير متخصص .. ثم هو مقيد بخط السير الذى اتبعه

(١) Herskovits : The Human Factor in Changing Africa . (1962) .

فى رحلته ،وفى هذه الناحية لا تختلف كتب الذكرات أواليوميات التاريخية عن كتب الرحلات الجغرافية : يجمعهما خط سير لايعطى صورة كاملة للحياة ولا للبيئة ، ويضع جنباً إلى جنب — حقائق أو مشاهدات تتباين أهميتها عظما وضآلة ، وأحكاماً تتباين درجتها أصالة وسطحية . ولكنها مع هذه الطبيعة لها حيويتها وتصويرها لنهر الحياة فى تدفقه وما يحمل من جواهر وأصداف !!..

ولقد أشرنا إلى مافى الكتاب من « جوهر » يتعلق بالروابط الحضارية بين مصر القديمة وغرب أفريقيا فلنشر أيضا إلى بعض مافيه من « أصداف » .

(ا) ذكرت فى رحلتها أنها لقيت أحد دعاة الأحمدية الهنود وأنها أعجبت بشخصيته . وأن الفرقة التى يتبعها ذلك الداعى تؤمن أن روح المسيح حلت فى محمد عليهما الصلاة و السلام،ومن أجل ذلك «يعبد» المسيح كما له (الفصل الخامس). وواضح أن هذا القول لاسند له من الإسلام . فالمسلم مأمور بأن يؤمن بالأنبياء جميعاً،«آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لانفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير» (البقرة : ٢٨٥) « نؤمن » بهم جميعاً رسلا من عند الله تبارك وتعالى ، ماحلت روح واحد منهم فى أحد ، لا « نعبد » أحدا منهم ولكن «نؤمن» بهم . هذه هى العقيدة الإسلامية فى بساطتها ووضوحها دون إدخال أفكار الحلول والتناسخ التى تأثر بها بعض المسلمين فى شبه القارة الهندية وانحدرت إليهم من فلسفات الهند .

(ب) ومع إعجابها بالداعية الأحمدى فلم يفتها أن تصف أبناء المسلمين بالقذارة وأرجعت هذا إلى سوء معاملة أمهاتهم لهم ، ثم أرجعت سوء المعاملة إلى نظام الحجاب الإسلامى وفضلت عليهم أبناء الوثنيين !!.. ويكفى فى هذا أن نحيل إلى المقولة التى ذكرها سير توماس أرنولد عن أخلاق المسلمين فى غرب إفريقيا فى كتابه القيم « الدعوة إلى الإسلام » وقد أضفنا حاشية مستفيضة فى هذا الموضوع عندما عرضت له الكاتبة فى الفصل السابع .

(ج) وقد يكون من حق الكاتبة أن تتصور نفسها كما تشاء ، وأن ترى في يقظتها ومنامها ماتشاء من رؤى .. هي ترى نفسها أحيانا كأنها الملكة فكتوريا وأنها تقود سفينة مملكة بونو تكيمان وسط الصخور إلى بر الأمان !!.. وهى أحياناً تحمل .. عبء الرجل الأبيض فى إقامة العدل والصراع حول مشكلة القرى التسع .. ولكن من حق إفريقيا أيضاً أن تقيم هذا الصراع كله . . وأن لا يخرج عن صراع مرحلى تمر القارة خلاله من النظام القبلى إلى النظام القومى الذى تفنى فيه الأوضاع القبلية فى بوتقة القومية تمهيداً لتعاون إفريقى على مستوى القارة تبدو فيه الحقيقة الكبرى — المصير الإفريقى — الذى تذوب فيه مجموعة ضخمة من الحقوق الصغيرة ، من نماذجها مشكلات القرى التسع . ونحن جميعاً نعلم مدى « احترام » بريطانيا للمعاهدات والخطابات الرسمية . وحل مشكلة القرى التسع فى الواقع ، بل مشكلة النزاع بين بونو تكيمان — والأشانتى أصبح ممكناً ، على أساس أكثر سلامة وقوة ، عندما تولى الإفريقيون حكم بلادهم فى غانة .

ومن هذه الزاوية تبدو منزلة الكتاب ، كصورة من صور الصراع القبلى الذى تحاول القارة اجتيازه إلى كيانات أوسع وأرحب .

* * *

يبقى بعد هذا أن أسجل بالتقدير مابذله الزميل الدكتور زاهر رياض من جهد فى الترجمة ، ومحافظة أمينة على نص الكتاب ، وأرجو أن تيسر السبل أمام ترجمة أعمال السيدة «إيفا ميروفتش» الأكثر اتصالا بالروابط الحضارية ، لتلقى أضواء أقوى على ماض حى ، يؤكد وحدة القارة الإفريقية ، ويحفز أبناءها إلى مزيد من الجهد نحو مجتمع إفريقى وإنسانى أفضل .

١٩٦٥/١٢/٣٠

عبد العزيز كامل

مقدمة المؤلفة

كتبت هذا الكتاب من أجل تخليد الجهاد البطولى الذى قام به الملك «أ كومفى امياو الثالث Nana Akumfi Ameyaw III ملك دولة بونو-تكيمان — Bono Tekyiman (وتسمى الآن تكيمان برونج Tekyiman-Brong) . وشعبه من أجل الاستقلال عن الأشانتى Ashanti واستعادته تسع قرى كانت قد اغتصبتها منهم دولة الأشانتى للمرة الثانية فى سنة ١٩٣٥ . وكان هذا الاغتصاب من دولة الأشانتى قد تأكد فى ذلك العام حين أرادت حكومة ساحل الذهب (١) — جرياً على سياسة الحكم غير المباشر التى كانت تتبعها فى حكم بعض مستعمراتها فى أفريقيا (٢) — أن تعيد إلى عالم الوجود مملكة الأشانتى كدولة عظيمة بخلق اتحاد دولة الأشانتى . وكان

---

(١) غانة الحالية .

(٢) كانت بريطانيا تحكم مستعمراتها باحدى طريقتين هما : الحكم غير المباشر والحكم المباشر ، أما الطريقة الأولى فهى أن تسند إلى السلطات المحلية العليا الإشراف على من دونهم من الحكام الوطنيين حيث يقومون بالإدارة وتكتفى هى بالإشراف على هذه السلطات العليا على أن لاتصدر قوانين أو أوامر من هذه السلطات العليا إلا بموافقة الحاكم العام . وعلى أن يكون إلى جانب السلطات الوسطى والصغرى موظفون بريطانيون يشرفون على تنفيذ ما يصدر إلى هذه السلطات من أوامر . ولا شك فى أن هؤلاء المشرفين البريطانيين ، ولو أن سلطتهم استشارية بحتة ، كانت كلمتهم هى العليا دائماً ، وقد اتبعت هذه الطريقة فى حكم كل من غانا ونيجيريا وأوغندا . أما طريقة الحكم المباشر فهى قيام الحاكم العام ومن معه من مجموعة الموظفين البريطانيين كباراً أو صغاراً بشئون الحكم فى كبرى الإدارات وصغراها ، ولا يتولى الموظفون الوطنيون إلا صغرى الوظائف ينفذون فيها ماتصدر إليهم من أوامر . وقد اتبعت هذه الطريقة فى حكم السودان وكينيا وتنجانيقا قبل استقلالها (المترجم)

هذا العمل يعنى إعادة جميع الدول التى كانت تابعة لملك الأشانتى إلى سيادته . وكانت تكيمان بونو إحداها .

وقد قابلت الملك أ كومفى اميـاو الثالث فى ربيع سنة ١٩٤٤ حين مررت مصادفة بمدينة تكيمان . وكـأن القدر هو الذى رتب تلك المقابلة لكلينا . لما ترتب عليها من آثار بعيدة المدى ، إذ تحققت آنذاك — بدهشه بالغة — من أنى قد وقفت على بقايا حضارة قديمة كانت على درجة كبيرة من التقدم . مثيرة لى إلى حد كبير من وجهات نظر عديدة ، إذ لم يكن الـكابتن راتارى R . Rattary الذى زار هذا الجزء من العـــالم قبل ذلك بعشرين سنة قد رأى هناك غير شعب فقير بدائى . هو شعب بونو تكيمان .

حقاً كان الفقر قد أذله نتيجة لسلسلة من النكبات نزلت به بعد أن هـــزم فى سنة ١٧٤٠ فأصبح من توابع الأشانتى .

وكنت قد عولت على أن أحصل على كل أساطير وتقاليد شعب بونو — تكيمان ، التى تتعلق بحضارتهم السابقة . وقد وعدونى بها إذا استطعت أن أساعدهم فى صراعهم ضد الأشانتى وحكومة ساحل الذهب البريطانية . وتأهبت لمساعدتهم بعد أن تبينت بنفسى عدالة قضيتهم . ولم أكن وقتذاك قد تبينت طريقاً واضحاً فى هذا الأمر . إذ كنت فى ذلك الوقت أعمل مشرفة فنية فى كلية أشيموتا Achimota بالقرب من أكرا Accra وكان على أن أعود إلى هناك لأصحب زوجى إلى نيجيريا ثم أذهب إلى جنوب أفريقيا خلال الإجازة . وفى فبراير سنة ١٩٤٥ ذهبت إلى لندن وهناك مات زوجى .

أقدم شكرى، إلى المستر هول Hall (وهو اليوم سير نويل هول) الذى قابلته خلال الحرب حين كان يعمل مستشاراً للتنمية للوزير البريطانى المقيم فى غرب أفريقيا والذى تحدثت إليه عن حضارة بونو ـ تكيمان القديمة . فكان أن حصلت على منحة

دراسية من مؤسسة تنمية المستعمرات (١) . فكان هـذا هو الذى مكننى من أن أعود إلى نانا أ كومفى أميـاو الثالث وشعبه فى يناير سنة ١٩٤٦

وفى كتابى (أساطير الأكان عن أصلهم) The Akan Tradtions of Origin الذى ظهر فى سنة ١٩٥٢ عن دار فيبر وفيبر للنشر كتبت فصلا عن تاريخ مملكة بونو التى كانت تكيمان أصـــلا ثانية مدنها الـكبرى . وفى كتابى الثالث (أكان غانا . معتقداتهم القديمة) The Akan of Ghana, Their Ancient Beliefs الذى ظهر فى سنة ١٩٥٨ عن دار فيبر أيضا كتبت فصلا طويلا عن حكم الملوك والملكات الأم فى بونو . وفى كتابى (الملكية الإلهية فى غانا ومصر القديمة) The Divine Kingship in Ghana and Ancient Egypt (ظهر فى سنة ١٩٦٠ عن دار فيبر) الذى كتبته بعد ، ذلك رويت قصة الحضارة القديمة للبونو . والكتاب الحالى الذى بين أيدينا يختص بقصة صراع شعب بونو تكيمان من أجـــل استرداد حقوقه . ودورى فى هذا الصراع . وفى التمهيد وكذلك فى الفصل الأول لخصت الحوادث التاريخية التى حدثت قبل سنة ١٩٤٩ . وقد تضمنت النشاط الذى بذلته لصالح شعب بونو تكيمان . منذ

(١) هيئة تنمية المستعمرات أنشأتها فى سنة ١٩٤٤ الحكومة البريطانية من أجل أن تخدع شعوب المستعمرات البريطانية وخاصة الأفريقية منها عن آمالها فى طلب الاستقلال، واعتمدت لها مبلغ ١١٠ ملايين من الجنيهات بغرض القيام بمشروعات تهدف إلى تنمية اقتصاديات هذه الدول . ولسنا فى حاجة إلى أن نذكر أن المبلغ الذى اعتمد لهذه الهيئة وإن بدا كبيراً إنما هو ضئيل غاية الضآلة بالقياس إلى رقعة هذه المستعمرات وعدد سكانها . هذا إلى أن معظم المبلغ ذهب ثمناً لمعدات بريطانية اشتريت من انجلترا للقيام بهذه المشروعات أو على هيئة مرتبات للخبراء البريطانيين الذين عملوا فى هذه المشروعات، وقد قامت الهيئة بتنفيذ مشروع إقامة خزان أوين عند مخرج بحيرة فكتوريا من أجل الاستفادة من تدفق المياه فى النيل فى توليد الكهرباء . وقد اشتركت حكومة مصر قبل الثورة فى هذا المشروع بثلاثة ملايين من الجنيهات حفظاً لحقوق مصر فى مياه النهر . كما نفذت أيضاً مشروعاً لزراعة الفول السودانى فى تنجانيقا صرف عليه قرابة ٣٦ مليون من الجنيهات بغرض جعل الفول السودانى المحصول الأول فى تنجانيقا ولـكنه فشل فشلا ذريعاً بسبب عدم كفاية الجهد الذى بذل لدراسة المشروع . فصرفت الهيئة النظر عنه . (المترجم) .

سنة ١٩٤٤ وما بعدها . والجزء الأكبر من الكتاب مؤسس على يومياتى التى كتبتها من أكتوبر سنة ١٩٤٩ حتى مارس سنة ١٩٥٠ حين عدت إلى تكيمان مرة أخرى بعد أن منحتنى الهيئة الأكاديمية لجامعة ساحل الذهب — منحة الأبحاث من أجل القيام بدراسات أخرى . والتمهيد يصف الحوادث التى حدثت بين ١٩٥٠ و ١٩٦١ حين اعترفت حكومة غانا بعد صراع جديد باستقلالهم عن الأشانتى نهائياً واستعادة الملك أكومفى أمبياو الثالث للقرى التسع .

وقد بدأت فى كتابة هذا الكتاب فى البيت الجميل الذى يملكه المرحوم الدكتور لويس مرفش Louis Mirvish وقرينته هلدا مرفش فى مدينة الرأس . وقد اهتم كلاهما به . وأنا مدينة بصفة خاصة إلى الدكتور لتشجيعه إياى ونقده للكتاب . وقد قرأ الدكتور لويس هرمان Louis Herrman الفصول الأولى من هذا الكتاب وعلق عليها ولذلك أقدم له شكرى . وحين عدت إلى لندن وجدت أصدقاء مخلصين قدموا لى أكثر من مساعدة . وكذلك أقدم شكرى إلى ايفاجوتفلد Eva Gutfeld لمراجعة المخطوطات . ولاقتراحاتها الثمينة كما أقدم أعمق الشكر إلى المسز بياتريس هوك Beatrice Hooke لمحاولتها تحسين أسلوبى . كما أرغب أن أسجل شكرى إلى المستر باتريك رايموند Patrick Ryamond لاهتمامه بقراءة المخطوطات ومساعدته لى فى تقديمها .

وقد أشرت فى النص فى بعض المواضع إلى ما ورد فى كتبى الأخرى عن بعض المواضيع كى يستطيع القارىء الذى يعنيه معرفة مزيد من التفاصيل الرجوع إلى هذه الحوادث تفصيلا . وقد اختصرت أسماء الكتب مثل قولى (الدول المقدسة) كناية عن كتابى الأول (دول الأكان المقدسة) الذى ظهر عن دار فيبر فى سنة 1951 وهكذا ؟

ايفاميروفتش

تمهيد

مقابلة مع أكومفى أمبياو الثالث ملك تكيمان

بمناسبة عيد القيامة فى سنة ١٩٤٤ كانت هناك إجازة لكلية أشيموتا لمدة شهر . فقررت أن أقضيها فى البحث عن خرائب بيونسوكو Beeo-Nsoko التى كانت فى يوم من الأيام عاصمة مملكة باندا Banda التى كانت تكون إحدى الممالك القديمة فى غانا الحالية . ولعبت دوراً هاماً فى تجارة الذهب مع السودان الغربى . وقد خربت هذه المدينة تماماً خلال الحرب الأهلية التى دارت فى النصف الأول من القرن السابع عشر ولم يعد بناؤها[1] وبعد ثلاثة أشهر من البحث جنوبى منحنى نهر الفولتا الأسود ، وجدت نفسى مضطرة إلى التخلى عن فكرتى ؛ إذ لم أجد خرائب قط . واكتشفت أنى بحثت عنها فى موضع يبعد ثلاثين ميلاً إلى الشمال . وأخيراً نصحنى شيخ من الموثوق بعلمهم فى فوجولا Fugula أن أذهب إلى تكيمان . التى تبعد سبعين ميلا إلى الجنوب الشرقى . حيث أستطيع أن أستقصى . وكانت هذه حقاً نصيحة ثمينة . فهناك علمت أن ملوك بونو الذين هم أسلاف ملوك تكيمان قد حكموا باندا قرابة مائة عام بعد أن خربت بيونسوكو . ولم أكن أدرى آنذاك (١٩٤٤) أن شعب تكيمان كان فى نزاع مع حكومة ساحل الذهب وأثر عنه أنه على غير وفاق مع الأوربيين ، فإن مأمور المنطقة البريطانى فى ونكى Wenky — وهو الذى كان يدير المنطقة — لم يبد ارتياحاً إلى ما اقترحته من الذهاب إلى مدينة تكيمان ،

(١) انظر (تقاليد الأكان) للكاتبة ص ٤٥ — ٤٨

حتى إذا أصررت اتصل تليفونياً بتكيمان هين (ملك تكيمان) وأبلغه أنى سأصل بعد ساعة وعليه أن يستقبلني ومعه شعبه بما يليق .

وذهبت برفقة أحد طلبتي وهو كوفى أنتوبام Kofi Antubam (وهو الآن أشهر مثال فى غانا) وقد اتخذته طوال مدة إقامتى مترجماً لى . فوجدنا ملك تكيمان أكومفى أمباو الثالث وشيوخ دولته من الوزراء ورجال البلاط فى انتظارنا فى فناء التشريفة فى القصر . وأعطى لكوفى ولى مقعدان فى مواجهة المجتمعين وقد بدا من أحوال الناس أنهم جميعاً متجهمون وفى حالة غضب مكظوم .

وبعد تبادل التحيات المعتادة سألنى فم الملك أو المتكلم باسم الملك[1] عن مهمتى فشرحت له عن طريق مترجمى — أنى كنت أبحث عن خرائب بيونسوكو . ولكنى فشلت فى العثور عليها. وسوف أكون شاكرة إذا أخبرونى عن مكانها . وقصوا على الحوادث التاريخية التى أدت إلى خراب المدينة .

فأجاب فم الملك أنهم لا يستطيعون مساعدتى . إذ ليس من عادتهم أن يكشفوا عن تاريخ غيرهم . وعندما تبين لى عدم جدوى المحاولة سألتهم عن تاريخهم هم . متى أنشئت تكيمان ؟ فأجابنى الملك (عندما وجه إليه الكلام) ببرود ظاهر أنهم لا يروون للغرباء تاريخ دولتهم ، فلم أملك إلا أن أسألهم عن الوسيلة التى أستطيع بها أن أتحول من غريب إلى صديق . وهنا دارت مناقشة طويلة فيما بينهم وأخيراً وجه إلى الملك الكلام قائلا «يطلق علينا كل من الأوربيين والأشانتى اسم برونج ولكن اسمنا الحقيقى هو بونو . ونحن نرغب فى أن يعود إلينا اسمنا القديم بونو تكيمان . فإذا استطعت أن تردى إلينا اسمنا الصحيح فحينئذ نستطيع أن نعتبر ذلك كعمل من أعمال الصداقة » ـ فكرت لحظة ، فقد سبق أن سمعت اسم بونو من قبل . ولكن أين ؟

---

(١) لايخاطب ملوك إثيوبيا الجماهير بل هناك من يتكلم باسمهم وهو يحمل لقب أقانجوس . ومعناها الحرفى فم الملك . ومن هذا استعرت هذا التعبير هنا . ولكننى استبدلت به (المتكلم باسم الملك) حين عز على أن أجد صيغة جمع له . (المترجم)

فجأة تذكرت . وحينئذ سألتهم « هل أنتم الشعب الذى عرف أسلافه فن صناعة الأقمشة الذهبية ؟ » ، وهنا ساد صمت بدا كأن ليس له نهاية . ونظر كل واحد منهم إلى حتى لقد شعرت بحرج موقفى . وبعد لحظة خلتها قروناً طويلة . كسر نانا تكيمان هينى الصمت قائلا « نعم . نحن هـذا الشعب . ولكن كيف عرفت ذلك ؟ » فشرحت له أنه منذ ثلاثة قرون زار تاجر فرنسى ساحل الذهب ووصف كل ما رأى وكل ما سمع . وقد أشار فى كتابه إلى شعب بونو والأقمشة الذهبية[1] .

وهنا سألونى عما إذا كان من الممكن أن تحصل دولة تكيمان على هذا الكتاب فأجبتهم بأنى لا أظن ذلك ممكناً ، إذ إن الكتاب موجود فى المتحف البريطانى ، ووعدتهم بأن أنسخ لهم العبارات التى تشير إلى بونو وأرسلها إليهم عند عودتى إلى لندن ، وانتهت المقابلة . وسألنى الملك أن أذهب إلى الاستراحة وسوف يستشير هو شيوخه فيما أطلبه ، وبعد ساعة جاءنى رسول يسألنى باسم الملك إذا كنت أرغب فى أن أرى مكان الموقعة التى هزمت فيها بونو على يد الأشانتى ففقدت استقلالها (حول عام ١٧٤٠) ، وكان طبيعياً أن أرغب فى ذلك ، وصحبت كوفى واتجهنا تواً إلى حيث كان فى انتظارنا فم الملك ودليل ، فصحبانا فى سيارتى إلى طريق ونكى . وبعد مسيرة أميال قليلة درنا إلى اليسار فدهشت إذ لم يكن هناك طريق واضح ، بل مكان مكشوف فى الغابة تعلوه الحشائش الطويلة التى تسمى حشائش السكيل. ودار الطريق إلى طريق قرية آسيوى Asueyi . ولم أكن أدرى كيف ستعبر السيارة خندقاً عميقاً يحاذى الطريق الرئيسى فى هذا المكان . ولكن لحسن حظنا ، قدمت وقتئذ امرأتان

---

(١) كتاب « وصف سواحل غينيا الشمالية والجنوبية وأثيوبيا المتأخرة » لباربوت (باريس ١٧٣٢) ص ١٨٨ ، وفيه يتكلم باربوت عن نسج أقمشة بديعة بخيوط الذهب فى فانكى Vanky وهى آنذاك إحدى مدن بونو . وقد اعتقد الشعب أنى أشرت إلى القماش المنسوج بخيوط الذهب الذى اعتاد الملوك لبسه ليلة رأس السنة .

تحملان حملين ثقيلين من خشب الوقود . فاشتريته منهما . وكان الخشب كافياً لأن يملأ فراغ الخندق . فلم تلبث السيارة أن عبرت الخندق وإن كان قد تم ذلك بعد جهد . وانطلقت بنا السيارة على غير جادة فى بحر من الحشائش، وهى تطأ الحشائش الطويلة التى تنحى أمامها . وبعد قليل وضح الطريق واتجه بنا إلى أسيوى . ثم إلى نهر تانو . وهناك وقفت السيارة وترجلنا عنها .

ولم يكن نهر تانو فى هذه المنطقة القريبة من المنبع واسعاً ، فاجتزناه على جذع شجرة استخدم كقنطرة ، وكانت آثار الأقدام قد صيرته أملس . وسرنا فى طريق ضيق حتى أتينا وادياً كان أغرب واد رأيته فى حياتى . كان صغيراً تام الاستدارة . فهنا منذ قرنين دارت المعركة التى قدر لها أن تدور .

وكان للوادى مدخلان فقط ، أحدهما مقابل للآخر . ومن أحد المدخلين كان محاربو تكيمان قد دخلوا ومن الآخر دخل أعداؤهم من الأشانتى . ودارت الموقعة حول صخرة (صباح الخير) التى كانت تبدو كأنها عمود ضخم ألقى عبر الوادى . وقد حملت الصخرة هذا الاسم لأن أول شعاع من أشعة شمس الصباح ينعكس عليها . وكانت الصخرة مفرغة . وأرونى الطريق الذى يؤدى إليها ولكنى لم أسر على الرمل الناعم الأبيض مخافة الحيات والثعابين والعناكب السامة . وقد حدث خلال المعركة أن تبادلت الجيوش الصخرة أكثر من مرة حتى إذا جن الليل اعترف التكيمان بهزيمتهم وطلبوا هدنة لدفن موتاهم . وكان الأشانتى قد منوا أيضاً بخسائر جسيمة فمنحوهم ما طلبوه . وعلى ضوء المشاعل حمل التكيمان قتلاهم من النبلاء الذين سقطوا إلى كهف كبير فى جانب السفح الذى استخدم خلال المعركة كمركز لقيادة حاكم تكيمان وأغلق الكهف . أما غير النبلاء فقد ألقى بهم فى جب أمام الكهف وكأن ليس له قرار ، ودفن الأشانتى موتاهم أيضاً فى كهف آخر مقابل للوادى .

وعندما كنت أشاهد هذه الأماكن والدهشة تبدو على ، سمعت لأول مرة عن قوة وعظمة مملكة بونو . فقد تأسست سنة ١٣٠٠ وكانت أول حضارة عظيمة فيما يسمى حالياً غانة . ولكنها انتهت فى سنة ١٧٤٠ . وفى خلال الحرب أحرقت العاصمة بونو مانسو . أحرقها أهلها بعد هزيمتهم اليائسة فى وادى أسيوى . وأصبحت تكيمان — المدينة الكبيرة الثانية فى بونو — عاصمة لدولة جديدة ، دولة بونو تكيمان . وسمح ملك الأشانتى لأمير من أسرة بونو المالكة القديمة بأن يحكمها تابعاً له ، وخليفته اليوم هو جلالة الملك الحالى أكومفى أمياو الثالث . وفى أوبتنا من مكان المعركة القديمة شكرت جلالة ملك تكيمان ، على هذا الفضل الذى أسداه لى حين صحبنى إلى مكان الموقعة الذى لم يره أو يسمع به أوروبى من قبل .

وفى صباح اليوم الثانى . جاءنى رسول ملكى يعلن زيارة جلالة الملك الذى أسرع بالمجىء فى سيارته . ويبدو أنى كنت بالأمس قد أحسنت التصرف مما دعا إلى رضاء شعبه عنى . لأن جلالة ملك تكيمان أخبرنى أنه يرغب فى أن يرينى شيئاً آخر . وفى هذه المرة ذهبنا فى سيارته على الطريق إلى نكورانزا Nkoranza ثم ترجلنا وسرنا فى صف متتابع فى معشوشب تماماً يتقدمنا رجال حاملون سيوفاً قصيرة يضربون بها الشجيرات ليفسحوا لنا طريقا ،وكان هناك كاهن يتبعهم . وهو الكاهن الذى أوكلت إليه مهمة العناية بأقدس كهف لديهم .

وكان هذا هدفنا . وسرت وراء الكاهن مع كوفى . ومن ورائنا جلالة ملك تكيمان يصحبه المتحدث باسم الملك . ومعه شيخان أو ثلاثة من شيوخ دولته .

وقد يكون سيرنا استمر لميلين أوثلاثة حين وصلنا إلى مكان مكشوف وسط الغابة المدارية ، ومن يساره المدخل المظلم للكهف السرى . وبدأ جلالة ملك تكيمان يشرح لى أن هذا الكهف هو مسكن أرواح أسلافه الملكيين . ملوك بونو وبونو تكيمان . ثم طلب منى أن أتقدم معه للدخول إليه . وكانت تجربة مثيرة إذ كان

الكهف كدار صغيرة للسينما . وفى مكان الشاشة شاشة أخرى صلبة ينفذ إليها ضوء
الشمس خلال فجوة فى السقف . ولم نكد ندخل حتى بدأت مئات من الخفافيش
تطير حولنا تملأ الهواء بحفيف مسموع . وكانت أرض الكهف صخرية ملساء حتى
كنت على الدوام عرضة للانزلاق . ولما رأى الملك ذلك تكرم فأعطانى ذراعه لأستند
إليه . وتقدمنا فى بطء نحو ضوء الشمس . حيث كان هناك (مذبح) قد أعد فوق قطعة
أخرى من الصخر ملساء (كأنها قد قطعت بسكين) ساقطة من السقف . وسار
الكاهن بجانبنا ولكنه كان قريباً منى دائماً . وكان يركع على إحدى ركبتيه بين كل
خطوة وأخرى . وهو يضرب صدره بكفه بصفة مستمرة ليعلن عن وصولنا إلى أرواح
الأسلاف الملكيين . وكان يتغنى فى لغة لم يفهمها كوفى . وربما كانت لهجة
من لغة الأكان الحالية (التوى Twi)[1] وقبل أن نصل إلى (المذبح) مباشرة
توقفنا فى صمت وضوء الشمس يكاد يعمى عيوننا والخفافيش تطير من حولنا . ولكنها
لا تزعجنا . ثم استدرنا عائدين — وعند مدخل الكهف . كان جلالة ملك تكيمان
قد سألنى أن أنتظر أنا وكوفى فى المكان المكشوف ريثما يتم طقساً عليه واجب
القيام به .

فجلست على جذع شجرة ، وشمس الصباح تتسرب من بين الأغصان والسحالى
ذات الرقاب البرتقالية اللون تحوم حول قومى . وبعد برهة سمعنا صوت الكاهن
يتسرب إلينا من الكهف . وكان كوفى يقف بجانبى فترجم لى أكبر قدر استطاع
أن يلتقطه من هذه الكلمات فبدا لى كأن الكاهن كان يدعو أرواح الأسلاف ،
أسلاف ملوك بونو وبونو تكيمان ، وعندما تم الاتصال معهم اعتذر لهم جلالة ملك
تكيمان عن اصطحابه إياى — أنا المرأة البيضاء — إلى مساكنهم. وكان أكثر

---

(١) يتكلم لهجات لغة التوى مختلف شعوب الأكان التى ينتمى إليها التكيمان والأشانتى .

مايعنيه أن يسأل عنه إذا كان يستطيع أن يثق بى . وبدا كأن الأسلاف الملكيين
كانوا أكثر شغفاً بى فأكدوا له أنى موضع الثقة التامة وأنه يستطيع أن يطلعنى
على كل شىء أرغب فى معرفته من تاريخهم وثقافتهم . وتنبأوا له بأنى سوف
أعيد مجد مملكة بونو . وأخلص دولة التكيمان من جميع مشاكلها مع الأشانتى
وحكومة ساحل الذهب .

وعندما ظهر جلالة ملك تكيمان ثانية لم يذكر شيئاً عما حدث . بل أشار فقط إلى
الحلى التى كان يلبسها حول جبهته . وأخبرنى وهو يبتسم أنها ترمز إلى « الاتحاد »
أو « الوحدة » وأنه منذ هذه اللحظة ستعتبرنى دولته كصديق لها . وأنه وشعبه سوف
يطلعانى على عهود حكم أسلافه .

وعندما عدت فى سنة ١٩٤٦ ثم فى سنة ١٩٤٩ إلى تكيمان عقدت مع الملك
اتفاقاً وثيقاً تعهد فيه ومعه شعبه بأن يساعدنى فى عملى فى مقابل أن أساعد
دولتهم بأن أكون المتكلمة مع حكومة ساحل الذهب ، وبارك الطرفان
هذا الاتفاق .

القرى التسع موضع الخلاف : كان سبب متاعب تكيمان مع حكومة ساحل
الذهب ينحصر فى تسع قرى كان الأشانتى قد سلبوهم إياها فى ١٩٣٥ . ولأجل
أن نفهم جهاد الشعب المتواصل من أجل استعادتها — الذى هو قصة هذا الكتاب —
يجب أن نلق بعض الضوء على ماسبق ذلك من التاريخ .

بعد أن تحطم عرش مملكة بونو فى سنة ١٧٤٠ منح ملك الأشانتى قلب
المملكة إلى زعيم خائن هو بافو بيم Baafo pim فوضع الدولة القوية
فى يده لقاء أن يقيمه ملكاً لنكورانزا على أن يعترف — كملك لبونو تكيمان —
بسيادة الأشانتى عليه .

وبعد ستين سنة قامت ثورة فى نكورانزا وأمر الأشانتى هينى أوزاى بونسو بانين Osai Bonsu panyin التكيمان أن يحاربوا فى صفه . وفعل الشعب ذلك انتقاماً لما نزل به من نكورانزا ، ولما أخذ ملك تكيمان كيريم كوفى Kyreme kofi (١٧٨٢ — ١٨٣٠) ويافWiafe خليفة بافويم أسيراً ضحى به على عرشه (على غير رغبة ملك الأشانتى) فى معبد آخر ملوك بونو . وكان لهذا العمل آثار مدمرة على تكيمان . وإن كانت غير مباشرة أو سريعة . لأن ملك الأشانتى كان آنذاك مشغولا بحروبه فى الجنوب وغير قادر على أن يعاقب كيريم كوفى وشعبه لعصيانهم إياه .

وفى سنة ١٨١٨ ثارت الحرب بين الأشانتى وجيامان (Ashanti-Gyamân) وأرغم التكيمان من جديد على أن يرسلوا جنودهم لنصرة الأشانتى ومعهم سبعة من الكهنة الذين عرفوا بقوتهم مع آلهة تانو ونتوا Tano and Ntoa وهى المعبودات الوطنية القديمة لمملكة البونو . وكانت خسائر التكيمان فى هذه الحرب جسيمة . إذ اتخذ ملك الأشانتى من جنود تكيمان الشجعان رأس حربة . وبعد أن انتصر ملك الأشانتى أوزاى بونسو بانيم عبر عن رضائه التام عما بذل التكيمان من جهد فى الحرب . ودعا ملك تكيمان كيريم كوفى والكهنة السبعة ليشتركوا فى استعراض النصر فى كوماسى عاصمة الأشانتى .

وسار كل شىء على ما يرام . وعاد تكيمان والكهنة إلى بلادهم . وبعد عودتهم أبلغ ملك الأشانتى ملك تكيمان كيريم كوفى ، منذ هذه اللحظة ، أن هؤلاء الكهنة السبعة الأقوياء وما يحكمونه من مدن وأراض لم تعد لملك تكيمان . وكان المعنى الواضح لذلك أن ملك تكيمان فقد أغنى سبع مدن فى مملكته . وأن ما يجبى منها من ضرائب سوف يدفع إلى خزانة الأشانتى . وأن قضايا أهلها سوف تكون من اختصاص زعماء كوماسى الذين سوف يديرونها وفق رغبة ملك الأشانتى . ولم يكن

هناك من محل للثورة فى تكيمان بسبب ما كانت تكيمان قد فقدته من ضحايا فى الحرب ، كما لم تكن الاحتجاجات بجدية ، وأجيب ملوك تكيمان المتعاقبون : أوزو أمبروفى Owusu Amprofi (١٨٣٠ — ١٨٣٧) الذى خلف كيريم كوفى . وأمبيا وكيريم Amyeaw Kyerem (١٨٣٧ — ٥١) وبافو توى Bafuo Twi (١٨٥١ — ٦٤) الذين طلبوا استعادة المدن إجابات مراوغة . وأخيراً فى سنة ١٨٧٧ طلب ملك الأشانتى بونسومنسا Bonsw Mensa فرقا أخرى من تكيمان هينى لإخماد ثورة قامت فى جوابن Juaben فرفض ملك تكيمان المعاصر كوابينا فوفى Kwabena Fofi (١٨٦٤ — ٨٦) فكان أن قامت الحرب بين الأشانتى وتكيمان وهى الحرب التى استمرت عشرين سنة والتى انتهت بانتصار تكيمان .

وفى هذه الحرب خربت مدن تكيمان . وانتقلت حكومة تكيمان وشعبها إلى جيامان Gyaman (وهى الآن جزء من ساحل العاج) من أجل مواصلة الحرب من هناك . بعد أن تركت وراءها عصابات المحاربين غير النظاميين تعمل تحت إمرة الزعيم يبوا Yeboa من أجل إقلاق الأشانتى واستقرت عصابات المحاربين غير النظاميين بين التلال وعاشت فى الكهوف العديدة التى فى المنطقة تمونها جيامان بالسلاح والرجال . وبذل الأشانتى كثيراً من المحاولات لإنهاء الحرب لأن الأرض لم تعد ذات منفعة لهم ، فقد قتلت عصابات المحاربين رعايا الأشانتى وأحرقت مزارعهم . فتوقفت التجارة ولم يصل إلى خزانة الأشانتى من هذه الأجزاء المخربة غير قليل من الضرائب .

وفى سنة ١٨٩٥ قامت الحرب بين الإنجليز والأشانتى . ولم يعد ملك الأشانتى برمبه الأول Prempeh I يستطيع أن يحارب فى جبهتين ضد الإنجليز فى الجنوب وضد تكيمان فى الشمال . فعرض الصلح مرة أخرى على تكيمان وطلب عودة حكومة تكيمان وشعبها من جيامان مع عودة المدن موضوع النزاع إليهم ، وتقول أساطير تكيمان أن تكيمان هينى جيا كو

الثانى Gyako II (١٨٨٦ — ٩٩) طلب أن يرسل إليه وفد رسمى من بوندوجو Bundugu فى جيامان . وتم ذلك فعلا . ولكن حين عاد وفد الأشانتى يصحبهم ممثلو ملك تكيمان إلى كوماسى ليخبروا ملك الأشانتى أن الصلح قد تم . كانت حرب الأشانتى مع الإنجليز قد انتهت . وأخذ ملك الأشانتى برمبه الأول أسيرا . ونفى فى يناير سنة ١٨٩٦ إلى جزائر سيشل . ولم يكن هناك من يخلفه . وعندما عرف بذلك ملك تكيمان، جياكو الثانى الذى كان يعيش فى جيامان، أرسل المتكلم باسمه وهو كوابينا فوفى ومعه ثلاثة آخرون من ممثلى تكيمان إلى الحكومة البريطانية فى أكرا . وكان يصحبهم ممثل لملك جيامان أجيمان ليشهد أن حكومة تكيمان وشعبها كانوا يعيشون حقيقة فى جيامان وأنهم يرغبون فى العودة إلى وطنهم . وأرسلت حكومة أكرا بذلك إلى المأمور فى كوماسى . وهناك اتفق على عودة شعب تكيمان . وأن تعاد إليهم القرى السبع . وعاد الشعب فعلا . وفى سنة ١٨٩٧ أعيد بناء مدينة تكيمان إلى جانب خرائب المدينة القديمة .

وفى سنة ١٩٢٥ عاد ملك الأشانتى برمبه الأول Premph I من المنفى وسمح له أن يحكم شعبه من جديد . ومات فى سنة ١٩٣١ وخلفه الملك الحالى السير أوزاى أجيمان برمبه الثانى Sir Osei Aggman Prempeh II . وفى سنة ١٩٣٤ عزمت الحكومة البريطانية على أن تعيد إلى عالم الوجود اتحاد ممالك الأشانتى القديم وفى نهاية سنة ١٩٣٥ تمت الأعمال المبدئية لذلك ورفضت حكومة تكيمان أن تعود لتنضم إلى اتحاد ممالك الأشانتى . وبذل الضغط على الشعب سواء بواسطة الحكومة البريطانية التى كانت تريد للحكومة الأشانتى أن تكبر وتتسع تنفيذا لمبدأ الحكم غير المباشر أو بواسطة ملك الأشانتى وزعماء كوماسى الذين كانوا يريدون عودة تكيمان تحت سلطتهم لينتقموا لهزيمتهم فى سنة ١٨٩٦ . فأمر مأمور المنطقة فى ــ ونكى وهو الذى كان يجهل تاريخ تكيمان وحربها مع الأشانتى التى استمرت عشرين سنة[1] بعزل ملك تكيمان

(١) قابلته فى سنة ١٩٤٦ ولم يدهشنى أنه لم يعرف إذ إن أهل تكيمان لم يخبروه بماضيهم إذ كانت عادتهم أن يحفظوا تاريخهم سراً ولم يتبينوا أنه قد يحدث فارق .

ياو أمياو Yao Ameyaw عن عرشه بتهمة سوء الإدارة ، وهى تهمة لم يكن من الصعب إثباتها بسبب الاضطراب الذى ساد الدولة ، فلم يكن أمام خليفة تكيمان هينى كوازى توى Kwasi Twi إلا أن يخضع — وعقدت الجلسة الأولى للجنة امتيازات اتحاد دول الأشانتى فى نوفمبر سنة ١٩٣٥ . وذهب ملك تكيمان ومعه بعض شيوخ دولته وزعمائها إلى كوماسى كغيره من ملوك الدول الأخرى وزعمائها ، وهناك أقسم — كغيره — يمين الولاء . وفى اللحظة التى فعل فيها ذلك التفت إليه ملك الأشانتى وأخبره أن المدن السبع[1] لم تعد له . (ليست هذه المدن الآن سوى قرى صغيرة رغم أنها أكثر أجزاء الدولة انتعاشاً . كما أصبحت الآن تسعة لنشأة اثنتين أخريين هما أجواسى Agwase وسوبنسو Subinso على أرض تابعة للمدن السابقة) وعبثاً حاول ملك تكيمان كوازى توى الاحتجاج لدى حكومة ساحل الذهب . وعبثاً حاول أن يشير إلى معاهدة تكيمان التى عقدت بينهم وبين الملكة فيكتوريا فى سنة ١٨٩٧ .

وبذلك لم يعد قادراً على أن ينفصل عن اتحاد ممالك الأشانتى . وعندما رفض أن يذهب إلى الاجتماع الثانى للجنة فى كوماسى أرغم الشعب على عزله . وكذلك عزل خلفاؤه إمياو الثانى Ameyaw II (١٩٣٦ — ٣٧) وبرمبون كواكوكيريم Berempon Kwakwkyreme (١٩٣٧ — ٤١) وكواكو جياكو Kwakw Gyako (١٩٤١ — ٤٢) عندما ألحوا على الحكومة من أجل المدن . وجرياً على مبدأ الحكم غير المباشر . اعتبرت الحكومة البريطانية هذا النزاع مسألة داخلية يتصرف فيها مجلس اتحاد ممالك الأشانتى . ولكن ملك الأشانتى رفض إعادة المدن إلى تكيمان . على أساس أنها كانت دائماً تابعة للأشانتى . وفى سنة ١٩٤٤ انتخب ملك تكيمان الحالى أكومفى أمياو الثالث بعد أن أقسم لشعبه أنه سيبذل كل ما فى استطاعته ليستعيد هذه المدن . وعندما قابلته فى أبريل سنة ١٩٤٤ كان قد مضى شهران فقط على اعتلائه العرش .

(١) وأسماء هذه القرى هى تانوسو . تانوبواز توبودوم . بوبم . نكيرا . أوفومان وبرانام.

الفصل الأول

تكيمان (١٩٤٦ - ١٩٤٩)

مدينة تكيمان : تغطى دولة بونوتكيمان التى تسميها حكومة ساحل الذهب تكيمان فقط « وتسمى حالياً تكيمان برونج » مساحة صغيرة من الأرض . وكل ما أعرفه أنه لم يسبق تقدير مساحتها ، ما دامت حكومة ساحل الذهب كانت تعتبرها جزءاً من الأشانتى . ولكنى أقول إن طولها يتراوح بين ٧٠و٨٠ ميلا واتساعها فى أوسع أجزائها لا يزيد عن الخمسة والثلاثين . وكان سكانها فى المدة ١٩٤٤/١٩٥٠ يقدرون بعشرين ألفاً منهم أربعة آلاف يسكنون مدينة تكيمان العاصمة . وهى فى الحقيقة قرية إفريقية ليس بها مجار أو كهرباء أو غاز .

وقلب المدينة ملتقى عدة طرق فى وسطه علامة مرور موضوعة على مكان مرتفع . تشير من ناحية الشمال إلى ونكى عاصمة دولة ونكى وهى تبعد ٢٣ ميلا . كما تشير ناحية الشرق إلى مدينة نكورانزا عاصمة دولة نكرونزا التى تبعد ٣٢ ميلا . وتقع كوماسى عاصمة الأشانتى إلى الجنوب وتبعد ثمانية وسبعين ميلا . كما تشير من ناحية الغرب إلى سوينيانى Sunyani . إحدى مدن الأشانتى وتبعد أربعين ميلا . وعلى يمين الطريق المتجه شمالا إلى ونكى يقع منزل الملكة الأم وتطل واجهته على الميدان . وإلى جانبه ــ وعلى زاوية قائمة ــ قصر الملك . وكلمة قصر هنا فيها بعض المبالغة . فهو لا يعدو أن يكون منزلا بسيطاً مكوناً من طابق واحد . وهو مبنى من الطين يغطيه سقف من الصاج . وعلى واجهته البيضاء

رسم ساذج لفهد شبه ممسوح يشير إلى أن ساكن البيت ملك . وليس هناك حارس
وعلى من يريد أن يقابل الملك أن يتجه إلى المكتب ؛ ونافذتاه الصغيرتان اللتان تليان
الباب أهم ما يميز الواجهة التى تطل على الميدان . ويليه الطريق الرئيسى وعلى جانبه
صف من الأشجار .

وليس هناك مفارق طرق ذوات بيوت كثيرة . فبعد مسيرة بضع دقائق يصبح
الإنسان خارج المدينة حيث المنازل ذوات الواجهة الصغيرة . وكثير منها بنى على الطراز
الأوروبى من طابق واحد يعلوها سقف من الصاج . ولكن على الزاوية بين طريق
كوماسى وطريق سونيانى كان هناك حى كامل يسكنه فقراء المدينة حيث كانت
البيوت تبنى من الطين الذى تغطيه الحشائش الجافة . وكانت الماعز والخراف
والدواجن ترعى الحشائش الخضراء التى تحيط بالمنازل .

وعلى الجانب الآخر من الزاوية التى تتكون من طريق كوماسى وطريق
نكورانزا يقع حى آخر خلف المنازل التى تصطف على جانب الطريق . فهنا وهناك
بين الخضرة والنخيل منازل أفضل مما جعلها جميعاً تبدو فى منظر منطقة سكنية .

وعلى إحدى نهايتى طريق كوماسى وطريق ونكى يقوم مبنى بعثة الميثودست
ومعه الكنيسة والمدرسة ، وعلى النهاية الأخرى مبنى البعثة الكاثوليكية ومعها المدرسة
والكنيسة أيضاً . والسوق على الجانب الآخر ولكنها تمتد إلى أقصى ما تمتد المدينة .
أما معبد إله الدولة المسمى تاكيسى Taa—kese فيقع مقابل القصر غير بعيد من
مكتب البريد ، ولكنه لا يظهر من الطريق العام فهناك حارة تقود إليه . والمعبد مبنى
حديث تحيط به غرف الكهنة .

وكانت عملية البناء ممنوعة على أنقاض المدينة القديمة التى خربتها حروب الأشانتى
(١٨٧٧ — ١٨٩٦) وبعض أشجار الكاكاو تطرز حافة الطريق إلى نكورانزا

وتشترى شركتا كادبورى وفراى محصول الكاكاو وترسلانه إلى الشاطئ . ويقال
إن المنازل القديمة التى كانت تملكها الطبقة العمالية كانت فى العادة جميلة ومصونة
وكانت تتكون من طابقين كما كانت مزينة برسوم رمزية بارزة فى أنماط
كبيرة .

ومدينة تكيمان الحالية أنشئت فى سنه ١٨٩٧ ولم يكن لها منذ بدايتها مسحة من
العظمة . فقد ألغت حكومة ساحل الذهب الرق فى سنة ١٩٠١ الأمر الذى جعل من الصعب
المحافظة على منزل ذى طابقين مبنى من الطين تضره كثرة المطر أبلغ الضرر . أما
الصناع الذين كان يوكل إليهم أمر زخرفة حيطان البيوت فقد هجروا المدينة خلال
حروب تكيمان ضد الأشانتى ، باحثين عن عمل فى ولاية أخرى . وأكثر من
ذلك فإن الانتعاش الذى أمل الناس أن يعود إليهم بعد أن تحرروا من حكم
الأشانتى لم يصبح حقيقة مادية بعد . ففى الماضى كانت تجارة الذهب وحبوب الكولا
مع السودان وشمال أفريقيا سبباً فى ثروة تكيمان . ولكن عندما أدخل
البريطانيون عملتهم التى حلت محل تبر الذهب فى ساحل الذهب — كما فعل الفرنسيون
فى مستعمراتهم المجاورة — لم يتجه الطلب إلى الذهب وكذلك حبوب الكولا . وحل
الكاكاو محلهما بعد قرابة عشرين أو ثلاثين سنة . وفى سنة ١٩٢٠ قضى وباء
الالتهاب الرئوى على الماشية والخيول التى كان الناس يستثمرون فيها أموالهم ، ومنعت
حكومة ساحل الذهب بقوة القانون استيراد الماشية من السودان الغربى لتوقف
انتشار مرض النوم وتمنع تعرية التربة مما أدى إلى هجرة كثير من الناس .

وفى سنة ١٩٤٤ حين قدمت إلى تكيمان للمرة الأولى كان نشاط الإقليم قد
توقف ، وساده الفقر من جراء الحرب الباردة مع كل من الأشانتى وحكومة ساحل
الذهب . وكان كل ما بقى للشعب هو ذكرياته عن الماضى وهى ذكريات عظمة
مملكة بونو وقوتها . ويقال إن مدينة الملك وحدها كان يسكنها بضعة آلاف من السكان

أكثر ممن يقطن تكيمان الحالية . وكان بها قصران أحدهما للوريث الظاهر والآخر للقرين فى الحكم الذى هو فى نظر الشعب الملك . وإلى الخلف يقع قصر الحاكم المقدس الذى هو الملك الحقيقى الذى يعيش فى الخفاء وعمله الرئيسى أن يهب الحياة بروحه الشمسية ؛ وكل شىء يستعمله كان مصنوعاً من الذهب ، معدن الشمس . وهو يحترم كملك وخلف قصره يوجد حريمه المكون من زوجاته وقد بلغن ٣٣٣٣ وهو العدد المرغوب . ويشرف عليهن مايزيد عن مائة من الخصيان[1] .

ويطعم الطباخون تحت رئاسة رئيسهم الذى هو من رجال القصر جميع الناس فى مدينة الملك ، يستوى فى هذا ضباط المؤونة أو رجال القصر أو حاملو السيوف ، أو حاملو الرماح أو حاملو الأوامر الملكية والجلادون ، والكهان والموسيقيون والحرس الملكى وغيرهم . ويدعى ومعه الوريث الظاهر مرتين كل يوم إلى الطعام على صوت جرس .

ويلى قصر الوريث الظاهر — الذى يقع كالقصر الحالى لملك تكيمان خلف ميدان على الطريق الرئيسى — قصر الوريث الظاهر للملكة الأم والشريك فى الحكم . أما الملكة الأم المقدسة الحقيقية والتى روحها هى روح قمر فتعيش فى أمونا Amona التى تبعد بضعة أميال عن العاصمة . وتحيط بها بناتها والأبناء الصغار والأميرات اللائى ينحدرن من أصل ملكى ، وبنات الملك غير المتزوجات عدا مئات من الفتيات اللائى تعلمهن وهؤلاء هن بنات الملكة الام التى هى رئيسة نساء كل المدن والقرى ، التى ستخلفهم يوماً . وبنات الزعماء التابعين . أما المشرفون على قصر الملكة الأم ، فكانوا جميعاً من النساء اللائى يحملن نفس ألقاب رجال قصر الملك . ولا تخرج الملكة الأم مطلقاً ولكن وريثها وكذلك شريكها الملكى

(١) كان الملك يتزوج بنات العائلات النبيلة فى الدولة كى ترتبط الأسرة بالشعب برباط الدم وبذا يجرى دم ملوك بونو تكيمان و معظم شعب تكيمان و الوقت الحاضر .

لها هذه الحرية . ولذا يتبعها دائماً ثلاثمائة من الفتيات الجميلات المختارات ، أصول أغلبهن من السبايا .

ويقال إن العاصمة وهى بونومانسو كانت مدينة كبيرة وقد تعطينا الحفائر التى تمت فى مكانها الذى تعلوه الآن الأشجار الكثيرة فكرة عن مساحتها إذ كانت مدينة دولية كالعواصم الحديثة : وفى الوقت الذى ضربت فيه (سنة ١٧٤٠) كان أهلها يتكلمون ثمان لغات وكانت السيادة للغة توى Twi التي هى لغة الطبقة الحاكمة .

وحين غزا الأشانتى الدولة فر آلاف من الناس تاركين المملكة بلقعا . أما المثقفون من البونو وأصحاب الحرف والصناع والنساجون والنحاتون والموسيقيون ومنظمو السوق الكبير التى كانت تقدم إليها القوافل من شمال أفريقيا سنوياً فقد حملوا أسرى إلى كوماسى عاصمة الأشانتى ليعلموا الملك وحاشيته طرق الحياة المتحضرة . ولم يترك لولاية تكيمان وريثة بونوشيء ، واستقر قناصل الأشانتى فى الإقليم فاستحالت عودة الانتعاش إليها ، فقد ذهب كل شىء على شكل ضرائب من أجل إثراء الأشانتى . وكان ضياع أكثر المدن انتعاشاً فى سنة ١٨١٩ القشة الأخيرة التى سببت الحرب بين تكيمان والأشانتى (١٨٧٧ — ١٨٩٦) .

عودتى الى تكيمان عام ١٩٤٦ : فى يناير سنة ١٩٤٦ عدت إلى تكيمان لأبدأ أبحاثى تحت رعاية وزارة المستعمرات . على أن تمولنى هيئة تنمية المستعمرات[1] وفى خلال الأسابيع القليلة التى مكثتها فى تكيمان حدثت بضع حوادث أرى واجباً على أن أسجلها هنا .

(١) منذ ذلك ندرك أن هذه الأبحاث وإن بدت أبعد ماتكون عن السياسة وأقرب إلى العلم إلا أنها دائماً تتم تحت رعاية وزارة المستعمرات ولخدمة الأغراض الاستعمارية التى تقدم وزارة المستعمرات على تنفيذها . (المترجم)

فى صباح ذات يوم ذهبت إلى القصر لأحيي النانا (سأكتفى بأن أذكر ملك تكيمان منذ الآن بهذا اللقب المعروف به) فأخبرنى فى حزن أن شيئاً خطيراً قد حدث . فقد اكتشف أنه فى خلال الليل استقبلت الملكة الأم نانا أكوا دابا Nana Akua Dapa رجلين معروفين فى تكيمان ومنحاها رشوة بلغت مائتى جنيه من أجل العمل على عزله كى يضعوا على العرش رجلا آخر أكثر منه ميلا إلى الحكومة يؤيده الأشانتى[1] وكان من أثر ذلك أن اعتقلت الملكة الأم فى قصرها . وتقرر تقديمها للمحاكمة . على أن ترغم على التنازل عن منصبها إذا لم تستطع أن تثبت براءتها من هذه التهمة .

وجرت المحاكمة بعد يومين وقد بدأت فى الساعة العاشرة فى الصباح ، وحضرها جميع شيوخ الدولة ولم يغب عنها إلا النانا الذى لم يكن له من الأمر شىء من الوجهة القانونية . ووقف كوفى موسى رئيس كهنة الإله تاكيسى الذى كان فى ذلك الوقت صغير السن لا يتعدى الثلاثين من عمره ، ليدافع عن الملكة الأم . وكان دفاعه مجيداً حتى كاد يبرئها عدة مرات . ولكن الشيوخ كانوا مقتنعين بجرمها لأنها كانت دائماً مقترة فى بذل المال . كما أنها كانت دائماً تقود المعارضة فى الدولة . كما أبدت التهاون مع الأشانتى وحكومة ساحل الذهب عن اقتناع بأن التكيمان لن تستطيع أن تربح شيئاً ما دام صراعها معهما قد استمر أكثر من عشر سنوات دون نتيجة .

واستمرت المحاكمة دون توقف حتى الساعة الخامسة مساء . وحين شعرت الملكة الأم بالإجهاد اعترفت بجرمها فوضعت حذاءها على المائدة دليلا على تنازلها عن

(١) هكذا تسير الأمور فى ظل الحكم غير المباشر حيث يسعى المستعمرون إلى إلباس أعمالهم العدوانية لباس الرغبة القومية للأهالى بينما هم فى الواقع المحركون لكل شىء . (المترجم)

منصبها لأنه كان من التقاليد أن أقدام كل من الملك والملكة الأم لا تمس الأرض . ولم تلبث أن وقعت وثيقة أعدت لها ، اعترفت فيها بتهمة الخيانة العظمى ورغبتها فى التنازل عن منصبها ، وعادت بعد ذلك حافية القدمين إلى منزلها . وبحثت عن كبش أبيض كالثلج لتضحى به لساعتها كى تتطهر من خطيئتها . وأبلغت بعد ذلك أنها ستبعد عن مدينة تكيمان لتعيش حتى آخر حياتها فى قرية صغيرة فى أقصى الشمال . أما تفاصيل الحكم فستبلغ إليها بعد مناقشتها فى اجتماع مع النانا . وهى وإن كانت ستعود الآن إلى منزلها إلا أنها ستظل مقبوضاً عليها حتى ترحل .

وفى اليوم التالى . كان عليها أن تسلم كل ما كانت تحتفظ به من شارات المنصب، وذهبت لرؤيتها قبل أن ترحل . فوجدتها تبلغ الأربعين وشعرت بالأسى لأجلها لأنها كانت مرحة طروباً وسيكون الإبعاد شديد الوقع عليها . وتذكرت كم كانت فى قمة سعادتها منذ شهرين فقط عندما ذهبت إليها فى المرة الأولى لأحييها فلم أجد أحداً عندها سوى تابع عجوز قادنى إليها وكانت نائمة فى مكان مفتوح مواجه لمدخل الفناء . وأراد التابع أن يوقظها ولكنى أمرته أن لا يفعل . فكم هو مؤلم أن يوقظ شخص ينام فى سلام ، ولكن سرعان ما رأيتها وقد استيقظت صارخة . ورأيت قدمها اليمنى قد خرجت من قيد كبير حولها ، وقفزت إلى الخارج حيث كنت واقفة ، ولم أستطع أن أقاوم اندفاعها وطوقت رقبتى بذراعيها . وطوقت وسطها بذراعى لأن القيد لم يكن مثبتاً تماماً . وسرعان ما اندفعت تضحك وتتكلم دون أن أفهم كلمة واحدة وحينئذ تركتنى أرفع القيد عنها وأوقفها على حذائها على الأرض . وكانت فى مثل ارتفاعى وقوامى وذات عظم رقيق، وسرعان ما جرت خفيفة إلى الخارج وأشارت إلى أن أتبعها إلى ركن من الفناء حيث كانت تجهز بعض البقول لعشائها . كانت تحب دائماً أن تطبخ طعامها بنفسها فجلست إلى جوارها وساعدتها فى انتقاء الجيد من البقول . وفى خلال انشغالنا حضر أحد رسل النانا ليصحبنى إلى القصر فتركتها وأنا آسفة .

وبعد شهر أو اثنين تولت الملكة الأم الجديدة نانا أفوا أبرافي Nana AFua Abrafi منصبها وأخذت فى خلق فرص لتجد أزواجاً لائقين لجميع الأميرات اللائى كن قد اخترن لأنفسهن أصدقاء من الصغاى ذوى السيقان الطويلة الذين يقطنون النيجر الأوسط . إذ يخيل إلى أن نساء الأكان من الأرستقراط يفضلن دائماً هؤلاء الغرباء المشوقين . ولم أكن فى تكيمان يوم تولت الملكة الأم الجديدة إذ كان لدى عمل يجب أن أتمه فى الولايات الشمالية فى جنجا Gonja وداجومبا Daagomba ،وفى طريق عودتى توقفت فى ونكى إذ كانت أكبر من تكيمان ، وكان مأمور المنطقة مشغولا فلم يتنبه إلى وجودى . ولكنى كنت أسمع صوته إذ كان فى مناقشة حادة مع أحد الناس . وقد أخبرنى الكاتب الإفريقى أن هذا الشخص كان تكيمان هينى[1] . فأخذت مفتاح الاستراحة ورجوت الكاتب أن يخبر النانا بوجودى وكنت لا أزال أرتب حاجياتى عندما اندفع النانا إلى الداخل مصحوباً بتابعه . وكان فى حالة من الغضب لا يستطيع معها الكلام ولكنى استطعت أن أعرف القصة كلها رويداً رويداً ولكى أرويها يتحتم على أن أعود إلى بدء رحلتى .

عندما كنت فى طريقى من الساحل إلى هنا قضيت بضعة أيام فى كوماسى فى مركز الحكومة ضيفة على المستر هوكسوورث Haw kesworth . وفى خلال محادثتى معه رجوته أن يعمل شيئاً من أجل تكيمان . فإذا لم يستطع إعادة القرى المغتصبة . فعلى الأقل تستطيع الحكومة أن تظهر لهم بعض المجاملة وتعامل الشعب كمواطنين لا كغرباء . بينما كان هو يضرب دائما على نغمة تحرشهم الدائم وثورتهم . ولكنه بعد أن أنصت إلى حديثى فى صبر وعدنى أن يعمل ما فى استطاعته . وبعد ثلاثة أشهر

---

(١) لعل ارتفاع صوت المأمور فى المناقشة يبين مبلغ استهانة هؤلاء الموظفين البريطانيين مهما صغرت مراكزهم بالمواطنين مهما ارتفع مقامهم . (المترجم)

حين حل احتفال الدربار Durbar حاول أن يغرى حاكم ساحل الذهب على أن يجرى الاحتفال هذا العام فى تكيمان بدلا من كوماسى . وطغت الفرحة على أهل تكيمان حين علموا بذلك وعمل كل واحد منهم كل مافى وسعه بحيث يجعل الاحتفال أنجح ما يكون . وحدث الاحتفال بينما كنت فى الشمال . واستقبل الحاكم العام وحاكم أشانتى (مستر هوكسوورث) باحتفال كبير ، وجرت الأمور على أحسن ما يكون إلى أن ألقى سيادة الحاكم كلمته . وظن أهل تكيمان فى أول الأمر وهم ينصتون إلى كلمة الحاكم العام أنهم لم يكونوا يسمعون جيداً ولكنهم سرعان ما تبينوا أن الخطبة قد كتبها مأمور منطقة ونكى الذى عمل جهده خلال السنين السابقة على أن يحطم مقاومتهم. وطالما سمعوا من فمه أنهم شعب عنيد يثير المصاعب فى كل دقيقة ويقاوم الإدارة وأمثال ذلك من العبارات الجارحة لشعورهم ، ولذا لم تخرج كلمة الحاكم العام عن هذه الكلمات. وقد أخبرنى النانا عن هذا كله وهو فى الاستراحة فى ونكى قائلا إنه وإن ابتسم إلا أن الشعب كان قد فقد هدوءه[1] وعندما رحل الحاكم العام قدم مأمور المنطقة إلى تكيمان وطلب خطاباً يعتذر فيه النانا عن سلوك شعبه المشين وبذلك ترجم المأمور ابتسامة النانا المرة، ومن الطبيعى أن يرفض الشعب بإصرار . وحدث بعد ذلك بقليل أن كان على النانا أن يجتاز ونكي لزيارة بعض القرى فى المنطقة الشمالية لتكيمان ، اذ لم يكن هناك طريق يمر فى مملكته . وكان على النانا جريا على العادة أن يستأذن المأمور ولكن هـذا أبلغه أنه مشغول لا يستطيع رؤيته وتركه ومعه شيوخ دولته ينتظرون فى الخارج جالسين على مقعد فى الشمس غير مقدر لمركزهم .وبعد ساعتين سمح للملك بالدخول وكان قد استبد به الغضب فصرخ فى وجه المأمور الذى كان من واجبه أن يحترمه كملك لا أن يتركه كمتسول ، ومنذ هـذا الوقت وضح الخلاف بينهما

---

(١) لم تكن سياسة الحكومة البريطانية فى مستعمراتها الاصدى لآراء الحاكم العام . ولم تكن سياسة هذا الأخير إلاصدى لآراء صغار الموظفين بدعوى أنهم أقرب إلى المسائل من غيرهم (المترجم)

أشد ما يكون[١] ولقـــد سمعت من النانا أن احتفال الدربار لم يكن غير كارثة . وحاولت جهدي أن أدخـــل السرور إلى قلبه فوعدته بالمجيء إلى تكيمان في اليوم التالي . وعندئذ نستطيع أن نناقش مسألة خطاب الاعتذار المطلوب .

ولم يكد النانا يرحل حتى قدم مأمور المنطقة بعد وقت يسير ليراني ، فأخبرني خبر المقابلة الصاخبة التي كانت بينه وبين تكيمان هيني كما أخبرني أنه لايستطيع أن يفهم حتى الآن لماذا أقف دائماً في صف هؤلاء الأشقياء الذين يلحون في طلب مطالب غير قانونية تنحصر كلها في طلب سلطة جريئة . فسألته بدوري عن مدى شعوره إذا كانت أمور أنشط المدن الإنجليزية تدار من فرنسا وتدفع الضرائب لها لا سيما إذا كانت هذه المدن قد استعادتها انجلترا نتيجة حروب استمرت عشرين سنة ثم فقدتها عن طريق هيئة الأمم . ولا أستطيع أن أذكر إجابته ولـكني عملت جهـــدي لتسكين ثائرته .

ولم يكد المأمور يرحل حتى استقبلت زائراً ثالثاً هو كبير كتابه وهو الذي قام بمهمة الترجمة بين المـــأمور والنانا ، وكان كل منا يعرف الآخر جيداً فذكر لي كل تفاصيل المحادثة وخاصة تلك الوخزات التي لم يستطع ترجمتها وقتذاك . ولم يكن مرتاحاً لعمله . إذ كان — كمترجم — مرتبطاً بالقسم الذي أقسمه بأن يكون أميناً في ترجمته ما وسعته قدرته . ولـكنه حين فعل ترك الإهانات التي تبادلها الطرفان . فأخبرته أن لا يزعج نفسه بالتفكير في هذ الأمر . ما دام قد تصرف كرجل عاقل ودبلوماسي عمل على أن يمنع الموقف من أن يزداد سوءاً .

---

(١) رغم الحكم غير المباشر الذي تسير بريطانيا على أصوله لتحفظ للهيئات الوطنية اختصاصها واحترامها في نظر الأهالي إلا أن هذا الاحترام يقف عند حد الموظفين البريطانيين الذي يتهزون كل فرصة ليظهروا التعالي عليهم أمام الشعب وشيوخ الدولة. طالما كان الملوك والشيوخ يحبون أن يحتفظوا بكرامتهم فكان الحكم الاستعماري لايبقى في هذه المناصب الشرقية إلا من رضيت كرامته بهذا الامتهان . (المترجم)

وبعد ظهر اليوم التالي . عدت إلى تـكيمان . فلم أكد أقفز من سيارتي أمام القصر حتى رأيت سكرتير النانا الذي طلب مني أن أتبعه إلى مكتبه إذ كان النانا مشغولا بالاشتراك في مجلس . هناك أخبرني بما حدث بعد عودة النانا من المقابلة فونـكي في اليوم السابق . كان النانا لايزال ثائراً حين دعا شيوخ دولته وزعماءها إلى الاجتماع به من أجل المشاورة في أمر الإهانات التي لقيها أو بمعنى أصح لقيتها الدولة على يد مأمور المنطقة . فاتفقوا معه في الحال على إبلاغها للشعب كي يعقد اجتماعاً في الميدان العام ليقوم باحتفال تطهيري للدولة . وفي الساعة السادسة عند غروب الشمس ، أي بعد ثلاث ساعات من عودة النانا ، أخرجت طبول الدولة وقرعت خلال الليل . وضحي بالخراف ، بينما وقف الشعب عدة ساعات يصلي إلى آلهته كي لايحيط بالدولة شر . ثم انتظموا صفاً طويلا مر أمام النانا الذي كان جالساً على إيوانه كتعبير لعطفهم عليه . وأخيراً أقسموا جميعاً قسماً غليظاً معبرين عن ولائهم له . ليـكونوا دائماً مستعدين أن يتبعوه حتى الموت إذا كان هذا أمراً لابد منه . وإذا كان هناك أحد من الشعب سبق له أن وجه انتقاداً إلى سياسة النانا لأمر من الأمور فإنهم الآن جميعاً قد وقفوا كما وقف كل شعب تـكيمان في إصرار وراء الملك .

وبينما كنت والسكرتير لانزال نتحادث وصل رسول من عند النانا يطلب مني أن أتوجه لتحيته ، فوجدته في فناء الاستقبال ، ومعه الشيوخ . وبعد أن حييته وبقية الأعضاء سمحوا لي بالجلوس وحضور المناقشة . ولـكيلا أزعجهم لم أحاول أن أطلب ترجمة شيء ممادار بينهم . ولـكني سرعان ماتبينت أن كل المناقشات دارت حول خطاب الاعتذار الذي طلبه مأمور المنطقة غداة تصرف النانا في احتفال الدربار فأدلى كل واحد من الحاضرين برأيه . فـكان ذلك في نظري أقصى مراتب الديموقراطية وأخيراً وصلوا إلى رأي يتلخص في أن لا يعملوا شيئاً حتى يضغط عليهم المـأمور في طلب خطاب الاعتذار وحينئذ يصبح الأمر لامفر منه .

وعندما جئت إلى تكيمان للمرة الأولى فى سنة ١٩٤٤ لم يكن بها غير مدرستين يصل المستوى فيهما إلى الصف الثالث الابتدائى . ولذلك فشت الأمية ، الأمر الذى أزعج كوفى انتوبام الذى كان يقوم بمهمة الترجمة لى آنذاك . فلم يلبث أن تحدث مع النانا فى أمر الحاجة إلى التعليم . وأظهر له مقدار هذا التخلف المخيف . ورجانى أن أساعده فى إقناع النانا بضرورة فتح مزيد من المدارس . ووافق النانا فعلا . ولكن خلال محادثاته معى شكا لى من أن المدرسين ينقصهم الاحترام . إذ لم يتقدم أحد منهم لتحيته خلال الشهرين اللذين تولى فيهما العرش . فأجبته أن أغلب المدرسين صغار السن غرباء ينتمون إلى إقليم الساحل يصدهم الحياء عن ذلك ، وأنه يستطيع تغيير هذا كله بأن يقوم بتوزيع جوائز على أحسن التلاميذ . فحينئذ سوف يسرع إليه المدرسون ، فمعرفة القراءة والكتابة والمعرفة أمران ثمينان . وضربت له مثلا بالرجل الأبيض وكيف بلغ مابلغ من قوة بسبب الدرس ومعرفته القراءة والكتابة .

لم ينبس النانا ببنت شفة . ولكن كلامى وجهود كوفى لم يذهبا هباء . فالتقدم الذى حدث فى مجال التعليم خلال العام ونصف العام الذى غبته كان يدعو إلى الدهشة . فقد أسس النانا عدة مدارس . وأقامت إحداها حفلا فى يوم وصولى دعى سكان المدينة إلى شهوده ، وشهدت بعد يومين عرضاً للكشافة . ولكن الصف السابع لكل من البنين والبنات الذى ينتظم فيه من هم أكبر من ثلاث عشرة سنة والذى أراد النانا إنشاءه رفض مأمور المنطقة فى ونكى إنشاءه ، بدعوى نقص المال[1] ، إذ كان هناك فصل واحد فى ونكى التى تبعد اثنين وعشرين ميلا عن تكيمان

(١) يتبين من ذلك أن قلة المال لم تكن إلاحجة فقط من أجل الوقوف فى وجه كل تقدم فها قد أنشأ الأهالى المدرسة بأموالهم الخاصة فوقف المأمور البريطانى وحال دون إتمامها لأنهم لم يستأذنوه قبل إنشائها . (المترجم)

يستطيع صبيان تكيمان الالتحاق به إلى أن يصبح عدد الأطفال كافياً إلى الحد الذى يسمح بإنشاء الصفين السادس والسابع . ولكن فى هذا الوقت حدث أن كانت تكيمان ونكى فى حالة حرب من جراء نزاعهما على قضية الأرض التى كانت بينهما ، وكان النانا لا يطيق أن يسمع شيئاً عن المأمور ولذا صمم الناس على أن يبنوا مدرستهم بأنفسهم،دون معونة من الحكومة . ولبضعة شهور ساهم كل رجل وامرأة وطفل فى تكيمان فى بناء المدرسة على الطراز الوطنى (أى من الطين) ولكن على نحو أوسع وأجمل من أى بيت فى القرية . وأتى اليوم الذى تم فيه بناء المدرسة ولم ينقصه إلا السقف ، إلا أنهم أرادوا أن لا يجعلوه من الحشائش الجافة بل من ألواح الصاج ، ولم يكن منها شىء فى تكيمان ولا بد من طلبها من كوماسى وعندئذ سمع مأمور المنطقة بالأمر فأسرع بالمجىء إلى تكيمان ومنعهم من تسقيف المدرسة .

أولا : ليعاقبهم لأنهم لم يستأذنوه قبل البناء[1] .

وثانياً : لأنهم لم يكتبوا بعد خطاب الاعتذار إلى الحاكم . وذهبت سدى كل محاولاتهم فى أن يستفيدوا من بناء المدرسة فى أى غرض آخر . وكانوا قد اقترحوا اتخاذه مركزاً اجتماعياً تتمرن فيه فرقتهم الموسيقية التى تستعمل الآلات النحاسية التى أنشئت حديثاً . كما يستطيعون أن يقيموا بها حفلاتهم الراقصة أو غير ذلك . ولكن كان ذلك كله عبثاً . وظل البناء غير مسقف . وكان المأمور يدرك تماماً أنه لن يقاوم طويلا المطر الغزير . وفى سنة ١٩٤٩ أرونى (كوم السماد)وكان آخر ماتبقى من بناء المدرسة التى بناها الناس بأموالهم فى حماس وعزم كبيرين . فلم يسعهم إزاء هذا إلا أن يخضعوا ، ويرسلوا خطاب الاعتذار .

(١) يتبين من هذا مدى وقوف الحكم الاستعمارى فى وجه كل إصلاح وخاصة انتشار التعليم حتى ولو كان تعليما ابتدائياً وقد وقف البريطانيون مثل هذا الموقف فى مصر من قبل . (المترجم)

وهكذا اتخذ أمر النزاع على القرى التسع شكل مقاومة سلبية طوال المدة من ١٩٤٦ إلى ١٩٤٩ . وقد تلقيت — وأنا فى لندن — سيلاً من الخطابات بشكل منتظم تشرح لى كل تفاصيل الأمور فى الدولة . وفى يوليو سنة ١٩٤٧ ساءت الأحوال إلى حد أن النانا وشيوخه وزعماء القرى أرسلوا التماساً وقعوه جميعاً إلى كبير المفتشين فى مملكة الأشانتى مطالبين فيه بعودة القرى التسع . فرد عليهم فى ديسمبر بالرفض الصريح وهددهم بأنهم فى حالة استمرارهم فى عرقلة التقدم السلمى للإدارة فإن جميع السلطات والامتيازات التى يتمتع بها عرش تكيمان ستسحب بمقتضى قانون السلطة الوطنية (الأشانتى) وكان المعنى الواضح لذلك إقالة تكيمان هيني وشيوخه من مناصبهم وأن تدار الدولة رأساً بواسطة حكومة ساحل الذهب[1] .

وفى فبراير سنة ١٩٤٨ وصلت الأمور إلى غايتها إذ كتب النانا فى السادس عشر إلى سكرتارية مجلس اتحاد ممالك الأشانتى أنه يجد نفسه مضطراً إلى التخلف عن حضور الجلسة القادمة فى كوماسى امتثالا لأمر شيوخ دولته ورؤساء القرى ونوابهم ، ويرجع سبب ذلك إلى أن النانا وأعضاء وفده لم يعاملوا بالاحترام الواجب لهم ، سواء من ملك الأشانتى أو فى بيت زعيم الأشانتى الذى أقاموا فيه فى كوماسى . (لم يذكر هذا السبب فى الخطاب)

وفى نفس اليوم أرسل خطاباً آخر إلى الحاكم العام لساحل الذهب يذكر فيه أن مملكة تكيمان قد قطعت كل اتصال باتحاد ممالك الأشانتى . ومن الآن فصاعداً

---

(١) يبين هذا مدى ثبات السلطات الوطنية أمام رغبة الموظفين الوطنيين الذين تعلو كلمتهم فوق كلمة الملك الوطنى فيملكون حق عزله . مستندين الى قوانين وطنية سنت من أجل سيادة الفرقة بينهم . فليس الحكم غير المباشر إذن إلا ستاراً يخفى إرادة الموظفين البريطانيين (المترجم)

لن تدفع لخزانة الأشانتى ثلث الضرائب التى تجبى وهى نصيبه منها . ووقع الخطاب الملكة الأم ، وأربعة وثمانون من الزعماء ونوابهم بينهم شيوخ الدولة ، وأرسلت نسخ من هذين الخطابين إلى كبير المفتشين فى الأشانتى وإلى مأمور المنطقة فى ونكى .

وأجابت الحكومة على هذا الخطاب بأن اعتبرت ما فعله نانا تكيمان هينى ثورة علنية ، ولم يكن من الممكن عزل النانا ، وفشلت كل الوسائل التى استعملت ، إذ لم تجد الحكومة فى الدولة حزباً واحداً أو جماعة تؤيدها فيما كانت تنوى أن تفعله . ولكن أوقف النانا ومعه شيوخ الدولة عن العمل وبذلك توقف عمل السلطة الوطنية فى تكيمان كما أوقف شيوخ القرى التسع الذين جرأوا على إعلان ولأئهم للنانا كما أوقف تافو سوهينى وتويودوم هينى وأوفومام الثانية هينى[1] عن مناصبهم كذلك واستمر إيقاف النانا وأعضاء مجلس دولته سنة كاملة فوكل النانا خلالها المحامى والسياسى المشهور الدكتور دنكوا Danquah ليكتب التماساً إلى سعادة الحاكم العام يسأله فيه :

١ — إلغاء الأمر رقم ١١٥ لسنة ١٩٤٨ بإيقاف تكيمان هينى وشيوخه عن العمل كسلطة وطنية .

٢ — إلغاء الأمر رقم ٥ لسنة ١٩٤٨ بإيقاف تانو-سوهينى وتويودوم هينى وأوفومان هينى كأعضاء فى المحكمة الوطنية فى تانوسوبين Tano-Sobin[2] .

---

(١) كان هناك أوفومان الأولى وأوفومان الثانية .

(٢) خلال عودتى من زيارتى الأولى لتكيمان فى سنة ١٩٤٤ ذهبت لزيارة مستر هوكسوورث رئيس المفتشين فى الأشانتى وأخبرته عن مصاعب القرى التسع موضوع النزاع فى نظر قضاياهم . فانشأ محكمة وطنية فى تانوسوبين من أجل التخفيف عن الناس من التقاضى أمام محاكم الأشانتى .

٣ — صرف النظر عن قرار لجنة الامتيازات (فى اتحاد ممالك الأشانتى) فيما يختص بالقرى التسع التى يدعيها تـكيمان هينى .

٤ — تعيين لجنة تحقيق من أجل النظر فى الخلاف بين أشانتى هينى والعرش فى تـكيمان .

وفى الثامن من ديسمبر تلقى الدكتور دنكوا رد سعادة الحاكم العام بأنه غير مستعد فى الظروف الحالية لأن يصدر أمراً بإلغاء الأمر رقم ١١٥ أو أى أمر آخر ، كما أنه غير مستعد للتدخل من أجل عودة القرى التسع ما دام مجلس اتحاد ممالك الأشانتى فى اجتماعه فى سنة ١٩٣٦ قد وافق على قرارات لجنة الامتيازات ، كما أنه ليس فى استطاعة الحاكم العام الموافقة على طلب تعيين لجنة التحقيق . إذ إن ذلك لن يؤدى إلى هدف مفيد . وكأن نانا تـكيمان هينى كان متوقعاً هذا الرد فـكتب إلى فى أغسطس الماضى يطلب منى أن أبذل المساعدة التى أستطيعها له . فـكتبت إلى وزير المستعمرات المستر كريش جونس Creech Jones خطاباً شرحت له فيه كل الظروف التاريخية للخلافات بين الأشانتى وتـكيمان ، واقترحت كيفية الوصول إلى اتفاق يقبله الطرفان المعنيان . وقد أرسل هذا الخطاب إلى سعادة الحاكم العام لساحل الذهب ولـكن يبدو أنه لم يكن ذا أثر فى سياسة الحـكومة وكان هذا ظاهراً من رده .

وبعد يومين من وصول خطاب الحاكم العام إلى تـكيمان كتب إلى النانا خطاباً يردد فيه الشكوى من أنه بالرغم من أن شعبه قد دفع كل الضرائب فإنه لم يتسلم أية أموال من مأمور المنطقة (الذى أصبح منذ إيقاف النانا عن العمل بمثابة خزانة تـكيمان) كى يدفع مصاريف القرابين والتقدمات التى تقدم إلى أرواح أسلافه الملـكيين وإلى الإله الوطنى تاكيسى تانو العظيم ، الأمر الذى ترتب عليه عدم إقامة الاحتفالات المعتادة خلال الستة شهور الماضية مما جلب الشرور على الدولة . فقد مات

كل من ادونن هينى Adonenhene المسمى كوا كوفاه Kwako Fah وكورنتى هينى الجديد Korontihéne وغيرهما من شيوخ الدولة[1] .

وقبل ذلك بيوم وصلنى خطاب آخر لم يكن منتظراً من زوجات العرش (زوجات الأمراء الذين من أصل ملـكى) أخبرننى فيه أنهن لم يتسلمن مرتباتهن أو مرتبات أولادهن منذ عدة أشهر بالرغم من أن الضرائب المقررة على شعب تـكيمان قد دفعت جميعها . وتقدم الشيوخ من أجل هذا الأمر بالشكوى إلى مأمور المنطقة ولـكنه أجابهم بأن المرتبات قد أوقفت أيضاً منذ أوقف النانا عن مباشرة عمله .

وكان للنانا أربعون زوجة، ولـكن ذهب هذا كله كما ذهب العديد من الخصيان، ولم يعد هناك غير خصى واحد وهو فتى لايتعدى السابعة عشرة من عمره ومات فى سنة ١٩٤٦ . ولما عرفت بانتهاء حريم النانا وأنه لاتوجد أموال كافية لإقامة الاحتفالات الدينية بالرغم من دفع الشعب للضرائب كتبت خطاباً إلى الحاكم ضمنته صورة من الخطابين اللذين تسلمتهما من تـكيمان . كما أرسلت صوراً من الخطابات الثلاثة إلى وزارة المستعمرات . ويؤسفنى أن أقول إن حكومة ساحل الذهب لم تعمل شيئاً لفحص هذه الشكاوى العادلة[2] بل وبخ النانا وشعبه لأنهم كتبوا إلى لا إلى

---

(١) لدولة تكيمان مثل معظم دول الأكان سبع شيوخ دائمين هم رؤساء العشائر السبع الـكبيرة وفى نفس الوقت فإنهم كانوا فى الماضى قواداً فى الجيش وإلى الآن هم أصحاب ألقاب عسكرية .
فالأوردوبين هينى هو الذى يرأس الجزء الرئيسى من الجيش
وكورونتى هينى بالاشتراك مع نيفاهينى قواد الجناح الأيمن
كما أن الأخير هو حاكم العاصمة ومدير إدارتها .

(٢) يبدو أن هدف الحـكومة البريطانى كان واضحاً وهو أن يعتقد أهل تـكيمان أن ظالميهم هم مواطنوهم ملوك الأشانتى .كما تبدو الحـكومة البريطانية أمام ملوك الأشانتى أنها لاتود التدخل فيما تحترمه التقـاليد والعـادات الوطنية المصطلح عليها بين ملك الأشانتى والتابعين له (المترجم)

مأمور منطقتهم الذى تجاهلوه كما تجاهلوا الكتابة إلى مكتب الإدارة الذى أنشىء حديثاً ، والذى كان اختصاصه غير مألوف لديهم . وطال الأمر حتى مايو . هذا فى الوقت الذى حدث فيه عدد آخر من النكبات التى هزت شعب تكيمان هزاً عنيفاً .

فقد أمضى النانا طول شهر يناير سنة ١٩٤٩ فى أكرا من أجل مباحثة محاميه الدكتور دنكوا فى رفض الحاكم الاقتراح الذى تقدم به بشأن تأليف لجنة تحقيق لنظر الخلاف بين الأشانتى وتكيمان . وفى نفس الوقت استشار النانا محامياً آخر هو المستر لاربى Larbi ليرى مايستطيع أن يفعله فى كل قضايا الأرض التى كانت تكيمان فى دوامتها . وكذلك مصادرة أملاك تانوسوهينى وتوبودوم هينى واوفومان الثانية هينى . الذين أوقفوا عن العمل مما أدى إلى خسارتهم آلاف الجنيهات .

وفى السادس من فبراير ترك النانا أكرا للاشتراك فى الاحتفالات الجنائزية المعتادة لكواكى فاه أودن هينى المتوفى. والذى أشار النانا إلى موته فى الخطاب الذى أرسله إلى فى ديسمبر ، كما حدثت حادثة أخرى أرسلت إلى بتفاصيلها الملكة الأم ومعها عشرة من شيوخ مجلس الدولة فى خطاب لهم مؤرخ فى الرابع والعشرين من فبراير .

عزيزتى السيدة إيفا :

نحن آسفون أشد الأسف لأن نكتب عن حادثة حدثت هنا فى سابع الجارى تختص بأومان هينى[1] الذى أصاب بطلقة غير متعمدة أحد رعاياه، فقد عاد أومان هينى من زيارة لأكرا بعد طول غياب عن وطنه وكان وصوله مساء سادس الجارى . وأقامت الدولة لذلك احتفالا كبيراً استمر طول الليل . وفى اليوم التالى قدمت فرقة الموسيقى النحاسية أوروا Aworowa لترحب بملكهم العزيز الذى عاد إلى وطنه

(١) أومان هينى معناها ملك أومان .

واستمرت الموسيقى تعزف طول النهار . وحوالى الساعة الرابعة والنصف ذهب أومان هينى ومعه الفرقة الخاصة بادوئن هينى المتوفى إلى منزله لمواساة عائلته المفجوعة . إذ إن أدوين هينى كان قد مات خلال غيابه . وعندما دخل إلى المنزل كان عليه أن يقوم بطقس معين وذلك بإطلاق عيار نارى فى الهواء . فأرسل من يحضر بندقيته من منزله[1] وأراد النانا أن يحشوها بنفسه على نحو ماجرت العادة عندما يموت شيخ بارز، ولم يكن يعلم أن الرسول الذى أرسل لإحضار البندقية قد حشاها قبل أن يعطيه إياها ليرقص وهو ممسك بها على طريقة الاستعراض الملكى . وبلغ الحماس أن دفعه بعض الناس فسقطت البندقية من يده فانطلقت وأصيب ابن عمه بطلقة ومات فى مستشفى كوماسى بعد ثلاثة أيام ، كما أصيب أحد حملة العرش بطلقتين ولكنه شفى الآن تماماً .

وقبض على أومان هينى عند منتصف الليل بواسطة اثنين من قوة البوليس فى كوماسى ومعهما بعض أفراد من البوليس الراكب وأرسلوا إلى كوماسى دون أن يعلم بذلك شيوخ دولته أو الزعماء أو الشعب . وقد عومل أومان هينى معاملة سيئة إلى حد أن لم يمنح فرصة ليعين تابعاً له يعهد إليه بالمحافظة على قصره . وحتى الآن لانعرف نحن كيف ندير القصر . وهناك فتش الملك وأخذت منه كل حاجياته . وأمر أن يظل خارج أشانتى حتى يحين موعد نظر القضية . هذا هو الموقف فى تكيمان الآن . إن إخلاصنا لأومان هينى لن يتزعزع مطلقاً ولن نتخلى عن أومان هينى . إنها كانت حادثة عرضية ولكن قضيتنا هى التى دفعت بالحكومة إلى اتخاذ هذا الموقف معه من أجل التحرش به كوسيلة للضغط علينا . ونحن من جانبنا لن نتقهقر عن قضيتنا حتى تأخذ العدالة مجراها .

١) كان من المعتاد استعمال البنادق الدانمركية القديمة لهذا الغرض ولكن من أجل تكريم ملكهم أحضر القوم له بندقية حديثة ذات طلقتين . وقد استمدت البنادق الدانمركية اسمها من التجار الدانمركيين الذين كانوا يتاجرون فى البنادق والرقيق منذ القرن السابع عشر فى قلعة كرستيان بورج بالقرب من أكرا .

نسأل الله . القادر على كل شيء أن يهبك العمر الطويل لتدافعى عن العدالة من أجلنا كما عهدناك دائماً . ومرة أخرى نبعث إليك بشكرنا لاهتمامك بقضيتنا مع أخلص تحياتنا وسنظل داعاً (أختامهم) . باسم دولة تـكيمان .

وهذا يدل بوضوح تام على أن النانا عومل من البوليس معاملة غير لائقة . فهو ملك خطف فى منتصف الليل فى الوقت الذى كان فيه شعب المدينة والحرس نائمين من جراء الإجهاد المرهق والخوف أو الصلاة بحرارة . وهو أمر ليس من العدل فى شيء، فالعادات الوطنية تحتم أن يتصل ضباط البوليس أولا بجياز هينى G aashene الذى عهد إليه بالقصر بصفته كبير المشرفين . ورجال البوليس الأفريقيون الذين ظلوا فى غرفة نوم النانا لحراستها — بينما كان هو يؤخذ إلى السيارة — سرقوا كل ماوجدوه من أشياء ثمينة كقطع الذهب والتبر الملكى الذى تملأ به المراتب والوسادات الملكية وكذلك الجواهر والحلى الذهبية التى تخص منصبه السامى . فالملك لا بد له أن ينام على الذهب الذى يعتقد أنه يبعث النشاط فى قوته التى تمنحه الحياة خلال الليل[١] كما سرقوا مبالغ كبيرة من المال . إذ ليس هناك مصرف فى تـكيمان . وأقرب مصرف إليهم فى كوماسى . وقد أثارنى هذا العمل . وكان يتحتم على أن أعمل شيئاً ، ولـكن شعب النانا كان يخاف أن يؤدى رفع الشكوى عن المسروقات سواء بواسطتى أو مباشرة إلى أن يقوم البوليس بتقديم دليل ضدهم. وسوف يكون فى هذه الحالة مصدقاً مادام الشعب غير قادر على إثبات دعواه . وحينئذ سوف ينكل بالنانا البعيد الآن عن بلده بوضعه أولا فى السجن ثم إبعاده إلى أكرا . علاوة على قلقه على خسارته الشخصية .

(١) روح الملك (كرا) لها قوة الشمس فى منح الحياة .

واتهم النانا بتهمتى القتل الخطأ نتيجة للإهمال وحشو بندقية داخل المدينة. نظرت القضية أولاً أمام المحكمة الابتدائية فى «كوماسى» وأطلق سراحه بكفالة ، إلى أن يحين موعد محاكمته أمام محكمة الاستئناف فى كوماسى. وهناك فى كوماسى عاصمة الأشانتى لقى النانا مزيداً من الإهانات ، لاسيما وهو فى حالة ثورة ضد الأشانتى هينى . وقد بذل محاموه جهدهم لنقل القضية إلى المحكمة الجزئية فى أكرا ولـكنهم فشلوا — وفى الثانى من أبريل أبلغت أن القضية قد حفظت وكتب إلى مسروراً يقول إنه حتى نهاية القضية بالحفظ لم ير سعادة القاضى ومستشاروه حتى مجرد استدعائه للدفاع عن نفسه .

وحدث أن سمعت إحدى زوجاته أن زوجها قد قبض عليه وأرسل إلى مكان مجهول فولدت بنتاً قبل موعدها . وكتب إلى النانا بذلك يقول :

(قررت ومعى شيوخى أن نسمى هذه الطفـلة باسمك تقديراً لـكل مافعلته من أجل تـكيمان — إنى أرغب فى أن أحصل على موافقتك قبل أن نفعل ذلك — أرجو أن تتكرمى فتبلغينى قرارك . وإذا فعلت فستباشر تربيتها حالاً بعد تسميتها باسمك . إن هـذا الأمر سوف يجعل دولتى تتذكر إلى الأبد أعمالك الطيبة ومجهودك الصادق من أجل تـكيمان) . ولست فى حاجة لأن أذكر أنى قبلت هذا الوسام الحى . وبذلك أصبحت لى ابنة هى إيفا الصغيرة لأن ذلك لايعنى مجرد الإسم . بل لابد أن آخذها حين تبلغ الخامسة كي تـكون صورة منى . وحدث بعد سنة أن ماتت أمها أكوزوا أنـكوما Akosua Ankoma . ولم يكن لى منزل خاص . ولما كان لابد لها أن تأتى معى إلى جنوب أفريقيا وإلى غيرها من أجزاء العالم التى أسافر إليها حين تبلغ الخامسة (وهى الآن فى العاشرة) فقد تقرر أن تبقى مع أبيها .

وبعد إطلاق سراح النانا أثيرت الحرب الباردة التى كانت بين تـكيمان وأشانتى مرة أخرى ، فقد أبلغنى الشيوخ فى التاسع عشر من أبريل أنه (بعد إطلاق سراح النانا) طلب الأشانتى هينى باسم مجلس اتحاد ممالك الأشانتى أن يقبض على تكيمان

هينى . ولكن أمكن تجنب ذلك عن طريق أحد الأصدقاء الذى أبلغ تكيمان الخطر المرتقب قبل وقوعه فترك تكيمان هينى كوماسى فى الحال ، فحوصر منزله بواسطة نفر من بوليس أشانتى الوطنى . وختم الشيوخ خطابهم بأن طلبوا منى أن أواصل السعى لمساعدتهم .

وفى مايو علم النانا عن طريق جواسيسه الخصوصيين أن كبير المفتشين فى أشانتى عول على تجديد إيقاف النانا عن منصبه لسنة أخرى . فرجانى فى خطاب مؤرخ فى العشرين من مايو أن أتصل بوزارة المستعمرات للاحتجاج على ذلك (ومنع معاودة الإيقاف ، لأن ذلك - إذا تم - سوف يعرض وحدة شعب تكيمان للخطر . وعلى الرغم من أن أغلبيتهم تؤيده فمن المحتمل أن يؤدى مثل هذا الإيقاف تلقائياً إلى بلبلة الأفكار عند بعض الناس بشأن بعض الأمور . أؤمل أن تبذلى جهدك لمساعدتنا . وفى نفس الوقت سأحاول أنا أن أشرح الأمر لشعبى . وليس معنى ذلك أن شعبى غير متحد ، بل إن ذلك سوف يؤدى إلى بلبلة أفكار بعضهم كما ذكرت ، وسوف أكون مسروراً جداً إذا لم يحدث هذا ، عن طريق ماتبذلينه من المساعدة) .

وفى الثالث عشر من يونيو نشر الإيقاف الثانى للنانا فى الجريدة الرسمية لساحل الذهب . وكتب إلى النانا بذلك يقول :

(تجدين مرفقاً بهذا نسخة من الجريدة الرسمية رقم ٥٠ بتاريخ ١٣ يونيو سنة ١٩٤٩ ، وفيها ترين القرار الذى صدر ضد تكيمان كما سبق أن كتبت لك . يسرنى أن أكتب لك أن شعبى من ورائى ينصرنى بشدة . ولم يتحول أحد منهم قيد شعرة عن ولائه(١) .

---

(١) مايعبر عنه بالوقف عن العمل لملك لولاية وطنية عبر عنه بوضوح الدكتور رنكوا فى خطاب مؤرخ فى يونيو سنة ١٩٤٨ إلى ميشيل فوت أحد أعضاء مجلس العموم . يتلخص الموقف فى أن حكومة ساحل الذهب تملك سلطة إقامة أو إلغاء سلطة وطنية أو محكمة وطنية . =

وفى الرابع والعشرين من يونيو صمم شعب تكيمان على أن يباشر الأمر بنفسه فكتبوا إلى رئيس المفتشين فى الأشانتى وإلى المأمور الأول للمنطقة فى سنيانى Sunyani وإلى مأمور المنطقة فى ونكى (أنهم قد أدوا الضرائب المفروضة عليهم عن سنتى ١٩٤٨ر٤٩ وأنهم أبدوا رغبتهم فى الاستمرار فى دفعها. فى الوقت الذى لم تف الحكومة بالتزاماتها المالية . بل إنها قطعت إعاناتها المالية لجميع المدارس فى الولاية . وعلى ذلك فجميع شعب تكيمان قد عبر فى اجتماع عقد فى القصر الملكى فى الرابع والعشرين من يونيو سنة ١٩٤٩ عن سخطه وعدم ارتياحه لمجافاة العدالة فيما يجرى من محاولة الوقوف فى وجه التقدم والنفع العام فى تكيمان . فاتفقوا على أن يتصرفوا على الوجه التالى :-

١ - تسجل دولة تكيمان احتجاجاً على ما قدر لها من الاعتمادات فى ميزانية ١٩٤٩ / ٥٠ وما بعدها . وسوف يمتنع الشعب عن دفع أية ضرائب على مايباشره مأمور المنطقة من أمور ، مالم تسو الخلافات التى نشبت بين الحكومة (المركزية) وشعب تكيمان ، والتى أدت إلى وقف تقدمها .

٢ - إن التقديرات المالية للمدة ١٩٤٩/٥٠ يجب أن تقدر بواسطة الشعب نفسه على أن تدفع إلى خزانته الخاصة ، لاسيما وأن مصادر هذا الإيراد هى ضرائب يدفعها الشعب على أساس اختيارى .

= وكقاعدة يشترك زعماء المنطقة فى عمل هذه السلطة أو المحكمة الوطنية وبدونهم لاتستطيع الإدارة أن تسير باستقرار فى منطقة معينة .

وعندما أوقف تكيمان هينى كسلطة وطنية انتقلت سلطته الإدارية على شعبه وعلى خزانة الدولة إلى مأمور المنطقة وبالتالى توقف هو وزعماؤه عن الاشتراك فى المحاكم الوطنية فى مدينتهم تكيمان . وبذلك حرم الشعب من المحاكم المدنية التى تنظر قضاياهم المحلية بينما نظر مأمور المنطقة أمام محكمته - بصفته قاضياً - القضايا الجنائية فى المدينة . والإفريقى يرى فى زعيمه رئيس الإدارة والمحكمة . والموقف الآن يتجه إلى تهوين شأن الكرامة التقليدية والسلطة التى لتكيمان هينى وزعمائه وشيوخ دولته (فى نظر الشعب) .

وتلا ذلك حساب مفصل عن رغبة الشعب فيما يريد أن يصرف لهم من اعتمادات على شكل مخصصات لتكيمان هينى والشيوخ والزعماء ونوابهم . ومنح لزوجات النانا والأسلاف الملكيين . وإعانات للمدارس فى الولاية وكذلك من أجل إنشاء ملاعب ومستشفيات . وفى نفس الوقت تقريباً ، جهز الدكتور دنكوا باسم النانا وحكومته التماساً إلى جلالة الملك جورج السادس (بعد أن فشلت العريضة التى وجهت إلى الحاكم العام فى أن تأتى بأية نتائج) وقد أرسل الالتماس أولا طبقا للعادة المحلية — إلى مأمور المنطقة فى ونكى وإلى المأمور الأول سنيانى وإلى رئيس المفتشين فى أشانتى وبعد أن أشر عليه كل واحد بما يرى ، أرسل إلى الحاكم العام لساحل الذهب . وقام هذا بدراسة الوثائق بإمعان وأرسلها مشفوعة بملاحظاته إلى وزارة المستعمرات وقامت هذه بكتابة مقترحاتها وسلمتها إلى جلالة الملك . ولما كانت هذه الإجراءات تستغرق وقتاً طويلاً أرسل النانا إلى نسختين من هذه العريضة لأستفيد منهما على الصورة التى أراها مناسبة وقد شفعت الصورتان بهذا الخطاب .

عزيزتى السيدة إيفا ميروفتش :

هذا التماس إليك من أجل التدخل لدى حكومة ساحل الذهب باسم شعب تكيمان — نحن الموقعين أدناه أكومفى إمبياو الثالث تكيمان هينى وشيوخ دولة تكيمان . نتشرف بأن نرفع إليك هذا الالتماس من أجل مساعدتهم لئلا نهلك . فقد أسيئت معاملتنا بواسطة الحكومة المحلية . وسوف يعطيك الالتماس المرفق صورة واضحة عما حدث فى الماضى وما يحدث الآن بين كوماسى (الأشانتى) من ناحية وتكيمان (بونو) من ناحية أخرى . نحن لا نجرؤ على أن نوجه اللوم إلى أحد ، وعلى الرغم من هذا فلدينا شعور قوى بأن كل ما حدث كان نتيجة التعالى وقلة الإدراك والفهم العميقين للقيم الثقافية والتاريخ والنظم الخاصة بشعب الأكان ، من ناحية الرجال الرسميين فى الحكومة البريطانية المحلية .

والآن نستطيع أن نحكم — نتيجة لنجاحك فى دراستك لنا خلال عامين —

أنك ، ياسيدتى ، الوحيدة القادرة على أن تقدمى وتناضلى فى سبيل قضيتنا ولذا نطلب أن تساعدينا رسمياً ، فتدخلك فى الأمر واتصالك بالحكومة المحلية أو فى انجلترا ، سوف يؤدى إلى بعض العدل فى قضيتنا .

نسأل الله أن يهبك القوة والشجاعة للنضال من أجل قضية شعب مسكين .

التوقيعات :

أكومفى أمياو الثالث		تكيمان هينى
ياوابوا	جياز هينى	Yaw Aboah
كوا كوفان	أدويتوهينى	Kwako Fan
كوافى تابرى	كواموهينى	Kwafi Tabri
كوافى يوزو	كوافى هينى	Kwafi Wusu
ياو دوكور	أنكوباهينى	Yaw Doukor
كوفى يبوا	كيدوم هينى	Kofi Yeboa
ياونوينيم	نيفاهينى	Yaw Nwinim
كواكو أجيبونج	بنكوم هينى	Kwaku Agyepong
كواكو أنكامى	أكيام بن هينى	Kwaku Ankameh
أفوا أبرافى	الملكة الأم .	Afua Abrafi

ملحوظة : ستجدين أن الورقة المرفقة تتضمن التماساً ، إلى سعادة الحاكم العام ، ولم أتسلم عنه رداً إلى الآن . وسوف أبلغك إياه حال وصوله .

أكومفى أمياو الثالث — تكيمان هينى

كان ذلك فى الثامن والعشرين من أغسطس . ومر سبتمبر هادئاً . ولم يثر الخلاف قبل نوفمبر وكنت قد وصلت إلى تكيمان فى الثالث من أكتوبر .

الفصل الثانى

أكتوبر سنة ١٩٤٩

فى الطريق إلى تكيمان والوصول إليها : عندما كنت فى أكرا أبرقت إلى مأمور المنطقة فى ونكى ليحجز لى الاستراحة فى تكيمان ، التى سوف أصل إليها فى الثالث من أكتوبر . ولكنى لم أتلق رداً فأبرقت إليه مرة أخرى من كوماسى . لأن الاستراحة إذا كانت مشغولة لا يبقى هناك مكان آخر أقيم فيه . وأنا أعرف أن الباانا سوف يكون مسروراً إذا هيأ لى مكاناً فى أفضل بيوت المدينة . ولكنى أفضل دائماً الاستراحة حيث أملك حريتى . فضلا عن أنها تبعد قرابة الميل عن المدينة مما يجعلها أقل تعرضاً لهجمات البعوض وبالتالى للملاريا .

وحتى صباح الثالث من أكتوبر لم أتلق من المأمور رداً رغم أنى أرسلت إليه من قبل ببرقية ثالثة وحينئذ قررت أن أبرح كوماسى بعد الغداء وأمكث حيث كنت أقيم فى الاستراحة القديمة ، سواء تلقيت رداً أم لا . وفى الساعة الحادية عشرة عندما بدأت فى حزم حقائبى الخاصة قدم إلى طباخى سانتوس وأعلن قدوم ثلاثة من الغرباء لزيارتي . وسألته عما إذا كنت أعرفهم من قبل ، فهز كتفيه ، وقال إنهم سود يا سيدتى . والعلم البريطانى يرفرف على مقدم سيارتهم . فظننت أنهم لابد أن يكونوا زعماء . على الرغم من معرفتى أنه غير مسموح لأحد برفع العلم البريطانى غير كبار موظفى الحكومة ، فأمرته أن يرافقهم إلى غرفة الطعام .

وعندما دخل الزوار كنت واثقة من أنى لم أرهم من قبل . ولما كنت أظن

أن فى الأمر خطأ سألتهم عما إذا كانوا يقصدوننى حقيقة . فضحكوا وابتسمت لهم ثم تجهمت . وبعد أن جلسوا مدوا أيديهم مسلمين عبر المائدة . فبدأت أسألهم — طبقاً للعادات الوطنية — من هم ؟ وما هى مهمتهم ؟ فقام واحد منهم وقدم نفسه إلى قائلا: أفوى رنج Afwiring أحد سكرتيرى تـكيمان هينى نانا أكومفى أمياو الثالث . وأشار إلى الشاب الصغير الذى يليه وقدمه إلى قائلاً مستر أوزو Owusu حفيد عرش تـكيمان . وأحد الأمراء(١) .

وكان الثالث السرجنت ايرتى Ayerttey سائق السيارة الملكية ـ وتتلخص مهمتهم فى أن يحملونى إلى تـكيمان دون إبطاء فالنانا والشعب فى المدينة ينتظروننى منذ الصباح الباكر . وقد أرسل النانا هؤلاء ليقابلونى فى الطريق . كى أدخل تـكيمان دخولا رسمياً . ورفعوا العلم البريطانى على مقدم السيارة زيادة فى تـكريمى . ولما لم يجدونى فى الطريق دخلوا كوماسى للبحث عنى . وبعد أن زالت دهشتى سألت أفوى رنج عما إذا كانت الاستراحة فى تـكيمان مشغولة فأجابنى مداعباً (نعم طبعاً ألا تعرفين أن تـكيمان تعتبر فى الوقت الحاضر منطقة غير مأمونة للأوروبيين . فالحكومة ما زالت تعتبرنا ثواراً .) وضحك الجميع من كل قلوبهم . فأخبرتهم أنى قد أبرقت إلى مأمور المنطقة ليسمح لى بأن أقيم فى الاستراحة ، ولكنى لم أتلق رداً . فلم يدهشهم ذلك ، إذ إن جميع البرقيات لا تصل بسبب العواصف القوية المستمرة ولا يتسنى الإصلاح قبل أن يتحسن الجو . فارتحت لذلك كثيراً وبدأت أسألهم عما كان يجب على أن أسألهم عنه أولا . عن صحة النانا وصحة الملكة الأم . ولما كانت الأخبار كلها حسنة سألت عن الصغيرة إيفا فعلمت أنها على أحسن حال وكل شىء

(١) أبناء الملك لا يعتبرون أمراء بسبب اتباعهم هناك النظام الأموى فى وراثة العرش ولكن حفيد الملك إذا كانت أمه أميرة فى سلسلة النسب يعتبر أميراً ومن حقه أن يعتلى العرش فللولد حق أمه . ومستر أوزو كان أميرا .

يبعث على الرضى وشربنا بعض الجن ، وثرثرنا دون كلفة . وبعد لحظة اعتذر السرجنت عن نفسه بلباقة ، فسألته الأسئلة التى كنت أتحرق إلى سؤاله إياها منذ البداية . ماذا حدث فى الجو السياسى خلال الأسبوعين اللذين كنتهما فى البحر . هل من تقدم جديد ؟ فأجابنى بالسلب . وهنا جاء دورهم ليسألونى عما إذا كنت أعرف أخباراً أخرى . وعما جرى بشأن التماسهم إلى ملك بريطانيا فأخبرتهم أنها — على قدر ما أعلم — ما زالت فى يد الحاكم العام فى أكرا . وسألوا عن المعاهدة — — معاهدتهم مع جلالة الملكة فيكتوريا التى اكتشفت أمرها أخيراً — فهل ستساعد فى الأمر . فهززت كتفى .

وفجأة تنبهنا إلى أن الوقت يمر مسرعاً ، فأردنا أن نعجل بالسير إلى تـكيمان . ولما كنت أعرف أن زوارى قد يرغبون فى رؤية بعض أصدقائهم فى كوماسى . كما أرغب أنا فى تناول غذائى، اقترحت عليهم أن يكون رحيلنا فى الساعة الثانية فوافقوا وتواعدنا على أن يعودوا فى الوقت المحدد .

وفى الساعة الواحدة كانت عربتى على استعداد ووقف سائقى السرجنت كيوى kwe بجانبها يدخن سيجارته منتظراً وصول زميله السرجنت إيرتى ، مع سيارة النانا . وكلاهما كان خلال الحرب سائقاً لسيارات النقل فى بورما(١) . وكانا صديقين فكلاهما من الجا Ga وموطنها أكرا . ولكن سانتوس لم يكن قد استعد بعد . فقد كان مشغولا ينظف المطبخ ويجهز حاجياته الخاصة . وأخيراً وصل الجميع وبدأت رحلتنا .

وبعد سير استمر ساعتين ونصف الساعة وسط الغابة المدارية وصلنا مشارف

(١) وقف أهل غانة إلى جانب البريطانيين خلال الحرب وخدموهم فى المناطق التى لا يستطيع الجنود البيض تحمل جوها . فكان جزاؤهم ما نرى نموذجه فى هذا الكتاب (المترجم)

تكيمان . فوقفت السيارة الأمامية (التى كانت ترفع العلم) وسألنى أفوى‌رنج أن أنتقل إلى سيارة النانا حتى أدخل المدينة فى صحبة رسول النانا . وما إن فعلت حتى أعلن السرجنت إيرتى قدومى بأن نفخ فى البوق . فاندفع الناس من منازلهم نحو السيارة يلوحون مرحبين . وعند مفترق الطريق وقف شرطي المرور مستعداً فى كامل بزته والقفاز الأبيض فى يده فأوقف السيارة وحياني فى طريقة عسكرية والابتسامة تعلو وجهه ثم أشار للسيارة إلى طريق القصر . وعندما وصلنا مدخل القصر ، ترجلت وقادنى أفوى‌رنج ومعه أوزو إلى الفناء الخارجى خلال جموع هاتفة ، ومن هناك إلى فناء الاستقبال . وبعد أن سرنا بضع خطوات إلى اليمين وجدنا أنفسنا فى غرفة الاستقبال الصغيرة الخاصة بالنانا ، وقد فرشت على الطراز الأوروبى . وكان النانا هناك وحده ملتحفاً بقماش أبيض كالثلج على نحو ما كان يفعل أشراف الرومان، فاللون الأبيض بين الآكان يرمز إلى الفرح والسعادة فتقدم إلى وعانقنى ، ولما لم يكن قادراً على أن يقول شيئاً . فإنه استبقى يدى فى يده لمدة طويلة . وأخيراً أشار إلى كرسى وأجلسنى إلى جواره وتركنا كل من قدم معى . ولم يبق غير أفوى‌رنج ليقوم بمهمة الترجمة، وقبل أن نتكلم فى السياسة أو فى شئون تكيمان أحضر السقاة بعض النبيذ الهولندى لى ولم يشرب النانا لأنه مسلم متدين(١) . ووضعت الزجاجة والأكواب على مائدة صغيرة مغطاة بمفرش أبيض ، كما وضعت على المائدة أيضاً بضع زهور فى آنية ، إذ كان النانا يعرف أن العادات الأوروبية تحتم وجود الزهور عند الاحتفال بمناسبة من المناسبات . وقد أحضرت هذه الزهور — كما عرفت فيما بعد — من حديقة البعثة الكاثوليكية ، إذ كانت المكان الوحيد فى تكيمان الذى به حديقة .

---

(١) كان النانا قد اعتنق الإسلام بينما كان معظم الأسرة مسيحيا.

وبعد أن تحدثنا قرابة نصف الساعة . قدم بعض شيوخ النانا لتحيتى . ولكنهم خرجوا مسرعين. ودخل ضابط البوليس الإفريقى للمنطقة ، قادماً من ونكى . وكان يمر مصادفة فى تكيمان — ورجا أن يسمح له بمقابلتى وسمح له النانا بالدخول ، لأنه كان يعرف أن الضابط مكلف بأن يرفع إلى مأمور المنطقة فى ونكى وصفاً دقيقاً عن كيفية استقبالى ، وعلى طريقة البوليس فتح دفتره ليدون اسمى ووقت وصولى بالدقة ، ووقت رحيلى المرتقب . وغير ذلك من البيانات .

وعندما انتهى من عمله ابتسم لى ، كما ذكر اسمه وكذلك بعض المعلومات عنه كى أقوم بدورى بالتوصية عليه لدى المأمور .

وبعد قليل أبلغنى النانا أن شيوخ دولته مستعدون الآن للترحيب بى فى فناء الاستقبال وقادنى إلى خارج الغرفة ثم إلى الفناء . وإلى مكان فيه حيث كان قد أعد مقعد أوروبى عليه وسادة بيضاء وقد وضع تحت مظلة صغيرة من مظلات الدولة . فالمظلة بين الآكان رمز للطبقة التى ينتمى إليها الجالس تحتها فالملوك والزعماء فقط هم الذين لهم حق امتلاك مظلات . ووقف أفوى رنج بجانبي . وعندما جلس النانا على عرشه مرتفعاً على منصة ، نهضت — طبقاً لعادات الاحتفالات الوطنية — وسرت من فرد إلى آخر على اليمين واليسار كى أسلم على كل واحد منهم محيية . حتى إذا عدت إلى مكانى وجلست ، مر جميع الحاضرين ومعهم النانا أمامى فى صف ، يحيوننى بدورهم .

وعندما فرغنا من التحيات وقف متكلم باسم النانا يسألنى عن مهمتى . فقمت وشرحتها للحاضرين . ومستر أفوى رنج يترجم كلامى جملة جملة . قائلة : إنى قد أعطيت منحة من جامعة ساحل الذهب لأقوم بمزيد من الأبحاث بين الآكان ، فيما يختص بدياناتهم وعاداتهم . وقد أخذت تكيمان (ميداناً لعملى) لأن شعبها هم سلالة هؤلاء الذين حكموا مملكة البونو القوية كما أنهم الذين أقاموا أولى الحضارات فى ساحل الذهب . كما أنى أريد أن استكشف مزيداً من تاريخهم حتى أستطيع أن

أساعدهم بحرارة فى صراعهم ضد الحكومة . وقد أكدت لهم أنه لو كانت الحكومة تعلم مزيداً عن ماضيهم لما كانت هناك فرصة لسوء التفاهم، وسوف تتبين الحكومة أن القرى التسع التى سلبها الأشانتى فى سنة ١٩٣٥ تابعة لهم أصلا وأنها لا بد أن تعيدها إليهم .

(وقام النانا) وشكرنى ، وأجاب أن كل شىء سيبذل لمساعدتى فى عملى . ثم تحدث فى إيجاز مذكراً الحاضرين بأنى أعمل لصالح الدولة منذ سنة ١٩٤٤، وشكرنى باسم الشعب ورجانى فى نفس الوقت أن أوالى مساندة دولته فى صراعها من أجل حقوقها . وفى نهاية الحديث قال إنه ينبغى لى الآن أن أذهب إلى الاستراحة لأنى لابد مجهدة من جراء السفر .

وكانت الاستراحة تقع خارج البلدة مباشرة فى طريق نكورانزا ، وفى وسط الحشائش الطويلة المسماة بحشائش الفيل ، عند سفح تل صغير — وكان سانتوس مشغولا فى فك حاجياتى وترتيبها وكنت سعيدة بعودتى ، فقد بنيت الاستراحة على هيئة بنجالو (كشك) يحتوى على ثلاث غرف: إحداها للنوم وهى فى الخلف وتحتوى على سرير وصوان ومائدتين للزينة . والثانية للأكل وكانت مزودة بمائدة طويلة وعدد من الكراسى وصوان له واجهة من السلك لحفظ المشروبات والأطعمة . وكانت الغرفة الأمامية خالية فاستعملتها كمخزن ما دمت فى غير حاجة إلى غرفة للأولاد . وقد نام كل من سانتوس والسرجنت كوى فى هذه الغرفة الأمامية ولكل منهما حصير يفرشه على الأرض كل مساء . وكانت هناك شرفة تحيط بالمنزل والنوافذ لها شيش محكم وتطل على منطقة مجزوزة الحشائش تنمو فيها بضعة أشجار قصيرة . وكان المطبخ يقابل باب المدخل من الناحية الأخرى وبه موقد قديم ، وبعض حزم من خشب الوقود وآنية للماء ومائدة — وكان للاستراحة حارس له زوجتان وأولاد يعيشون جميعاً فى كوخين بالقرب من الطريق .

ولم أكد أجلس حتى قدم عدد من الزوار أولهم كونستابل وطنى قدم من عند النانا يحمل خطاباً هذا نصه :

عزيزتى السيدة إيفا .

طلبت من البوليس الخاص بى أن يقوم بحراستك ليلاً ونهاراً إلى وقت رحيلك عنا . شكراً وتحية . المخلص : تكيمان هينى .

كان الخطاب مختوماً بخاتمه وتوقيع كاتبه الذى ترجم الخطاب ، إلى الإنجليزية .

وكان كونستابل الإدارة الوطنية ، الذى حمل الخطاب رجلاً عجوزاً عمل فى سابق أيامه فى الحرس الملكى . وكان يقف عند المدخل حتى الساعة السادسة ويحل محله آخر من فرقته . ولما كنت أكره أن أحرس خلال النهار كما وجدت هذه الحراسة غير ضرورية ، فقد سألت النانا فى اليوم التالى أن تقتصر الحراسة على الليل فقط ، ووافق النانا على ذلك .

وتبع الحارس (الذى كان أول زائرى) رئيس المتكلمين باسم الملك كوابينا أجاى Kwabena Adjaye ثم المتكلم باسم الملكة الأم ووصلا راكبين سيارة استعاراها من الجمعية التعاونية وشربا نصف زجاجة من الجن وأخذا الزجاجة الفارغة معهما كى يظهرا للنانا كيف أحسنت استقبالهما . (وكان ثمن زجاجة الجن فى ذلك الوقت اثنى عشر شلنا وستة بنسات فى أكرا ولكنها كانت تباع فى السوق السوداء فى تكيمان بسبعة وعشرين شلنا إذ منع النانا بيع الخمور فى دولته كى لا يشجع الناس على الشراب) وبعد ساعة قدم النانا نفسه يصحبه أفوىرنج وكورونتى هينىواسمه كوامو أبانكوا kwaame Abankwa ونستطيع أن نسميه نائب الملك . وتانوسوهينى ياومنسا Yaw Mensa وهو شيخ تانوسو الذى يعيش منفياً فى تكيمان . (كانت تانوسو إحدى القرى المتنازع عليها) ودار الحديث حول سياسة الدولة بعامة لاتكيمان

بخاصة . فوقتئذ كانت غانة كلها فى اضطراب ، عندما كتبت لجنة كوزى تقريرها الذى ترتب على قبوله إدخال قدر كبير من الحكم الذاتى لساحل الذهب . ورحل الضيوف متأخرين وترك النانا منديله كما ترك كوروننى هينى صندله ، وقد سرنى ذلك كثيراً إذ رأيت ذلك دليلا على أنهما شعرا بالألفة عندى .

وسلمتهما فى الصباح التالى إلى تابع فى القصر ، فقبلهما فى انشراح . ثم أوصلنى هذا التابع إلى آخر قادنى إلى حضرة النانا ، فقدمت له الشكر على استقباله الحافل لى فى اليوم السابق فأمر النانا بإحضار ابنته إيفا لأرى طفلتى فأحضرها السرجنت إيرتى إذ كانت أمها لا تستطيع الحضور ووضعها بين ذراعى . وكانت طفلة رقيقة بلغت سبعة أشهر من عمرها . ولبست لهذه المناسبة فستاناً صوفياً أبيض وجوربين من الصوف وقبعة بيضاء .

مسكينة هذه الصغيرة . إنها تتنفس بصعوبة من جراء هذه الملابس فى هذا الجو الحار ، ولذا كان العرق يبللها . وعندما بدأت تصرخ خائفة من وجهى الأبيض غير المألوف لديها أعدتها إلى إيرتى . فتناولها بين ذراعيه باللطف والرقة المأثورين عن الإفريقيين تجاه الأطفال ، واقترح النانا أن آخذ الصغيرة معى إلى الاستراحة بعد زيارتى للملكة الأم ووافقت بسرور لأنى أردت أن أعطيها هداياى : جلجل (شخشيخة) وحلة كاملة للأطفال مناسبة لهذا الجو الحار .

وذهبت تواً إلى منزل الملكة الأم يصحبنى أفوى رنج الذى قام بعمل المترجم . والملكة الأم وهى نانا إفوا ابرافى Nana Afua Abrafi شابة مرحة استقبلتنا فى الفناء حيث كانت تجلس مع زوجها نانا كودجوكوراى Nana kojo Kuray وكان ابن عمها وابن عم النانا . ومعها امرأتان أكبر منها سناً يعملان فى مجلس النساء . وبعد برهة استدعت ولديها لمقابلتى . كوابينا Kwabena وكان طفلا يبلغ الثالثة من عمره . وأفوا Afua وهى طفلة لم تبلغ العام الأول لم تستطع المشى بعد . وكان

كلاهما عريان . وكان ذلك طبيعيا فى ذلك الجو الحار . وألفى كوابينا بسرعة ، الأمر الذى سر الملكة الأم لاسيما حين قال : ـ وقد تناول يدى ـ عندما أكبر سأتزوجك .

وبعد أيام قليلة ردت الملكة الأم الزيارة لى مع حاشيتها(١) وأحضرت معها ولديها وأخذ كوابينا العروس التى كنت قد انتويت أن أعطيها لأخته وبعث السرور فى نفس الجميع ، حين أعلن للمرة الثانية نيته فى أن يتزوجنى . ثم أشار إلى العروسة وقال عنها إنها طفلتنا . وعند عودتى من بيت الملكة الأم إلى الاستراحة قابلت أفراداً كثيرين من شعب النانا فى الطريق وقد قدموا يحملون إلى الهدايا من الدواجن والبيض واليام والبرتقال والليمون والموز . وشكرتهم على هداياهم ، التى كان من الصعب الحصول على مثلها من السوق فى مثل هذا الوقت ، لاسيما وأن أصنافها جيدة تفضل بكثير ما يجده الإنسان فى السوق وتكررت هذه الهدايا كل ثلاثة أيام .

واحتفال الدربار تكريما لى :

وفى الصباح الباكر من اليوم التالى قدم رسول ملكى يبلغنى أن الدولة ستقيم لى احتفالا رسمياً فى الساعة الواحدة . كما أخبرت أن النانا يرغب فى أن أظل بالمنزل إلى أن يحين الوقت كى أكون منتعشة لهذه المناسبة . ولذلك قضيت الصباح هادئة فى القراءة لا يزعجنى أحد من الزوار ثم لبست فستاناً أزرق وتقبعت بقبعة شمس بدلا من القبعة العادية . فلما وصلت إلى الشارع الرئيسى فى سيارتى وجدت الجماهير قد سدت الطريق حتى استحال على التقدم ، وكل منهم يحيينى . وحاول كثيرون أن يسلموا على

---

(١) الملكة الأم فى دولة الأكان هى التى تحكم النساء . ولها مجلس خاص من كبار السن منهن كما أن لها بلاطاً خاصا . تقوم فيه بنظر قضايا الزواج والطلاق ، والنفقة وتهم الخيانة والاغتصاب وغير ذلك من القضايا التى يكون للنساء دور فيها ، ولها بوليسها الخاص ، وخزانتها الخاصة . وقد اختير هذا الاصطلاح الأوروبى لأنها دستورياً أم الملك سواء كانت أماً حقيقية له أم لا . وغالبـاً ما تكون أخته أو بنت عمه ولقبها هيما Hemma ومعناها الحرف الملك الأنثى .

بأيديهم خلال نوافذ السيارة وصاحت بعض السيدات بعبارات تعبر عن عواطفهن حتى إذا وصلت إلى مدخل الميدان المواجه للقصر قابلنى انكوما Ankoma مفتش البوليس الوطنى وأفوى رنج اللذان أخبرانى أن الاحتفال لن يقام فى القصر ، بل فى الميدان ؛ حتى تستطيع الجماهير مشاهدته . فلم يكن أمامى إلا أن أترجل عن السيارة واستعمل رجال البوليس عصيهم القصيرة ليفسحوا الطريق لى ولزملائى. وأخيراً، والناس ورائى ، وقفت وحدى فى مواجهة جمع حاشد . وبلغت دهشتى مداها حين تعذرت على الحركة ، ورأيت النانا ورجال حاشيته والملكة الأم ومعها سيداتها جالسين فى نهاية الميدان . ونظرت إلى اليمين فرأيت زعماء الدولة فى صف واحد ومعهم أتباعهم وعلى اليسار اصطف مدرسو تكيمان وأطفال المدارس والتجار وكتبة المدينة . ولم تلبث أن خفتت أصوات الترحيب التى كانت الجموع تطلقها وساد الصمت فى انتظار أن يبدأ الاحتفال . وأعلن قدومى بعزف السلام الملكى البريطانى، عزفته أربع فرق نحاسية . وفجأة تبينت عظمة المناسبة، فليس هذا احتفالا عاديا إنه احتفال الدربار الذى كان للحاكم العام لساحل الذهب فقط حق حضوره كل عام .

وقادنى أنكوما ومعه أفوريج لأطوف حول الميدان . وتبعنا من يعلن اسم كل زعيم حين كنت أحييه بهز اليد . كثيرون منهم كنت قد عرفتهم خلال زيارتى السابقة ، وكثيرون احتفظوا بيدى فى أيديهم مدة . بينما كانوا يبتسمون ابتسامة تنم عن عاطفتهم الودية . وكونوا — وهم ملتحفون بملاحفهم الملونة المزينة بالحلى الذهبية وجالسون تحت مظلاتهم الكبيرة التى تدل على مراتبهم — منظراً فريداً .

ورغم أن وجهى قد بدا جامداً فى شبه ابتسامة، وذراعاى قد كلتا من الهز المتواصل، كان على أن أقوم بنفس الإجراءات مع شيوخ الملك وموظفى القصر . وسيدات الملكة الأم . وعندما تقدمت لأحيى الفانا همس قائلا إنه سعيد بوجودى . وجلس الملك تحت المظلة المزدوجة الفخمة التى لأسلافه ملوك بونو . وقد تحلى بكل الحلى . فلبس

ثوباً قرمزياً من القطيفة الثقيلة مطرزاً بالشعارات الملكية فى كثرة ظاهرة وعليه العقود والأساور والخواتم والخلاخيل وغير ذلك من الحلى الذهبية . وحول رأسه تاج مغطى بمثلثات ذهبية . ولم أره قبل ذلك فى مثل هذا الثياب وهذه الصحة . كان يبلغ الأربعين من عمره . وعلى يمينه جلست الملكة الأم محاطة بحاشيتها وقد لبست أبهى ملابسها ولكن دون حلى من الذهب أو الفضة ، ومعها كوبينا الصغير الذى قد يصبح — بسبب نظام الوراثة الأموى — يوما من الأيام ملكا . وعلى اليسار جلس المدرسون وطلبة المدارس والتجار والكتبة فحييتهم بإحناء رأسى وقادنى أنكوما وأفوريج إلى مكانى تحت مظلة من مظلات الدولة أصغر حجما كانت أمام الجميع . وعزفت الموسيقى — بعد النشيد الملكى — بعض القطع الموسيقية الإنجليزية لتدخل السرور إلى قلبى ، وكان لابد لى أن ابتسم لأنى لست بإنجليزية . كما عزفت بعض أجزاء من السلام الملكى .

وجلست على معقد وضعت عليه وسادة بيضاء ، بينما وقف أنكوما بجانبى واتخذ أفوريج مكانه على الجانب الآخر من المائدة ، وقد وضع عليها إناء به بعض الزهور . وساد الصمت وقام أكيامى هينى Akyeamehene رئيس المتكلمين باسم الملك ومعه خمسة من هؤلاء المتكلمين وجلسوا أمام حاملى السيوف ، الذين كانوا يجلسون على الأرض فى صفين أمام النانا ، ممسكين فى أيديهم بسيوف الدولة المذهبة المقابض بينما أمسك المتكلمون باسم الملك بصوالجهم الطويلة الذهبية رمز مناصبهم . وأعلن المذيع الصمت وتوجه أكيامى هينى إلى بالكلام ليسألنى عن مهمتى . فذكرتها لهم مرة أخرى كى يسمعها جميع الشعب . وترجم أفوريج ما قلته جملة بجملة وملخصها أنى قدمت لدراسة دياناتهم وعاداتهم وأساطيرهم التاريخية من أجل أن أضع كل ذلك فى كتاب ليحفظ على الدوام كل شىء عن الماضى . وقد أشرت لهم أنه لما كان كثيرون منهم قد أصبحوا أقرب إلى الغرب ، وأولادهم قد ذهبوا إلى المدارس يتعلمون

الطرق الأوروبية فإنهم لم يعودوا يهتمون بالقديم . ولا بد أن تكون نتيجة ذلك ضياع ذلك القديم الثمين ، وأنا متأكدة أن أبناء أبنائهم سوف يشعرون بالجميل حين يعلمون أنهم قد أعطوا هذه المعلومات لشخص يستطيع أن يدون تاريخهم القديم وتقاليدهم قبل أن تضيع .

وأجاب النانا على باسم الدولة عن طريق رئيس المتكلمين أن كل مساعدة ممكنة ستبذل لى حتى يعلم العالم كل شىء عن حضارتهم العظيمة التى انتهت لسوء الحظ عندما غزا الأشانتى مملكة بونو . ورجانى أن أخبره وأخبر شعبه معه عن قضيتهم وعما ظنته وزارة المستعمرات فى لندن عنها . ومتى يعنى جلالة ملك إنجلترا بالرد على التماسهم . ولم أكن مستعدة فى ذلك الوقت للإجابة على هذا السؤال فلم أدر ماذا أقول . ثم وقفت ثانية لأخبرهم على قدر ما أستطيع من خلال اتصالى بوزارة المستعمرات باسمهم عن صعوبات الحكومة البريطانية فى إيجاد الحل المناسب العادل لهم وللأشانتى وشرحت لهم أن الحكومة ما زالت تلمس الدليل على أن القرى التسع التى اغتصبها أشانتى هينى نانا برمبه الثانى Nana Premph II من تكيمان عندما أعادت الحكومة اتحاد ممالك الأشانتى فى سنة ١٩٣٥ ، كانت تخص تكيمان قبل سنة ١٩٠١ . حين انعدم وجود مملكة الأشانتى . فقد ادعى الأشانتى أن هذه القرى كانت دائماً لهم وأنكروا أن الملك برمبه الأول قد أعادها إلى تكيمان سنة ١٨٩٧ أثر الحرب التى استمرت قرابة عشرين سنة ، وبدون هذا الدليل المكتوب يصعب على الحكومة الآن أن تطلب من الأشانتى هينى — وهو الذى يقف دائماً فى صف الحكومة — إعادة هذه القرى إلى تكيمان . وكل ماتستطيع حكومة تكيمان أن تفعله هو أن تتابع الإلحاح فى طلب هذه القرى وأن تكافح متحدة فى ظل النانا . ففى جنوب أفريقيا عندنا مثل يقول إن الاتحاد قوة . فليكن الصبر رائدكم ودعوا اليأس جانباً ولابد أن يكون النصر لكم فى النهاية .

وما إن جلست حتى وقف النانا وشكرنى وأكد أن شعبه سيواصل الكفاح من أجل حقوقه أو يموت . وسألنى أن أصف له فى تفصيل كيف وجدت المعاهدة ، معاهدتهم مع الملكة فيكتوريا . فوقفت ثانية ، ورويت لهم كيف بحثت أولا فى أكرا ثم فى كوماس ثم فى إنجلترا حتى أمسكت بين يدى بالورقة الأصلية التى وقع عليها أسلاف النانا وبعض شيوخهم . وأخبرتهم أنى وجدتها فى دار الوثائق العامة فى لندن وهى بناء كبير أكبر من أى بناء فى ساحل الذهب ، تحفظ فيه المعاهدات ، آلاف من المعاهدات التى عقدتها إنجلترا خلال تاريخها الطويل مع شعوب كثيرة فى العالم. وليس هناك من دليل على عظمة إنجلترا أفضل من هذا البناء الملىء بالوثائق . وبين هذه الآلاف من المعاهدات معاهدتهم التى أبرموها مع الملكة فيكتوريا فى سنة ١٨٩٧ والتى وضعوا أنفسهم فيها فى حماية الحكم البريطانى الذى ضمن لهم السلام[١] وحينئذ شكرنى النانا عن طريق الأكيام هينى من أجل كل ما فعلته من أجل دولته . وأكد لى أن كل الشعب هنا يحبنى . وحينئذ ردد الأكيام هينى الدعاء من أجل أن يهبنى الله الصحة والعمر الطويل حتى أواصل الكفاح معهم وأساعدهم .

ولما انتهى أكيام هينى من حديثه وقف النانا وأخذ مكان المتكلم باسمه لأنه أراد أن يخبر شعبه بلسانه ماذا فعلت لأجلهم فلقبنى بالابنة الحقيقية للملكة فيكتوريا بل أنا الملكة متجسدة . وكما أعطت الملكة فيكتوريا السلام لهم[٢] وجعلتهم يحتفظون بالمدن بعد أن استردوها من الأشانتى بالحرب فإنه متأكد أنى سوف

---

(١) لاتترك المؤلفة فرصة تشيد فيها بعظمة بريطانيا أمام هؤلاء الأفريقيين إلا وانتهزتها كى تظهر فضل بريطانيا عليهم (المترجم)

(٢) فى هذه المرة جعلت المؤلفة هذا الاعتراف بجميل بريطانيا يجرى على لسان الأفريقيين (المترجم)

أعيد السلام إلى تكيمان كما أقدر أن أعيد القرى إليهم مرة أخرى . وبعد ذلك بدأ النانا يرقص رقصة بطيئة فى خطوات وئيدة تعبيراً عن سروره بوجودى بينهم مرة أخرى . وجرى فتيان الحاشية نحوه ليمسكوا بأطراف ثوبه كالقطار . وبعد لحظة قامت الملكة الأم ومعها سيداتها وانضممن إليه كفرقة واحدة . وبينما كان النانا يواصل الرقص وحده أمام الحاضرين رمى إلى الجمع بحفنات من النقود ولم تكن بنسات فقط بل أنصاف الشلنات أيضاً . وحدث أن وقعت واحدة منها عند قدمى . فترددت فى التقاطها إذ كنت أرغب فى ذلك لأحتفظ بها كتذكار لهذا اليوم العظيم . وتلفت حولى فوجدت صبياً صغيراً ظريف المنظر يقف مع والده خلفى وعيناه مثبتتان عليها ولكنه لم يجرؤ هو أو غيره على التقاطها فقلت له: تعال وخذها ، إنها لك . فهجم عليها كصقر حط على فريسته وأخذها وأمسك بها فى انتصار . ومن الطبيعى أن يحدث هـذا العمل الكريم من النانا تزاحماً من الناس من أجل التقاط النقود. فكسرت الجماهير كردون البوليس الذى تعب فى إعادة النظام إليهم بعد الفوضى التى سادت . وعندما أخلى وسط الميدان من الناس أعلن النانا أن هذا اليوم يوم السعادة ولذا فهو يعلنه عطلة عامة تكريماً لوصولى . وفى وسط التهليل الطاغى عدت إلى عربتى بينما كانت الفرقة النحاسية تعزف نشيد « حفظ الله الملك » وكانت أصواتها لاتزال ترن فى أذنى حين عدت إلى الاستراحة .

وبعد ذلك بقليل قدم أنكوما مفتش البوليس الوطنى وأخبرنى أن النانا قد أنابه ليعمل مترجماً لى لأن أفوريچ مشغول فى المكتب . فتحدثت إليه حديثاً طويلا لأبين له طبيعة عملى وكم كان سرورى عظيما عندما وجدته ذكياً تواقاً إلى العمل مرحاً بل من المدهش أن أجده أيضاً رقيقاً على عكس رؤساء البوليس كما كنت أتخيلهم دائماً . ولذا أشرت كثيراً إلى رقته كلما سنحت لى فرصة رؤيته فى العمل حين كنت أراه يعمل محققاً مع المقبوض عليهم أو آخذاً بصماتهم .

وبعده قدم زائر آخر هو مأمور المنطقة البريطانى فى ونكى وكان شاباً قدم حديثاً بذل جهده كما عرفت بعد ذلك ليفهم الشعب الذى سوف يعمل معه . وقبل أن يبرح سألنى عن سبب وجود فرق موسيقية نحاسية كثيرة فى المدينة تعزف فى الشوارع ولماذا يرقص الناس ، فابتسمت وأنا أجيبه بأن ذلك بسبب عودتى . فنظر إلى من جانب عينه ولم ينطق بشىء ومضى .

فى اليوم التالى للدوبار : وفى صباح اليوم التالى قاد السرجنت كوى سيارتى إلى المدينة ومعى سانتوس الطباخ وكان فى أحسن لباسه . وتركته عند القصر إذ كان النانا يرغب فى مقابلتى . فأوقفت السيارة تحت الأشجار فى الطريق الرئيسى حتى يستطيع كوى أن يتناول فطوره فى المقهى بينما أخذت أنكوما من غرفته فى المدينة (وكان أعزب) ليطوف معى قليلا فى المدينة .

لم تتغير مدينة تكيمان عما كانت عليه حين تركتها منذ ثلاث سنوات فلم تظهر بها أبنية جديدة . وكانت قلة الاعتمادات قد جعلت ذلك مستحيلا ولكن الناس حين تحدثوا إلى ، كانوا مرحين إلى حد كبير مملوئين ثقة بأنهم سوف ينتصرون فى كفاحهم . ومررت ببيوت شيوخ الدولة وأصدقائى الذين عرفتهم فى المرات السابقة ودخلت إلى منازلهم أحييهم. فكانوا يستقبلوننى وأنكوما فى الغرفة ذات الثلاثة جدران [1] التى تواجه مدخل الفناء الخارجى وجلبت لنا الكراسى وكان لكرسى دائماً — بسبب أو لآخر — وسادة . ولم تختلف الأحاديث فى كل مرة ، بل تركزت دائماً على السياسة العامة لساحل الذهب بوجه عام وشئون تكيمان بوجه خاص . ووعدنى كلهم برد الزيارة خلال الأيام القليلة القادمة .

(١) يبدو أنها جزء مقسم من الشرفة بين غرفتين بارزتين من جانبيها .

وعندما خرجنا من منزل نيفاهينى Nifahene أحد شيوخ النانا ذهبت مع أنكوما إلى معبد تاكيرى معبود تكيمان القومى . ووجدت الكاهن الأكبر كوفى موزى وقد اجتمع ومعه أقاربه من الرجال وجميع الكهنة فى فناء المعبد. وكانت أمه العجوز تانوهيما Tano hemma المرأة الوحيدة بينهم . وكانت فى غاية السعادة لرؤيتى وقبلتنى بحرارة أمام جميع الرجال . وكانت قصيرة رشيقة على عكس ابنها الذى كان شاباً طويلاً وجميلا فوق العادة . وكان هو نفس الكاهن الأعظم الذى قام بالدفاع عن الملكة الأم السابقة فى سنة ١٩٤٦ عندما حوكمت بتهمة الخيانة العظمى وكاد أن يصل إلى تبرئتها بدفاعه المجيد .

وعندما رأيت الكهنة مشغولين يعدون نقود القرابين لجنازة كاهن مات ، أردت أن أتركهم لشأنهم . ولكن الكاهن الأعظم وأمه لم يرضوا برحيلى قائلين إن مهمتهم لن تستغرق أكثر من دقائق قليلة أخرى . فجلست أراقب إجراءاتهم .

أخذ أحد الكهنة الذين يعرفون القراءة والكتابة — وكان قد خدم فى الجيش فى بورما خلال الحرب — يكتب كل « بنس » فى مذكرة ويضع النقود فى صندوق من نحاس . وساهمت بما يسمى سابودى Saabode ويعادل ثلاثة شلنات وستة بنسات مما بعث كثيراً من السرور فى نفوسهم لأنه كان الرقم الذى يجب أن يعطى لشخص لا يمت إلى الميت بصلة القرابة . ولما فرغوا طلب الكاهن الأعظم زجاجتين من البيرة ، واحدة للقربان والأخرى لأحملها معى إلى منزلى ، لأنه لم يكن من اللائق أن أشرب فى حضرتهم . وبينما كانوا يناولوننى الزجاجة ، كمن أحد نافخى البوق الذين فى خدمة الإله وراء مقعدى وعزف لحناً تكريماً لى . ثم أراق الكاهن الأعظم القربان ودعا لى بطول العمر والصحة

والتوفيق فى عملى . وتركت بعض البيرة فى الزجاجة لتمر على من حضر ليأخذ كل منهم رشفة وأعطيت أنا نقطة فى زجاجة أخرى لأشربها منفردة . فشكرتهم على ذلك . وكان لا بد لى أن أشرب من نفس الزجاجة ولكنهم تذكروا أنه حدث فى خلال زيارتى الأولى منذ ثلاث سنوات أنى تقززت من ذلك . ومن الطبيعى أن لا يكون كل الناس فى ساحل الذهب على هذا النحو من الرقة .

فعندما كنت أدرس تاريخ مدينة إلمينا Elmina على الساحل أصر الرئيس هناك ومعه الشيوخ على أن أشرب معهم من القربان الذى كان من الجن فى جفنة رقيقة توارثوها من قشر جوز الهند . وكان قد شرب منهم تسعة أو عشرة أشخاص ليس بينهم إلا من كان يسعل أو يبصق خلال كلامه . ولم يعد هناك مكان جاف على حافة الجفنة الصغيرة فرفضت الشرب متقززة . ولكنها العادة، ولذا أصر الرئيس ومعه الشيوخ على أن أشرب فلم يسعنى إلا أن أفعل . وسر الناس من ذلك وقتئذ حتى لقد صفقوا بأيديهم تحية لى وافترقنا كأصدقاء وكان هذا أهم ما فى الأمر .

وفى طريق عودتى من المعبد إلى السيارة قابلت تانوسوهينى المبعد وكان قد زارنى مع النانا يوم وصولى . وكان يلبس معطفاً إذ كان يعمل فى الجيش خلال الحرب . فلما سمع من أنكوما خلال المناقشة أن كهنة تانو قد نفخوا فى البوق تكريماً لى قال إنى إذا استطعت أن أعيد القرى التسع إلى النانا وعاد هو زعيما كما كان فى تانوسو فإنه سيضع لى لحناً يخلد عملى العظيم . فكان من الطبيعى أن يسرنى ذلك كثيراً لمجرد فكرة أنى سوف أصبح جزءاً من تقاليدهم المحلية . لأن عزف اللحن بأبواق الاحتفالات يخلد الحوادث التاريخية .

ولما عدت إلى السيارة أخبرنى سانتوس الذى كان ينتظرنى أن النانا حين رآه كان قد وهبه عشرة شلنات وأنه يرغب فى أن يذهب ليشترى بها بضع سراويل من الكاكى . إذ كان فى موطنه يلبس الإيجاو Ijaw على عادة سكان دلتا النيجر(١) وسوف يخبر جميع أصدقائه وأقاربه أن ملكاً قد وهبها له . كما أخبرنى أن النانا قد أوصاه بالعناية بى جيداً لأنى شخص ثمين فيجب أن يكون غذائى طيباً لأظل قوية وفى صحة جيدة .

وذهبت بعد الظهر مع أنكوما إلى سونجو Songo المدينة التوأم لتكيمان ، ويسكنها المسلمون وأغلبهم من أصل أجنبي لأقدم احتراماتى إلى زعيمها جاريبا أدجاجى Gariba Adjaji صديق النانا المخلص الذى هداه إلى الإسلام . وعرفت أنهما يلتقيان كل يوم لقراءة القرآن . وليقصدا معاً المسجد الصغير الذى بنى على الطراز السودانى للصلاة . وكان شيخاً لطيفاً رقيقاً إلى درجة غير معتادة ، وأصله من الهوسا ، استقبلنى هو وزوجته زعيمة نساء سونجو ورحبا بى فى حرارة . وقدمانى إلى زعيم الموسى Mossi . (تقع موسى فى الشمال من ساحل الذهب) الذى كان يعيش فى المنزل المجاور للمجمع الذى يعيش فيه . وقد عهد إليه النانا بحصانه الأبيض الذى كان مقدساً لدى الأسلاف الملكيين ملوك الشمس فى بونو . وكان الجواد الوحيد فى تكيمان . وفى أيام مملكة بونو كان كل صاحب مقام يملك حصاناً . واعتاد النساء والرجال والأطفال ركوبها (ومازالوا كذلك فى باسوتولاند)(٢) يجرون فى الشارع الذى كان ينقسم بصف من الأشجار . وقد عهد

---

(١) تعتبر كل منطقة غانة منطقة طبيعية واحدة ولكن الاستعمار هو الذى قسمها إلى هذه الأقسام العديدة ووضع لها هده الحدود السياسية المفتعلة . (المترجم)

(٢) يبدو أن المؤلفة تعتبر ركوب الحصان شيئاً غريبا وربما كان لها الحق اذ لم تتردد إلا على غرب أفريقيا وجنوب أفريقيا ولندن حيث لم تر من يركب حصاناً إلا أفراد البوليس الراكب فى لندن .

النانا بحصانه إلى زعيم الموسى لأنه كشعبه لم يعودوا يملكون خيولا ، ونسى كما نسوا كيف يعنون بها . وقد اعتنى زعيم الموسى بتغذية الحصان ولكنه لم يجرؤ على ركوبه ، كما لم يعن بتدريبه ، فلما سمع منى أنى أحب الخيول سعى حتى حصل على إذن لى من النانا بركوبه . وقدم إلى فى اليوم التالى إلى الاستراحة ومعه الحصان ولكننى رفضت فسبب ذلك له خيبة كبرى .وكنت قد رأيت الحصان يعانى الألم من سيقانه المنتفخة وكان لابد له أن يسير ثلاثة أميال أخرى كى يعود.وقد خفت عليه من مشيته المزعجة .ومن سونجو اتجهنا إلى كانتن Kanten التى تبعد ميلا آخر لأن انكوما أراد أن يرينى مزرعة الكاكاو التى يملكها . واخترقنا العزبة حتى وصلنا إلى منزل كانت تجرى فى فنائه بعض إجراءات لطلاق زوجين ووقفنا ننصت . فقد مثل النانا فى الإجراءات شيخ ومعه أحد المتكلمين باسمه لمعالجة القضية . وكان الزوج شاباً هادئاً ، وكان قد خدم هو الآخر فى بورما . وكانت الزوجة كثيرة الصخب محبة للشجار.وقد اعترضت على زواجه من زوجة أخرى فأهانته وسبته . ولكن الرجل جلس هادئاً ، ولم يكلف نفسه مشقة الرد . وكان لابد لنا من أن نتركهم قبل أن تنتهى القضية . ولكنا سمعنا بعد ذلك أن الطلاق قد تم على أساس عدم التكافؤ العقلى .

وفى الاستراحة وجدت زوارا ينتظروننى . كان هناك توبودوم هينى كوامى فريبون وأخته توبودوم هما افوافوسيا . وهى الملكة الأم أو رئيسة النساء (١) فى توبودوم ،وزوجها وبعض الشيوخ الآخرين قدموا لتحيتى . وقد عرفتهم جميعاً جيداً فى سنة ١٩٤٦ فسرنى لقاؤهم وجلست معهم حول المائدة فى غرفة الجلوس وشربنا بعض الجن بينما كنا نتحادث فى صداقة ونتذاكر معاً الأيام التى مضت والتى قدمت

---

(١) لا يوجد اصطلاح لرئيسة النساء .ولكن انتهاء الكلمة بمقطع hemma إما أن تعنى الملكة الأم وإما أنها تعنى رئيسة النساء . فتكيمان هيما هى الملكة الأم فى تكيمان بينما المقطع hene معناها زعيم أو ملك فأكيام هينى Akyeamhene معناها زعيم المتكلمين باسم الملك . وهكذا .

فيها إلى توبودوم وذهبت معهم لرؤية بركة الذهب Golden Pool عند منبع نهر
تانو ـ وقد أحببت ـ بصفة خاصة ـ توبودوم هيما إذ كانت امرأة مليئة بالحياة والمرح .
ولكنها الآن حزينة لأنها وأخاها يعيشان منفيين فى تكيمان كما أنهما فقيران ، إذ أصبح
دخل توبودوم ـ وهى إحدى القرى موضوع النزاع ـ يذهب إلى الأشانتى وإلى
توبودوم هينى المغتصب والملكة الأم فيها . فوعدت أن أراها بعد ذلك . وتم ذلك
فعلا إذ كانت توبودوم هيما دائماً تود أن تمدنى ببعض المعلومات وخاصة عن الإله
الذى يعبده شعب توبودوم وهو تانو توامبودو Twampudo إله دولة بونو
السابق .

حفلة رقص البوليس الوطنى :

وفى اليوم التالى تلقيت دعوة من قوة البوليس الوطنى إلى حفل راقص من أجل
تكريمى تقام فى فناء شركة كادبورى دفراى للشيكولاته فى طريق نكورانزا . وكان
طبيعياً أن أقبل الدعوة بكل سرور . ولذلك أمر النانا أن أستريح ـ أى لا أستقبل
زواراً فى فترة ما قبل الظهر ، كى أقوى على الرقص فى أثناء الليل . وكان موعد
الدعوة الساعة الثامنة ، ولكنى لم أدر أنى ـ كشخص موضع التكريم ـ لابد أن أتوجه
إلى مكان الحفل متأخرة . ولكنى ذهبت فى الميعاد مجاملة لأنكوما ، الذى وجدته
يعمل فى تنظيم الاحتفال ، فوكل أمر العناية بى إلى بعض المدرسين حتى يفرغ لى .
وكان أحد المدرسين فتى لا يزيد عمره عن السادسة عشر كما أخبرنى . وكان قد تجاوز
الصف السابع فى العام السابق قبل أن يعين فى منصبه الحالى فى مدرسة للأطفال
بسبب عجز تكيمان عن تدبير العدد الكافى من المدرسين المؤهلين ولذا كانت لغته
الإنجليزية كما هو متوقع أبعد ما تكون عن الصحيحة . ولذا أراد أن يؤثر على بتطعيم

كلامه بآيات من الإنجيل وعبارات من الكتب القديمة . وكنت أنصت إليه بينما كنت
ألاحظ جماهير الشعب وهى تتدفق قادمة . وكان الشيوخ جالسين على كراسى
أو مقاعد منخفضة حول الفناء . بينما جلس الشبان خلفهم يتكلمون ويرحبون بمن يقدم
بعدهم . وفى وسط الفناء أوقد مصباح بتروماكس مرفوع على قاعدة .

وبعد أن استرحنا قليلا من الحديث أنا والمدرس الشاب تقدم إلى يطلب أن أتكرم
بافتتاح الحفل بالرقص معه . فنظرت إليه فى دهشة فمن أى الكتب التى قرأها جاء بهذا
التقليد . فهززت رأسى رافضة بينما كانت الفرقة الموسيقية تعزف . ولكنه أصر لأن
ذلك يعنى شيئاً عظيما بالنسبة له . فلم أشـأ أن أسبب له خيبة لاسيما وهو لا يزال
صغير السن .

ولكن كيف يبدأ المرء الرقص ؟ كانت فكرتى عن ذلك غير واضحة . فقد رأيت
بعض رقصات الفالز الرشيقة ولكن كيف يقوم الإنسان بأدائها على أرض من الأسمنت .
كما تذكرت أن رقصة الفالس رقصة جنائزية فى غانة . ويبدو ذلك غريباً ولكنه الواقع
إذ كانوا قد تعلموها فى بداية القرن وارتبطت منذ ذلك الوقت بالطقوس الخاصة بالوفاة .
وقد شاهدت مراراً كيف كانت تؤدى . فقد حدث أن صحبت يوما المستر بروان هولتز
Brown holtz الذى كان مشرفاً على قسم الإثنولوجيا فى المتحف البريطانى فى لندن
إلى بيسيز Bisease بالقرب من كوماسى لأريه منزلا من منازل الأشانتى القديمة
الباقية . وللأسف كان المنزل قد أغلق لأن مالكته كانت قد ماتت قبل وصولنا بقليل .
فوضعوا جسدها على سرير فى فنـاء مفتوح فى منزل وسط القرية . وأخذ الشبان
يرقصون الفالس فى سرور أمامه . وهو طقس سحرى يعتقدون أنه يساعد المرأة الميتة
على استئناف حياتها الثانية فى السماء ، ولذا أيقنت أن من غير اللائق أن أرقص الفالس .
هذا إلى أن رقصة الافتتاح شىء رسمى فبعض خطوات رباعية (مربعة) قد تكون

أليق ولكنى لا أذكرها جيداً ، وبالرغم من أني صممت على رقصها . وعلى هذه
الصورة بدأ ظهورنا فى الحلقة .

ولعبت الفرقة لحناً بطيئاً يستطيع الراقص معه أن ينسق خطواته فأريت زميلي ما يجب
أن يفعله . وكم سررت حين أسرع فوعاها . ولذا سرعان ما توقفنا ونحن ندور فى بطء
مفترقين ومتماسكين بالأذرع ، ولكن فجأة (قوطعنا) وصحا زميلي من أحلامه عندما
تقدم أحد أفراد قوة البوليس، وكان يرتدى ملابس مدنية بناء على أمر من أنكوما، فجذب
صاحبي وصرخ فى وجهه. فأجابه زميلي بمثل صراخه فقبض عليه وأخرجه من المكان
وساعدنى ذلك فعدت إلى مكانى. وقدم لى أنكوما ليشرح لى أنى قد وهبت شرفاً لأقل
المدرسين استحقاقاً له ، بل أقل الحاضرين قاطبة استحقاقاً لمشاركتى. وكان ذلك خروجاً
عن المألوف ، فلم يكن إزاء ذلك إلا أن يقبض على المدرس ليظهر للناس أنه الجدير
بالتوبيخ لا أنا . فاحتججت على ذلك إذ شعرت أنى أنا موضع التوبيخ أيضاً. وبينما كنا
نتناقش أنا وانكوما ارتمى الشاب (الذى كان قد دبر أمره على الهرب) على أقدامي
ورجاني أن أخبرهم أنه لم يحملني على الرقص وأنه لايكن لى إلا الاحترام . ولكن
رجل البوليس الذى كان يتبعه جذبه بشدة من ذراعه وألقى به بعيداً . ولكى يحول
أنكوما دون وقوعى فى مزيد من الخطأ وكل مهمة الاهتمام بى إلى مدرسين آخرين
أكبر سناً . فدار حديثنا حول إدارة التعليم وحالته فى تكيمان ولم نتحدث فيما يليق
بحفلات الرقص .

وعلى كل حال أفلح رقصى فى أن يكسر من حدة الثلج ، حين افتتحنا وزميلى
الصغير الرقص. فكان أن أسرعت الفرقة فى العزف فعزفت لحن «هاى لايف» وهى
أحب الرقصات إلى شعب غانة . وأصلها من جزائر الهند الغربية . ولم أكن
أعرفها وقتذاك . مما سبب الخيبة لضابط الزراعة فى ونكى وهو إفريقى متين البنيان.
تعلم الرقصة فى أكرا وكان يريد أن يقدم عرضاً ظريفاً معى. ولم يستطع أن يفهم

أنى (أنا الأوروبية) أجهل هذه الرقصة الأوروبية ، ولكنى عرفت الخطوات الأساسية
سريعاً من أنكوما الذى صبر على تعليمى إياها . ولذا سرعان ما اشتركت فى الرقص
مع شركاء آخرين ورقصت مجموعة من رقصات« الفوكس تروت » « والون ستب »
و«الرومبا» بالإضافة إلى رقصة « الهاى لايف » وفى الساعة العاشرة والنصف ظهر
ممثلو النانا وكان من الواجب أن يكون حضورى بعدهم إذ كان أنكونا ذكرنى
بذلك . وأطلقت الفرقة نفيراً فتوقف الرقص حتى جلسوا .

وجلست النساء إلى جانبى أما الزعيمان وحاشيتهما فجلسوا تجاهنا على الناحية
الأخرى من الفناء ، وكانوا توبودوم هيني ، وأوفومان هينى كوامى جيامفى
Kwaame Gyamfi ، أما السيدات فكن توبودوم هيما وابنتها الصغرى . وأوفومان
هيما كروما . وكانوا جميعاً فى أبهى ملابسهم وخاصة توبودوم هينى الذى ارتدى
« ملفحة » من الحرير الأبيض الثقيل على مثال زعماء الرومان على رأسه عمامة
من نفس القماش .

وقبل أن تعاود الموسيقى عزفها أحضر أتباع الزعماء الهدايا التى أرسلها معهم
النانا للحفلة وهى زجاجة من النبيذ الهولندى، وهو النوع الذى يفضلة قاطنو هذا
الجزء من العالم ، وزجاجتان من البيرة وعلبة سجاير بلايرز : وكان من المفروض
أن لا أحتفظ بها كما تعلمت فى المرات السابقة ، ولذا أرسلت نصف زجاجة النبيذ
إلى الشيخين كما بعثت بقيتها إلى الفرقة الموسيقية . أما زجاجتا البيرة فأرسلت
واحدة منهما إلى رجالى ومنهم « السرجنت » كوى الذى كان فى مكان ما
فى الزحام . واحتفظت بالأخرى لأبعث بها إلى الملكتين الأم توبودوم وأونومان
ولى . ووزعت السجاير على من قدم إلى مائدتى من الرجال . وابتسمت الملكتان
عندما رأيتا انشغالى وبادلتهما الابتسام . ولكنا لم نستطع التحدث كثيراً إذ كان
القدر الذى أعرفه من لغة التوى محدوداً كما أنهما لا تعرفان الإنجليزية وكانت

توبودوم هيما مليئة بالحيوية تحب الرقص والموسيقى كما أخبرتنى عن طريق أنكوما ، أما أوفان هيما فكانت معرفتى بها يسيرة وكانت كشقيقتها هادئة رزينة .

وبدأ الرقص وازدحم الفناء إلى أن أصبح التحرك صعباً . وشجعتنى الملكتان الأم على المشاركة فيه ،وكان كثيرون يرغبون فى الرقص معى حتى شعرت بالإرهاق والحر وعدت إلى مقعدى . أما الملكتان فقد أكدتا لى وهما تضحكان إجادتى الرقص . وقد عاملتانى كابنة لهما فى أولى حفلاتها الراقصة . أما هما فلم ترقصا على الأقل عندما كنت هناك .

وكان لى شرف أن يطلب منى أوفومان هينى أن أرقص معه ، وهوأسن الرجلين وتبعه صديق توبودوم هينى ، وبدونا معاً غريبين إذ كان هو فى ثوبه الحريرى الأبيض وعمامته كأمير من أمراء ألف ليلة وليلة ، بينما بدوت أنا البيضاء الشقراء الرشيقه فى ثوبي المسائى الأزرق المخطط الذى كنت قد اشتريته من باريس كأحد أقلام الرصاص . ونظرت إلى زميلى فلم أصدق أن هذا الأمير الشاب الرشيق الملىء بالصحة هو الذى زرته منذ ثلاث سنوات فى توبودوم . إذ كان فى ذلك الوقت رغم كونه زعيما ، كاهنا تحت التمرين وكان قد نحف من جراء طول الصيام وكثرة فترات فقدان الشعور . كما كان ملتحيا فبدا أكبر سناً من حقيقته كما كان لايتكلم إلاعن إلهه . ولكنه الآن بدا راقصاً ممتازاً حين رقصنا معاً رقصة «هاى لايف» فى فناء شركة كاد بورى المستدير حول مصباح بتروماكس .

واشتد حماس الراقصين شيئاً فشيئاً . وزادت الطبول فى الحماس حتى غطت أصواتها على أصوات الآلات النحاسية . وفجأة تحول كل شىء إذ انفصل كل زوج من الراقصين . وكون صغار السن — دون أن يصدر إليهم أمر بذلك — حلقة واحدة حولنا . ولمعت عيونهم كأنهم فى نشوة وأصبح رقصهم إفريقياً خالصاً . والتفت

الدائرة حول الأمير وحولى . وأخذت تضيق علينا شيئاً فشيئاً . حتى لم يعد لنا مكان نرقص فيه . ولكن الرقص ظل مستمراً حتى أمست الليلة حلماً لى . حتى إذا سقطت إعياء دعا الأمير إلى وقف الرقص فانكسرت الدائرة واختفى الشبان فى بطء . وأظلمت الدنيا ، فالبدر الذى كان يشرق فى بهاء أول الليل اختفى وراء سحابة ، وخف ضوء المصباح ، وساد وقتئذ جو من الإرهاق . حال التعب دون أن استمر ، فرجوت الملكتين الأم فى أن أعود. فلم ترتاحا ومعهما الزعيمان إلى هذه الفكرة . لأنهم جميعاً ظنوا أنى سوف أمكث على قدر ما يمكثون وكان هذا ظنى . ولكن ما فعلته كان فوق طاقتى إذ كنت كأنى فى صراع مع الملاريا، ولم أرد أن استسلم لها . فلما جاء أنكوما إلى مائدتى أبلغته ما استقر عليه رأيى فأخذ بيدى إلى الفرقة الموسيقية وأخبر رئيسها أنى سأبرح المكان . فتوقفت الموسيقى فى الحال . وكان على أن ألقى كلمة أشكر فيها الفرقة على حسن أدائها . فشكرنى الرئيس بدوره باسم الفرقة . وعبر عن رغبته فى أن يعزف لحناً تكريماً لى . فاخترت أنكوما شريكاً لى فى الرقص . وإن كنت قد رجوتهم أن لا تقرع الطبول . وعاد الشبان إلى الرقص أزواجاً وعاد إليهم شىء من المرح . ثم ودعتهم بعد أن عبرت لهم عن مقدار سرورى . وأخيراً عدت إلى الاستراحة حيث وجدت سانتوس ينتظرنى قلقاً والنوم يداعب أجفانه .

زيارة ايفا الصغيرة :

فى اليوم الذى وصلت فيه إلى تكيمان وهو الثالث من أكتوبر ، ولدت إحدى زوجات أوكيام بونج بنتاً . وأوكيام هذا هو رئيس المتكلمين باسم الملك ومستشاره المفضل . وسألنى أن يسمى المولودة باسمى ، فوافقت مسرورة ، فقدم هذا الرجل ليزورنى فى الاستراحة ، ومعه زوجته وابنته الحديثة الولادة . ولم تكن قد أكملت عشرة أيام من عمرها . ودعانى إلى زيارته فى قريته بنكوا Bonkwae لأشترك فى الاحتفالات التى تقام لإله الأرض بوروما Buruma .

وقرية بنسكوا تبعد بضعة أميال عن مدينة تكيمان على طريق سنياني . وعندما ترجلت من سيارتي ، سررت حين رأيت عدداً من القردة الصغيرة تقفز من شجرة إلى شجرة فى حرية أمام مدخل المجمع [١] الذى يسكنه أوكيام بونج . ولم تنزعج القردة منا . وبعد أن رحب بنا أوكيام بونج وأسرته الكبيرة خرجت لأشاهد ما حول المنزل ، لأنه كان هناك عدد من المبانى الجديدة التى ما زالت فى مرحلة الإنشاء ، منها بيوت صغيرة لبعض العائلات ، وسقائف لتجفيف الكاكاو وخزنه . ودعيت إلى الجلوس أمام منزل من غرفتين مسقوف بالصاج المضلع ، استخدمه كدار ضيافة ومكتب وأحضرت إيفا الصغيرة (الثانية) التى وضعتها فى حجرى . ونامت الطفلة فى هدوء ، بعد أن تناولت طعامها . إنها ظريفة وأنا فخورة بها وشيئاً فشيئاً جاء بعض الزوار ومن بينهم الملكة الأم ، وتوبودوم هينى والكاهن الأعظم للمعبود تاكيزى يصحبه أتباعه . وبعد لحظة ذهبنا جميعاً إلى دغل كبير فى الغابة المجاورة حيث كان كاهن بوروما يرقص مصحوباً بضاربى الطبول . وكان يجتهد فى أن يوازن بحذر جفنة بها قربان الإله وضعت على رأسه . وجلسنا على الكراسى فى ناحية من الدغل ، بينما وقف سكان القرية أمامنا وخلفنا بجوار ضاربى الطبول . وكان صباحاً مشرقاً شعر كل إنسان فيه بالسعادة والنشوة . وأخيراً ضحى الكاهن ببيضة رمى بها إلى جذع شجرة ضخمة من أشجار القطن . وعندما تمت الطقوس قدم الكاهن لى ، فقدمت له ثلاثة الشلنات ونصف الشلن وهى الهبة التقليدية من أجل الإله ، فعانقنى الكاهن بحرارة ، ولم يسرني ذلك ، لأن عرق جسمه العارى ، والجير الذى لطخ به نفسه قد انتقلا إلى فستاني وكنت قد كويته حديثاً . وضحكت نساء القرية ، وقلن إنى لابد أن أشعر بالشرف الذى نلته ، لأن الإله (ممثل فى شخص الكاهن)

(١) هذه ترجمة لكلمة Compound وهى مجموعة من المنازل الصغيرة داخل فناء يضمها سور .

هو الذى دفعه إلى ذلك فكأن الإله هو الذى أراد أن يظهر حبه لى ؛ فللكهنة هناك حق معانقة أية فتاة يأمرهم الإله بمعانقتها .

وانتقل الفريق كله إلى معبد بوروما، وهو كوخ صغير فى ركن من مجمع أوكيام بونج ، وجلسنا على كراسى صغيرة مكونين دائرة أمام بابه . وكانت ذخيرة الإله قد كشفها أحد الكهنة ، ووضعها على مذبح ذى خمسة أعمدة مطلية بالجير الأبيض ، وخارج المذبح حوض من نحاس مملوء بالأشياء المقدسة التى ترمز كلها إلى قوة الإله . وهى غير مرئية لأنها مغطاة بطبقة من مادة سوداء صلبة . وقد طلى الإناء ببياض بيضة فأصبح لامعاً . والبيض رمز الميلاد والخلق ؛ وتتركز الشعائر على إعادة ميلاد الإله نكوتوبا Nkotoba ورمز قوة الإله عدد من الأغصان الصغيرة ذات البراعم موضوعة فى أعلى الإناء وأمامه بعض اليام المغلى ، وهو أول الهبات إلى بوروما . ثم أتى أوكيام بونج يحمل فى يده إناء مقدسا يحوى أوراق شجر أودويرا Odwera من أجل التبرك بها ؛ فباركنا بأن غمس بعضها فى إناء ورمانا برشاشها . أو مسح على أيدينا . وجهزت بعض القرابين الأخرى ، ولكنى لم أستطع الانتظار إلى انتهاء الطقوس، إذ كانت الساعة قد بلغت الثالثة، وكنت قد وعدت النانا أن أعوده كلما أراد أن يرينى شيئاً .

الملك يتحدث عن نفسه:

وجدت الملك ومعه أفورنج فى مكتب القصر . وكان الأخير مشغولا بترجمة تقرير كوزى له . وكان التقرير قد وصل تواً من أكرا وأراه النانا لى وطلب منى قراءته ، حتى أستطيع مناقشته بعد ذلك معه ومع شيوخه، وكان هذا التقرير يتلخص فى منح شعب ساحل الذهب قدراً كبيراً من الحكم الذاتى وحق انتخاب عام لكل بالغ سن الواحد والعشرين ، وحكومة محلية، وإدارات إقليمية،ومجلساً للنواب

يعادل مجلس العموم ، له رئيس يدير إجراءات المناقشة ؛ ثم مجلسا تنفيذياً يتكون من ستة وزراء ، ومعه وزراء دولة يرأسهم جميعاً رئيس للوزراء .

وعندما كنت أتكلم مع النانا بشأنه ، أحضرت الصغيرة إيفا مع أمها ، وكانت تبكى فظن النانا أن الطفلة مريضة ، ولكنه لم ير غير خيط من الخرز قد انغرز فى يدها السمينة ، فأخذتها بين يدى فتوقف بكاؤها . ولما كانت تراني للمرة الأولى بدأت تناغى ، وأمسكت بأنفى وجذبته ، فسر النانا من ذلك ، وتناولها منى . وبعد أن وضعها فى حجره هنيهة أمطرها وابلا من القبلات على خدها الأيسر فبدت وكأنها لاتبالى .

وكان النانا هادىء النفس فأخذنى إلى غرفة الاستقبال ليحدثنى عن نفسه .

قال إنه ولد فى سنة ١٩٠٩ وكانت أمه الأميرة الجميلة إبينا ابرافى Abena Abrafi وتقدم لها فى شبابها أكثر من خاطب حتى لقد احتارت أيهم تأخذ . وأخيراً أحبت الشيخ أباه بطل الدور الأخير من أدوار حروب تكيمان ضد الأشانتى . وأرادت أن تتزوجه ، فكان ذلك موضع سرور كبير للملك جياكو الثانى Gyako II (١٨٨٦ — ٩٩) لأنه كان يريد تكريم رجل أسدى إلى الدولة خدمات جليلة ، وكان زواجاً سعيداً أنجب أحد عشر ولداً كلهم أقوياء وفى صحة جيدة .

وكان النانا الحالى الولد العاشر . وتألمت أمه فى ولادته ثلاثة أيام أو أربعة ، ولم يجرؤ أحد أن يخبر الملك ياوكوامو Yaw Kiamo (١٩٠٧ — ٢٧) بذلك ، لأن المولود الذى تعانى أمه فى ولادته — إذا كان ولداً — فسوف يخلفه (على العرش) وعندما أشرفت الأم على الموت اضطروا إلى إبلاغ الملك ، فاندفع إلى حيث كانت أمه ، ووضع صندله على جسمها ، وبذلك اعترف أن المولود هو الملك القادم ؛ وسمى النانا باسم جياكو بادوو Gyako Badwu وعندما اختير ملكاً ، رأى الكاهن الأعظم وهو فى حالة الغيبوبة أن عهده سيكون شبيهاً بعهد اكومنى امبياو الأول ملك بونو (اكومنى معناها ذابح الأعداء) وقبل النانا هذا الاسم ليكون لقبه الملكى .

واهتم الملك ياوكوامو بالطفل اهتماماً خاصاً ، بسبب ظروف ولادته ؛ وكان ابن عمه . ولما كان النانا لايزال صغيراً ، طلب من أمه أن يعيش فى القصر ، ومن هنا وقف النانا على شئون الدولة والحياة فى القصر فى سن مبكرة . ولما كان محباً للنسيج فإنه تعلم هذه الحرفة وأصبح ماهراً فيها . ولما بلغ الثامنة عشر اغتيل عمه (١٩٢٧) فهزته النكبة وشق بها ، فهرب من تكيمان إلى الولايات الشمالية لساحل الذهب حيث اشتغل بالتجارة مصدراً للماشية والسمك المدخن إلى تكيمان وغيرها .

وبعد بضعة أعوام ذهب جنوباً إلى أكوا بيم Akwa pim وعلم صناعة النسيج لسبعة صبيان وعمل معهم سنين . وأحس الحنين إلى وطنه فعاد إلى تكيمان ، ولكنه عاد فغادرها بعد ثلاث سنين إلى إقليم الفانتى عند الساحل ليعلم خمسة عشر صبياً عمل القماش المطبوع المسمى Adinkra ، وكان لايزال بعيداً عن الاستقرار فبدأ ينتقل من مكان إلى آخر . وعندما وصل إلى ساحل العاج لمس الحاجة هناك إلى البضائع الإنجليزية فافتتح مخزناً فى بوندوجو Bondugu ولكنه لم يكن راضياً . فعاد إلى تكيمان مرة أخرى يدفعه الشوق إلى وطنه ، وساءته الأحوال فيها فتركها بعد قليل إلى كنتامبو Kintampo وهى مدينة تقع فى ولاية نكورانزا المجاورة .

وكان لا يزال مشغوفا بالتجارة ، فعمل مورداً للطعام للكتيبة البريطانية التى كانت معسكرة فى ساحل الذهب . وبعد سنين عزل تكيمان هينى الملك كواكو جياكو Kwako Gyako الذى كان قد خلف عمه فى سنة ١٩٤٣ فاستدعته الملكة الأم نانا أكوا داباا Nana Akwa Dapaa التى كانت تحكم ، ونصبته ملكاً فى بداية سنة ١٩٤٤ .

وأسرة الملك قديمة — كما قال لى — فقبل سنة ٨٠٠ م حكم أسلافه اتحاد ممالك ديادم Diadem Confederation فى الصحراء الشرقية وبين سنتى ٨٠٠ و ١٠٠٠ م حكموا المملكة ديالا Diala kingdom فى منطقة تمبكتو فى حوض النيجر ، وعندما

غزيت هذه أيضاً انتقلوا إلى الجنوب لينشئوا مملكة بونو الأولى فى منطقة تسمى الآن موسى Mossi وأنشأوا مملكة بونو الثانية بعد ذلك بثلاثمائة سنة (١٢٩٨) وكانت عاصمتها بونو مانسو . وأخبرنى أيضاً أن أسلافه الذين عاشوا فى الصحراء البيضاء (مملكة الرمال) كانوا بيض البشرة ، وعن طريق المصاهرة مع رعاياهم من الشعوب السوداء أصبحوا سوداً إفريقيين . وأكد لى النانا مرة أخرى أنه يشترك مع الأشانتى هينى فى الأسلاف ، إذ أصلهم من الديا Dia ، وينتسبون إلى عشيرة الصقر . وفى الوقت الذى أسس فيه أسلافه مملكة ديالا Diala عند النيجر أسس الأشانتى هينى دولة ديارا Diara المجاورة، ثم البونا Bona فى ساحل العاج، ولما غزاها الماندى المسلمون حوالى سنة ١٦٠٠ انتقلت أميرة مع اتباعها إلى مملكة بونو حيث أعطيت أرضاً فى الجزء الجنوبى وهى منطقة كوماسى . وفى سنة ١٦٩٠ أسس أوزاى توتو ـ وهو أحد أحفاد أميرة بونا ـ مملكة الأسانتى أو الأشانتى التى أصبحت بعد ذلك قوية عن طريق فتوحاتها . وفى سنة ١٧٤٠ قضت مملكة الأشانتى على مملكة بونو .

ودهشت حين انتهى النانا من سرد قصته وقصة أسلافه الملكيين دون أن يسألنى شيئاً عن نفسى أو موطنى أو أسلافى ، وبذلك لم يعرف إنى غير إنجليزية ، أو أنى نشأت فى ألمانيا أو عن حياتى فى جنوب إفريقيا . وكنت أستطيع أن أقول له إنى أعمل نحاتة تماثيل، ولو لم يكن أسلافه الملكيون الذين أخبرنى عنهم وعن تاريخ بونو وثقافتهم لما كانت هنا فى تكيمان أجمع مادة لكتبى المستقبلة .

ولما عدت إلى الاستراحة وبدأت أقرأ ، أعلن سانتوس قدوم تاجر من صنغاى أراد أن يبيعنى بعض السجاجيد . ولما كنت أحب السجاجيد وخاصة المصنوعة فى تمبكتو Timpuktu ونيافونكى Niafunke فى النيجر وهى التى تشبه سجاجيد بربر مراكش والجزائر ، أسرعت إلى لقائه لأرى بضاعته ، وكان معه بضعة سجاجيد

جميلة ، فاخترت واحدة ذات رسم غير عادى ، ولما دفعت للتاجر الجنيهين اللذين طلبهما ثمناً لها ، أعاد لى عشرة شلنات ، وأخبرنى أن العادة جرت بينهم حين يقابل التاجر زبوناً ذا وجه صبوح مثلى فإنه لا يساومه بل يبيع له البضاعة دون ربح (يعطى ويحمد الله) ، فظننت إنى أسأت الفهم واستدرت إلى سانتوس الذى كان قد نقل كلام التاجر إلى الإنجليزية -- أسأله الحقيقة، ولكن لشدة دهشتى أكد حديث التاجر بل أكده بشدة إلى حد أنى نظرت إليه وأنا مندهشة ، لأن سانتوس كثيراً ما اكتشف خطأ فى معاملاتى ، فأمسكت بالشلنات العشرة فى يدى ولم أدر ماذا أعمل بها، ولكن سانتوس استحثنى على أن آخذها فأخذتها وشكرت التاجر بحرارة قدر ما أستطيع ، لأنى عرفت أنى أدركت الآن فقط لماذا تفضل أميرات الأكان التعامل مع رجال صنغاى القادمين من جاو . كان هناك شىء أكثر من سيقانهم الطويلة وطلعتهم الجميلة ، إنهم يعرفون كيف يجاملون سيدة .

معركة تانوسو : فى صباح اليوم الذى دارت فيه المعركة بين شعب تانوسو وبوليس الأشانتى ، زارنى أكواموهينى المسمى تابيرى كوازى Tabiri Kwasi أحد ملوك النانا ذوى الأهمية ، وأخبرنى ـ حين كان يرشف الجن ـ أنه قلق وغير سعيد لأن مزرعة الكاكاو الخاصة به قد اجتاحتها النار منذ أيام ، كما خربت القردة مزرعة قمح له قبل ذلك بيوم ؛ وأنه يؤمل أن أساعده فى الحصول على بندقية حديثة فإن مأمور المنطقة فى وتكس يرفض إعطاء أى تكيمانى رخصة حيازة بندقية أو ذخيرة . والبنادق الدنمركية القديمة ليست قوية إلى مدى إبعاد القردة .

ولكنى أخبرته أنى لسوء الحظ لا أستطيع أن أحصل لنفسى على رخصة، وشرحت له السبب ولما كنت أعلم من حياتى الماضية فى جنوب أفريقيا ماذا تعمل القردة للمزرعة فإنى عطفت عليه . ولكى أريه إلى أى حد فهمت ما أقلقه أخبرته عن سابق خبرتى مع القردة .

ففى ذات يوم كنت وزوجى — وقد مات منذ سنين — وابننا ، وكان له من العمر أربع سنين، معسكرين فى (وادى الموت) فى جنوب أفريقيا وقد حمل الوادى هذا الاسم لأنه كان مليئاً بثعابين الكوبرا الصفراء — وهى ثعابين سامة — ولكن لم نكن نعلم بذلك فى ذلك الوقت وإلا تحاشينا أن نعسكر فيه . وكان اليوم حاراً . وبعد الغذاء استرحنا تحت شجرة غير بعيدة عن الخيمة . ولم أستطع النوم . وفجأة لاحظت فريقاً من قردة البابون قادمين نحونا ، واقتربوا من الخيمة بحيث يريدون أن يلعبوا . ولما اقتربوا منها ظهر — لحسن حظنا — مزارع ومعه كلاب صيد ، وكانت القردة قد أتلفت مزرعة الذرة التى يملكها فى الناحية الأخرى من الوادى ، وقطعوا منها أكثر مما أكلوا ، فأطلق الرصاص على القردة التى انطلقت هاربة بينما داوم هو إطلاق النار ، فأصاب عدداً منها فوق التل الصخرى المقابل لنا وكانت إصابة اثنين منها جسيمة . وفى لحظة انطلقت الكلاب إليهما تمزقها بأسنانها ؛ وكانت كلاباً متوحشة مدربة على قتال القردة تظهر عليها آثار ما لاقت فى قتالها . وكان أحد القردين ذكراً صغيراً والأخرى أنثى وطفلها متعلق بها . وعندما اقتربت منها الكلاب أطلقت صرخة كصرخة الإنسان ، وحيئذ التفت إلينا المزارع وكلابه ملطخة بدمئها ليخبرنا أننا نستطيع أن نأمن على أنفسنا الآن لبعض الوقت . ولم تكن القردة حول تكيمان من نوع البابون ، ولكنها تضاهيها حجماً . كان لها ظهر أبيض محوط بشعر أسود طويل ، وطرف ذيلها أبيض أيضاً[1]. وقد أهدتنى توبودوم هيا ذات مرة ثلاثة جلود منها ، لاستعمالها كسجاجيد ولم أر واحداً من هذه الحيوانات حياً ، ولكنى رأيت بعض جلودها مربوطة إلى عصى استعملت لتغلق طريقاً بين المزارع أو لتبعد أخواتها الحية . ولحومها تدخن وتباع فى الأسواق

(١) هذا النوع كثير فى أثيوبيا وشرق أفريقيا ويعرف بالجوريزة . وهذا هو يوجد فى الغرب أيضاً (المترجم) .

والتكسيمان لا يأكلونها، ولكن بعض أهل نيجيريا من الصونغو Songo يأكلونها ويعتبرونها أكلة شهية .

وبعد الظهر بقليل أحضر إيرتى إيفا الصغيرة ومعها صبى فى الثانية عشرة من عمره يعمل كمربية لها ، فصورت الطفلين ولعبت قليلاً مع الصغيرة بسمكة من البلاستيك . وبدأت الصغيرة تبكى وبعد نصف ساعة أعدتها وانكببت على عملى ثانية .

وفى نحو الساعة الخامسة أتى أنكوما —على غير انتظار— فى قميص ممزق ، وفى جبهته خدش وفى فخذه جرح؛ ولم يكن فى حالة تسمح له برواية ما حدث له . ولكن ذلك كان واضحاً . كان قادماً من تانوسو—إحدى القرى التسع موضوع النزاع على بعد عشرة أميال من تكيمان فى طريق كوماسى — ، وطبقاً لقصته ، دارت الواقعة حين أرادت قوة من بوليس الأشانتى مصادرة محصول الكاكاو الخاص بمزرعة تانوسو هيتى المبعد وقاومها الأهالى . وقد قتل بعض الأهالى وأصيب أكثر من مائة وقاد أنكوما سيارة نقل وقد مائت بالجرحى إلى المستشفى فى سنيانى التى تبعد أربعين ميلاً من تكيمان ، لأنه لا يوجد مستشفى أو مستوصف أو طبيب فى تكيمان [1] ، وفى الطريق تصادم مع سيارة نقل أخرى كانت تسير فى سرعة فحدثت إصابات جديدة . ولما كان أنكوما فى حالة لا تسمح بسؤاله أكثر من ذلك ، وكان عليه أن يرفع الأمر إلى النانا، تركته يذهب إليه وانتظرت صابرة حتى الصباح لأسمع من النانا نفسه حقيقة القصة كلها .

(١) لعل ذلك يعطى صورة صادقة عن مقدار إهمال المستعمرين أهل المستعمرات . فاقرب مستشفى تبعد أربعين ميلا أى قرابة ستين كيلو متراً .

وفى الصباح المبكر من اليوم التالى ، ذهبت بالسيارة إلى القصر ودخلت فى الوقت الذى مكننى من أن أسمع كلمات يسيرة من النانا لأنه كان على وشك أن يتوجه إلى سنيانى وسألنى أن أعود إليه بعد الظهر . وعندما ذهبت إليه فى هذا الموعد وجدته جالساً برأس اجتماعاً لمجلس الدولة لأنه كان من المنتظر أن تكون لهذه المعركة نتائج خطيرة . وسمح لى بالدخول إلى الاجتماع حيث أخبرنى بما حدث باختصار ، أن رجال بوليس الأشانتى كانوا خمسة قدموا ليصادروا إنتاج الكاكاو الخاص بتانوسو هينى، وغضب الناس لذلك فمنعوهم وطردوهم ، فأرسل البوليس إلى كوماسى فى طلب النجدة ، فى الوقت الذى أرسل فيه شعب تانوسو فى طلب المساعدة والتعليمات من تكيمان . ومن حسن الحظ كان النانا فى منزله واستقبل الرسول الذى كان يصحبه المبعدون عن تانوسو وهم ثائرون ، وشعب تكيمان . وألح الجميع فى أن يسمح لهم بالذهاب إلى تانوسو ليقاوموا البوليس ويبعدوهم عن أرض تانوسو هينى . ورأى النانا نفسه عاجزاً عن كبح جماح القوم فلم يملك إلا أن يوافق على شرط أن يذهب المبعدون عن تانوسو وحدهم ليتأكدوا من سلامة أقاربهم . وكان على أنكوما كمفتش فى البوليس الوطنى أن يصحبهم ولكن فى ملابس مدنية كما كان عليهم أن يذهبوا مجردين من السلاح . وفعلا ذهبوا إلى تانوسو فى سيارتى نقل .

وعندما عاد بوليس أشانتى دارت (موقعة) كان البوليس فيها مسلحاً بالعصى القصيرة والسكاكين ، بينما سلح أهل تانوسو أنفسهم على قدر ما استطاعوا بالعصى والأحجار والمدى القصيرة ، فجرح ثمانية جروحاً خطيرة : خمسة من الأشانتى وثلاثة من التانوسو ، وجرح آخرون جروحاً بسيطة عولجوا منها فى سنيانى ثم عادوا إلى منازلهم .

وبعد دقائق من عودتى من اجتماع مجلس الدولة إلى الاستراحة مر مأمور منطقة

ونكى بنكيمان ليحدثنى فى أمر المعركة. وقد كون لنفسه وجهة نظر خطيرة، على أساس أن النانا لم يأمر شعب تانوسو بأن يرضخوا لأمر بوليس الأشانتى، بل على العكس من ذلك أرسل بالمدد تحت رئاسة أنكوما. فصرحت له أن النانا لم يكن يستطيع التصرف بغير ذلك. وأن الشعب كان غاضباً إلى درجة لا يمكن معها السيطرة عليه إلا بذلك وإلا أفلت الزمام من يد النانا . فحين جعل أنكوما مسئولاً لم يرق دم بل وضعت بعض القيود على الأهالى فلم يصب غير ثمانية بإصابات جسيمة احتاجت إلى علاجها فى المستشفى. ولم يكن الأمر غير ثورة غضب فى تانوسو، إذ لم يكن للأشانتى حق مصادرة أملاك تانوسو هينى . ولسوء الحظ لم يقتنع مأمور المنطقة بحججى إذ كان يرى أن أهالى تانوسو قد خرجوا على السلطة وساندهم النانا بالإضافة إلى أنه حين قدم إلى تانوسو قابل ثلاثة من كونستبلات البوليس الوطني الخاص بالنانا كانوا على وشك أن يلقوا القبض على الزعيم، ولم يصدق المأمور أن هذا حدث دون علم النانا، وزادت شعبية النانا بعد المعركة. وحمد له الناس حكمته ،وكسب النانا شكر شعبه وعلقوا على زيارته للمصابين الثلاثة : لمواساتهم فى مستشفى سنيانى تعليقات مشفوعة بالتقدير والحب .

يوم فى حياة الملك الاله:

وبعد يومين مرض أنكوما بالحمى . وكان ذلك من سوء حظى لأن النانا كان قد دعا بعض الأهالى ليجتمعوا فى الساعة العاشرة ليجيبوا على أسئلتى التى لم أجد لها جواباً عند شخص ما إذ أن مسئولية إمدادى بالمعلومات التى أريدها ، مسئولية اجتماعية ولكن حدث ما أخر الاجتماع فتأجل إلى ما بعد الظهر .

وعندما وصلت فى الساعة الثالثة والنصف اجتمع من اختارهم النانا فى فناء الاستقبال ، ولكن الاجتماع لم يبدأ بسبب تأخر بعض الأمراء . وحتى الساعة الرابعة إلا ربعا لم يكن أحد منهم قد ظهر ، ومن ثم باشر أيكوهينى Ayokobene ـ وهو

المكلف بشؤون العشيرة ، وعليه واجب الاهتمام بالأمراء ـ سلطته وفرض على كل منهم غرامة قدرها خمسة جنيهات ، وخروفين للتضحية بهما ، وزجاجة من الروم كقربان للأسلاف الملكيين ، كما طلب أيضاً تأجيل الاجتماع مدة خمسة عشر يوماً . ولم يعلق أحد على ذلك ، ولكن النانا كان تواقاً إلى عقد الاجتماع ، ورأى أن كثيرين قد حضروا ، فاقترح الإجابة على الأسئلة التى لا تحتاج إلى حضور الأمراء ، فوافق الشيوخ فوراً ، ودعيت أنا لإلقاء السؤال الأول ، وكان عن كيفية قضاء ملوك مملكة بونو القديمة المقدسين يومهم .

وساد صمت ، ولم يتكلم أحد لمدة ، فشعرت بخيبة مرة . وحينئذ وقف أهينماهينى Ahenemahene زعيم الأبناء الملكيين الذين كانت أمهاتهم نساء عاديات . وكانوا هم كذلك أيضاً . ومعظم هؤلاء الأبناء الملكيين يخدمون إما فى منزل النانا (طباخين أو سفرجية أو حاملى أكواب أو غير ذلك) وإما فى القصر (حاملى عرش أو حاملى سيوف أو حرساً) وأهينما هينى هو دائماً أكبر الأبناء الملكيين الذين من أمهات من الشعب . وهو الشخص الذى كان يملك فى الماضى حق الدخول إلى غرفة نوم الملك وهو لا يزال فيها وأهينما الحالى هو الشخص الوحيد الذى يعرف عن طريق التواتر من أصحاب هذا المنصب الذين سبقوه كيف كانت تبدو غرفة نوم ملك بونو ، والسرير الذى كان ينام عليه ، وماذا يحدث حين يصحو الملك . والأهينما هينى الحالى ـ وهو كوازى توى kwasiTui الذى أمدنى بهذه المعلومات ـ فتى ذكى مرح ، يعرف التقاليد جيداً . وبدون أن أوجه إليه أية أسئلة تقدم ليذكر لى ما أردت أن أعرفه ، وأظن أن معظم الحاضرين سمعوا أيضاً لأول مرة عن هذا المظهر من التاريخ الماضى مادامت مثل هذه التقاليد محفوظة فى غاية السرية ولا يعرفها إلا الملك ، والأمراء الذين شغلوا المنصب ذا الشأن .

قال النانا كوازى توى : كان ملك البونو ينام دائماً فى الطابق العلوى من

قصره ذى الثلاث طبقات وسطحه مسطح يغطيه الأوكرو Okro وهو نبات مدارى لم تكن تصنع منه السقوف التى لا يتسرب منها الماء فقط ، بل يرمز أيضاً إلى قوة خصوبة الملك . ونافذة الغرفة لابد أن تطل على الشرق ، لتدخل منها أشعة الشمس المشرقة لأن ملوك بونو — كفراعنة مصر القديمة — كانوا أبناء للشمس الإله ، وكان السرير مصنوعاً على هيئة هرم ذى سبع مصاطب ، وكل مصطبة مغطاة بمادة ذات لون مختلف عن الآخر من ألوان الطيف السبعة إذ كانو يعتقدون أن الطيف سلم تستطيع روح الملك النائم (كرا Kra) أن تصعد إلى أبيه الشمس الإله ، وبه أيضاً يستطيع الأسلاف الذين يعيشون مع الإله أن ينزلوا ليزوروا الملك خلال الليل وكانت ملاءة السرير من البروكار (١) الحريرى الأصفر المطرز بالذهب الذى هو معدن الشمس . أما (المرتبة) والوسائد فمملوءة بتبر الذهب الذى يجدد القوة التى تهبه الحياة فى أثناء النوم والإهينماهينى وهو رئيس الحجاب والمشرف على الجناح الملكى يعلن عن استيقاظ الملك عند شروق الشمس . وإذا ما وصل الى الملك خلع نعليه دليل الاحترام وقرع جرساً معلقا على السرير ثلاث مرات . ثم يستدير ليتجنب نظرة الملك الأولى التى قد تكون خطرة ، إذا كانت أرواح الأسلاف التى قضى الملك الليل فى صحبتها مازالت تحتل جسده . وحينئذ يدعو الملك الإهينماهينى ليجلس ليسأله عن ما جريات الأمور فى العاصمة ، وبعد أن يقدم الرجل أحدث مايعرفه من الأنباء ينتهز الاهينماهينى الفرصة ليعتذر باسم أحد أبناء الملك عما يكون قد سببه من ازعاج للملك أو عن طلب خدمة باسمه

وإذا استعد الملك للقيام يقرع الاهينما هينى جرساً مرة أخرى ثلاث مرات فيدخل عدد من الرجال إلى الغرفة ليطرحوا أنفسهم على الأرض ليدوس الملك الذى لم تطأ قدماه الأرض حافية قط ـ على ظهورهم العارية متقدماً نحو الغرفة الأخرى التى يستقبله فيها ادوار يفوهينى Adnewarefohe رئيس المزينين المكلف بزينة الصباح ، فيجلسه مواجهاً للشرق على كرسى صغير مزين برموز الشمس وقدماه على جلد فيل ، ويقبل الخدم على غسله وتجفيفه وتطبيبه بعصير الليمون ، لأنه أصفر مثل الشمس ، مستعملين فى ذلك إسفنجة مصنوعة من

(١) كان البروكار يستورد من الشمال وربما أتى من إيطاليا .

ألياف نبات الزنبق الذى يشير إلى قوة الإخصاب للملوك .

وإذا ما انتهت زينة الصباح يتقدم رئيس المدلكين Asarefohene وأتباعه بتطييب جلد الملك بالزيوت ،ثم يتقدم منوبرى هينى Manwerehene حافظ الأثواب الملكية وأتباعه ، ليلبسوه ملابسه ، لأنهم الحافظون للأثواب الملكية. والمنوبرى هينى هو الذى يقرر أى الأثواب يلبسها الملك هذا الصباح كما يختار الخف والحلى الذهبية. ثم يلى هؤلاء السافونسوهينى، حاملو الشراب فيقدمون للملك نبيذ النخيل أوأى منعش آخر ،ثم يأتى دور الإفطار وهو وجبة أساسية،وكان يقدم فى العادة فى غرفة أخرى فى الطابق الثانى، ويخدمه خلاله من يسمى سودوهينى Sodoohene ومساعدوه من الخدم . وهنا يأتى دور المهرج الذى يقوم بإضحاك الملك الذى يكون محوطاً ببعض الأولاد الصغار من أبناء النبلاء الذين يعملون خدماً فى القصر ، لأن الملك لابد أن يكون دائماً محاطاً برعيته عند أقدامه ، وبعد الأكل يدلك الملك بالماء البارد ثم يترك ليستريح .

وإذا ما أراد الملك القيام ، يحمل أو بمعنى أصح ، يسند من تحت إبطيه إلى غرفة الاستقبال فى الدور الأرضى ،حيث ينتظره بعض شيوخ دولته وأبناء أصحاب المناصب، ومنهم يتلقى الملك ما يريد من المعلومات عن أية حادثة سياسية أو غير سياسية تكون قد حدثت.والملك كشخص مقدس له أن يعيش عيشته الخاصة فى قصره الذى لايبرحه إلا مرة كل عام ليشترك فى طقوس التطهير الرسمية يوم عيد رأس السنة الجديدة .

والحاكم الحقيقى والملك فى نظر الشعب ، هو ولى العهد الظاهر ،والوصى الشريك ورئيس مجلس الدولة. والقرارات النهائية فقط يقررها الملك، إذ أنه كان كالعادة ولياً ظاهراً للعهد فكان على معرفة تامة بأمور الدوله والقادر على إعطاء القرار النهائى فى كل الأمور .

ويتناول الملك وجبته الثانية فى الساعة الرابعة ويعقبها تدليك جديد وراحة جديدة ،وله بعد ذلك الحرية فى أن يرفه عن نفسه، ففى بعض الأحيان يطلب الأميرات الملكيات ليرقصن أمامه وأذرعهن العارية ونهودهن يغطيها تبر الذهب . وقد يغنى أبناؤه الصغار له أو يلعبون على الناى ، أو يشتركون معه فى لعبة وارى Warri(١) التى تلعب بأحجار من ذهب . وفى يوم الجمعة — وهو يوم الراحة فى مملكة بونو— اعتاد الأمراء الملكيون — الذين أمهاتهم من أصل نبيل — أن يخرجوا راكبين خيولاً بيضاء ليذهبوا إلى فناء القصر لتحية الملك . وقد تنظم الاستعراضات حيث يلعب المشتركون بالحراب .

وإذا ما غربت الشمس وراء الأفق كان ذلك وقت انسحاب الملك ،فتضاء المصابيح الذهبية الموضوعة على حوامل طويلة مذهبة فى جناحه الخاص، وتأتى واحدة أو أكثر من زوجاته الثلاثة آلاف ليختار من بينهن الأودابن هينى Odabenhene حارس الحريم زوجة الليلة ، وهو دائماً أمير عجوز حفيد لملك وابن لأميرة . ولم يكن مسموحاً للملك أن يفضل زوجة بعينها ،ولكنه يستطيع أن ينام مع ألف زوجة كل عام إذا كان ذلك ممكنا .

وفرغ اهينماهينى كوازى توى من إعطاء هذا البيان ثم ساد صمت طويل . ثم نهض كوروتنى هينى Korontihene ليقول إنه من أجل إتمام الكلام عن الأمور فى الماضى ، يجب أن يضحى بعبد لإعلام الإسلاف الملكيين فى المملكة العلوية أن كشف هذه الأشياء ضرورى ؛ وما دامت التضحيات البشرية قد منعت، فقد اقترح أن يضحى بست زجاجات من الجن ،فأمر النانا بإحضار الجن بسرعة وأمر المذيع بالصمت ، وأعطيت إحدى الزجاجات إلى ادومفوهينى Adumfohene رئيس

(١) تشبه الشطرنج أو الضامة .

الجلادين وهم قاتلو الضحايا البشرية فى الماضى ، فسكب نصفها على الأرض بينما كان
توافوهينى Twafohene قائد مقدمة الحرس يتمتم بالصلاة وسكب بقية الزجاجة
فى كأس ليدور بها على الحاضرين . أما الزجاجات الخمس الأخرى فقد سلمت إلى
رئيس حملة العرش الذى حملها إلى معبد العروش ليسكب محتوياتها على عروش
الأسلاف الملكيين السوداء . وفجأة حدثت ضجة عالية بين المجتمعين إذا بلغ التأثر ببعض
الحاضرين أن بدأوا يبكون حين تذكروا مجد الماضى وقارنوه بالحاضر القبيح بفقره
واحتمالات الخراب إلى جانب ما يلقونه من إهانات. وقد أثارنى أن كانت أسئلتى هى
السبب فى هذا الألم ، كما سببت إسراف للنانا ، فاقترحت إن يكون ثمن الجن على
حسابى ، ولكنه رفض، وكان النانا قد أزعجه ارتفاع الأصوات فأمسك بذراعى .
وقادنى إلى غرفة الاستقبال تاركاً الناس ليهدأوا وأمر بالبيرة لى ، ثم وضع اسطوانة
على «الجراموفون» وكانت أغنية أمريكية قديمة طويلة ولما توقفت الأغنية بدأ يزودنى
بمعلومات أخرى عن أسلافه الملكيين .

وعندما عدت إلى الاستراحة اتجهت بفكرى إلى ملوك بونو الذين رجعوا بى
بحرارة فى الكهف المقدس منذ خمس سنين حتى أصبح القيام بهذا البحث متاحاً لى .
كانو ملوكاً عظاماً . ومنذ القرن السابع عشر تمنطقوا بالذهب. وقد علمت من مصدر
آخر أنه كان من مراسم الصباح أن يغمسوا أيديهم عميقاً فى جفنة مملوءة إلى حافتها
بتبر الذهب الذى كان يجلب كل ليلة من أقرب مناجمه(١) بواسطة موظف فى القصر
كان مكلفاً بذلك ، وكان يذهب إلى المناجم راكباً فرساً . وكانوا يعتقدون أن
الذهب هو معدن الشمس الذى يجدد قوة منح الحياة لروح الملك (كرا) التى
تتوقف عليها الدولة . ثم يذهب إلى الشجرة الذهبية أمام قصره وكانت شجرة عارية

(١) قيل إنها كانت فى الشمال الغربى من بونو مونسو بالقرب من توى وانهار تاين Tain

الساق لها ثلاثة فروع قد شذبت ومغلفة بالذهب ، وهناك يمسك بحوض من الذهب
مملوء بالماء المقدس . الذى جلب من بركة الذهب التى هى منبع نهر تاتو . وينثر
بعض الماء فى الهواء ثم على نفسه كى يبارك روحه . ثم يشكر الكائن الأعظم من
أجل الصحة الجيدة التى أسبغها عليه ويصلى طالباً لنفسه طول العمر والنماء له
ولدولته .

وكانت حضارة مملكة بونو تنتمى أساساً إلى عصر البرونز ، وكان هذا مؤكداً
من التركيب السياسى للدولة إذ كانت اتحاداً لزعامات يحكمها ملوك مألهون . ومن
دياناتها التى تركزت فى عبادة الإخصاب مع من ماتوا أو قاموا من آلهتهم إله النمو
ولكن أهم مميزات عصر البرونز وهى البناء الحجرى والكتابة والعجلة ، فلم
توجد بينهم .

وكان البناء بالحجر مستحيلا فى هذا المكان الذى يفتقر إلى الحجر الملائم ،ولكن
ما أمر الكتابة ؟ كان لبوستومانو منذ نشأتها مدينة توأم هى صونفو وأهلها كلهم
مسلمون وكثير منهم متعلمون . وكان هناك الاتصال التجارى بالشعوب الإسلامية
التى تسكن السودان الغربى وشمال إفريقيا بالإضافة إلى التأثير الإسلامى الذى ظل
قوياً فى بونو منذ القرن السادس عشر على وجه أكيد ، فقد تزوجت الملكة الأم
أمييا الثانية Ameyaa II (١٥٦٤ — ٦٦) مسلماً ، كما تزوجت الملكة الأم أفرانوا
Aferanwa (١٥٩٨ — ١٦٠٤) مرتين من (معلمين) من رجال الدين . وكانا
بالتأكيد يحسنان القراءة والكتابة وابنتها افيرا كوما Afera Kommaa
(١٦٠٤ — ١٠) اشتهرت بكثرة مريديها من المسلمين ولاسيما بين المبعوثين الأجانب
وكانت متفقهة فى العلوم الإسلامية . وعملت كثيراً خلال حكمها من أجل تسوية
الخلافات التى نشبت فى القصر بسبب كثرة اعتناق الأمراء والأميرات للاسلام ، مما
حال دون ارتقائهم للعرش. واحتجوا على ذلك ، كما منعوا من أن يدفنوا فى المقابر

الملكية . ونانا انكوما Nana Ankomaa (١٦٨٠ — ١٧٠٧) كانت ابنته أميرة اعتنقت الإسلام وأب مسلم وتخلت عن الإسلام لتصبح ملكة أماً .

فلماذا إذن لم يحاول ملوك بونو والملكات الأمهات بها أن يدخلوا الكتابة إلى الدولة ، كما فعل ملوك عصر البرونز الآخرون فى الشرق القديم ومصر . نستطيع أن نظن أنهم لم يهتموا بحفظ سجلات مكتوبة لتاريخهم ، أو وصفاً لمملكتهم أو قصصهم أو الأشعار أو الأغانى وهى التى كانوا يقدمون الجوائز لأصحابها فى احتفال رأس السنة (١) . بل كان حفظ التقاليد عن طريق الرواية هو المألوف والمنظم إذ كان من واجب موظفين مخصوصين يتولون مناصبهم فى القصر عن طريق الوراثة وعليهم أن يحفظوا ويرووا فى المناسبات المختلفة حوادث الماضى : فالكهنة الملكيون مثلا هم الذين يروون الحوادث التى حدثت خلال حكم الملك ، ورؤساء الاحتفالات ، الأبرافو ، هم الذين يروون الحملات الحربية لكل ملك ، أما الرواة وحارسو المقابر الملكية فهم الذين يتحدثون عن المظاهر الشخصية وطباع المتوفين من الملوك . والملكات الأمهات ، وحارسو الخزائن الملكية هم الذين يحفظون الأساطير الخاصة بالذهب (التعدين وتبر الذهب والعملة) بينما كان المشرف على الأسواق هو الذى يروى الحوادث المتصلة بالتجارة مع الدول الأوروبية ، أما رئيس المتكلمين باسم الملك فهو الذى يروى عن الأرض التى ملكها الملوك ورؤساء العشائر والبطون وهكذا . وفى كل يوم من أيام الجمعة منذ إنشاء الدولة يتلقى الأمراء الملكيون التعليمات والتعليقات على تاريخ الدولة من أنكوبيا هينى Ankobeahene رئيس الحرس الملكى الذى ينحصر واجبه فى أن يقف على تفصيلاتها ، أما الكهنة فعليهم

---

(١) ولو أن لهم صوراً عبرت عن معتقداتهم الدينية (انظر Sacreo State ص ١٩٨ — ٢٠٢)

حفظ الأناشيد والأغانى التى ألفت فى تمجيد الآلهة ؛ وكل أسرة نبيلة عليها أن تسلم قصة أصلها إلى من يخلفها جيلا بعد جيل، أى أعمال أعضاء الأسرة والحوادث الهامة فى تاريخها . أما الحيوان الذى كان رمز المملكة بولو فهو الببغاء وهو طائر يرمز إلى الفصاحة ، وعن طريق فصاحته حاولت الدولة أن تكسب نهايتها ، وقوة الخطابة هى التى عوضت الناس عن ندرة اهتمامهم بالكتابة .

أما طريقة حياة شعب البونو فكانت تقليدية ، ومعاملات الناس تقليدية أيضاً وبسيطة ؛ فالرغبة فى التجربة لم تخلق ، كما أنهم لم يشغلوا أنفسهم فى التخيل أو الغايات العقلية ، وتصورهم للعالم منع ذلك ، لأن الاعتقاد فى الأرواح التى كانت دائماً تحيط بهم — وهى أرواح الأسلاف الملكيين والآلهة الكبرى والصغرى التى سكنت الأشجار والنبات والأنهار والتلال — أضاعت التمييز بين الخيال والواقع . ولم يكن للتفكير المنطقى قيمة ، مادام الشعب يعتقد أن وجوده متوقف على الإرادة الصالحة لهذه الأرواح وقوتها على العمل كوسطاء بينهم وبين الآلهة العليا . وعندما اعتنقوا الإسلام لم يستطع هذا الدين أن ينزع منهم هذه المعتقدات .

ولكن كان لا بد للعجلة أن تعرف بينهم ، على الأقل لتجار بونو الذين تعودوا كثرة الارتحال . ولا بد أن عجلة صنع الفخار — التى يحتمل أنها كانت معروفة ومستعملة بواسطة بعض المسلمين فى العاصمة — كانت معروفة لديهم ، ولكنها لم تكن شائعة الاستعمال ، ولا شك أن سبب ذلك يعود إلى قوة الملكة الأم التى نصرت صانعات الفخار وما كن ينتجنه بأيديهن . ولم يكن يسمح للرجال بمنافستهن فى ذلك باستعمال العجلة ، فضلا عن أن صانعات الفخار كن محافظات على أسرار صناعتهن فخورات بحرفتهن فرفضن إشاعة استعمالها .

والعربة سواء ذات العجلتين أو ذات الأربع كانت عديمة الفائدة فى بونو مادامت الطرق كلها رملية والرقيق الذى يحمل الأثقال كثير العدد . وكان الحصان يستخدم

فى النقل ، وكل الشعب يركبه ، وربما استعملت الثيران فى الجر بالرغم من أنه لا يوجد من يتذكر ذلك فى تكيمان . ولكن الثيران المسروجة كان يستخدمها أسلاف النانا وشعبهم عندما تركوا الصحراء الشرقية وشقوا طريقهم إلى منطقة تمبكتو حيث استقروا وأنشأوا دولة ديالا قبل سنة ٨٠٠ م .

وكان مستوى الحياة فى بونو مرتفعاً ، والفضل فى ذلك يرجع إلى ما كانوا يصدرونه من الذهب وحبوب الكولا ذات الأثمان المرتفعة والتى كانوا يزرعونها . وما زال الأشانتى فى منطقة كوماسى يشيرون إليها فى إعجاب ودهشة ، فالرقيق حين كان يحمل الأثقال على رأسه كان يضع (الحوية) من قماش يستعمله الناس فى لباسهم اليومى . والذهب الذى توقف عليه انتعاش المملكة وازدهارها ، ظل يستخرج وفقاً لأحدث الطرق الفنية منذ القرن السابع عشر بلا شك[1] . أما مناجم الذهب فى تلال باندا والتى أصبحت جزءاً من أراضى مملكة بونو بعد خراب بى نسوكو . فشاهدة على ذلك[2] .

ومن أجل شغف شعب بونو بالتجارة[3] لم يكونوا يحبون الحرب ، مخالفين

---

(١) يقال إن الملك آتى كوامى Ati Kwaame (١٦٠٩ — ١٨) سافر وهو أمير إلى إقليم وانجارا فى السودان الغربى . وهو أحد الأقاليم الغنية بالذهب كى يدرس وسائل استخراج هذا المعدن .

(٢) لأجل صناعة التعدين انظر كتاب Sacred States ص ١٩٨ — ٢٠٢

(٣) ثانى ملوك بونو وهو أكومى أميياو الأول (١٣٢٨ — ٦٣) أرسل أميرا وهو أبونو مانكوما Abunuman Koma إلى السودان وشمالى افريقيا ليذيع بثروة بلاده وليدرس تجارة الذهب ،وكذلك فعل الملك آتى كوامى وخليفته أميياو كورومب Ameyaw Kurump (١٦١٨ — ٣٣) أم الملكة الأم أكوا جيامفياو Akua Gyamfiwaa (١٦٤٣ — ٥٦) فإنها سافرت وهى أميرة إلى قصور كثير من ملوك السودان لنفس الغرض .

فى ذلك غزاتهم الاشانتى . وقد شملت بونو - وهى فى أوجها - كل الأراضى المفتوحة بين نهر فولتا الأسود والغابات المدارية ، وامتدت لمدة قصيرة إلى الغابات التى تقع فيها منطقة كوماسى . وقد اشتهرت هذه الدولة بأنها أغرت كثيراً من المدن الحكومية والقبائل النازلة على حدودها على قبول الخضوع لملوك بونو لقاء الأمان ومزايا الانتساب إلى دولة قوية . وتمتعت البلاد التابعة لها بحكومات محلية على الرغم من أن ملوكها وزعماءها كان لهم الحق فى أن يتزوجوا بناتا يجرى فى عروقهن الدم الملكى ، ويخلفهم أبناؤهم إذا ما دبرت الملكات الأم أمر الزواج على الطريقة الأموية من أبناء الأسرة الملكية ، ليرتبطن بالبيت الملكى فى بونو . وهناك دليل شاهد على عزوف الشعب عن الحرب ، ممثل فى أسلاف شعب أيتبوبو Atebubu الحالى . فحول سنة ١٦٠٠ استقر هؤلاء القادمون من الشمال — ومعظمهم من الطوارق — فى منطقة قفراء غير مأهولة من مملكة بونو . وطلب منهم البونو أن يقدموا إلى العاصمة ليصبح مركزهم قانونيا ، ولكنهم رفضوا لأنهم لم يريدوا أن يكونوا من رعايا ملوك بونو . وكان هؤلاء قادرين على طردهم أو إخضاعهم بالقوة ولكن بدلا من ذلك منحوهم الأرض وضمنوا لهم استقلالهم ، ما داموا يعيشون فى سلام ويتاجرون معهم واستمر هذا الاتفاق إلى سقوط مملكة بونو .

ولم يكن الأشانتى يستطيعون غزو بونو طالما كانت الدولة قوية داخلياً وفى حالة طيبة ، ولكن منذ نهاية القرن السابع عشر أخذت الأحوال الداخلية تزداد اضطراباً فقد خلفت التجارة قطاعاً مثرياً من الشعب أراد أن يكون له صوت مسموع فى الحكومة ، الأمر الذى لم يكن الملوك والملكات الأم على استعداد للتسليم به ؛ فكانت النتيجة أن ازداد السخط على الحكومة التى أرادت أن تقضى عليه بمساعدة سكارا بوندو Sakarabundw وهو إله ثيتل ، وهو أصلا معبود من نوع تانو يرمز إلى الخصب ، وتطور إلى الشر ،حين عجز الكهنة (وهم غرباء من إقليم وانجارا)

عن أن يضمنوا مكانة لائقة لإلههم ، فلم يكن أمامهم إلا السحر الأسود واللجوء إلى السحرة . وفى الماضى — ليس فقط فى بونو بل أيضاً فى ولايات أخرى من الأكان على ما تذكر الأساطير — طرد مثل هؤلاء الكهنة . ولكن سكارا بوندو كسب تأييد الملوك الذين كانوا يؤملون فى أن يستفيدوا من معونته لهم ، لأنه كان من السهل على الملوك أن يدعوا على أى شخص من الذين لا يستطاع الاعتماد عليهم سياسياً أو أحد الذين أثروا وأصبح ذا نفوذ أنه ساحر ليحكموا عليه بشرب السم فإذا أثر السم فيه ومات(*) صادرت الدولة ثروته . وبسبب قوة سكارابوندو لم يكن هناك من سبيل إلى أية إصلاحات سياسية[١] . وفى عهد الملك الأخير أصبح سكارابوندو قاتلا حتى لقد نصر فريق كبير من الشعب بافوبيم Baafo Pim زعيم نكورانزا حين ثار ليسقط الأسرة الحاكمة بمساعدة الأشانتى مدفوعاً بدوافع شخصية . وبذلك انتهت دولة بونو دون أن تراق قطرة دم ، إلا إذا استثنينا الموقعة التى قاتل فيها شعب تكيمان فى الوادى المستدير قرب أسيوى .

ولسوء حظ بونو اعتقد أشانتى هينى أو بوكو وارى Opoku Ware أنه يمكن استغلال ثروة البلاد المفتوحة بالقوة والعنف ، فقسمت بونو إلى عدة ولايات تابعة له ، وفرضت عليها الضرائب الفادحة ، بواسطة ملوك الأشانتى المتعاقبين ، مما أحال ثروة البلاد فقراً ، وهاجر كثير من أهل بونو إلى دول أخرى ، واشتدت الهجرات بعد أن اندلعت الحرب بين الأشانتى وتكيمان فى سنة ١٨٧٧ . ولما احتل البريطانيون ولايات بونو أو برونج كما تسمى فى الوقت الحاضر . كانت فى حالة بؤس وفقر

(*) الحكم بشرب السم كان بمثابة تجربة أو امتحان لمن يتهم بممارسة السحر . فإن كان بريئاً لم يؤثر فيه السم وإن كان مذنباً مات به . يراجع فى هذا :
Franz Baostedifor,: General Athropology, p. 255, Madison, Wisconsin, 1944.
(المراجع)

(١) انظر Akan of Ghana ص ١٢٤ — ١٢٥ .

سكانى ، ولم يعد بها أثر لما كان بها فى وقت من الأوقات من ثروة وحضارة عظيمة .

والأشانتى دائماً أصحاب قوة حربية شغوفون بالحرب أكثر من شغفهم بالتجارة . وما تمتعت به الطبقة الحاكمة من ترف كان مما سلبوه من الأمم التى غزوها . وقد كتب بوديش Bowdich الذى زار كوماسى فى سنة ١٨١٩ ليعقد مع الأشانتى معاهدة تجارية[١] (إنهم — الأشانتى — أقل الناس حباً فى التجارة ، كالرومان فى أيامهم الأولى . والحكومة تفضل أن تشتد على الناس على أن تنتزع نفسها من غريزتها الحربية ، لأنهم يعتقدون أن الغزو هو الوسيلة الوحيدة للعظمة) وإلا انكسرت نزعتهم الحربية وتعذر عليهم مقاومة رغبات التجار المتزايدة والمعارضة لشعوبهم فيقفوا فى وجه فتوحاتهم ويحطموا قوتها .

وقد تعطينا الحفائر التى قد تتم فى بونو مانسو وخاصة فى قصور ملوكهم والملكات الأم فكرة عن عظمة بونو الأولى ، أو قد تلقى ضوءاً على حضارة إفريقية قد تضارع حضارة غانة القديمة ، وهى التى أنشأت شعب ديا Dia أو دياكا أو دياغا (Diaka or Diagha) عند منحنى نهر النيجر ويشتركون مع أسلاف مؤسسى بونو Diala . والأشانتى (Diara)[٢] .

ضيوف الأستراحة : شغفت بجمع الخرز لاسيما الحجرى منه ذى القيمة الأثرية ، الذى وجد طريقه إلى الجنوب من شمال أفريقيا والصحراء . كما شغفت بخرز الفينيقيين الزجاجى القديم وهو الخرز البندقى الأصل . وقد ذهبت مرتين إلى

(١) انظر A mission to Ashant p.p.235

(٢) The Akan and Ghana in Man vol LVII pp86.87

السوق لأرى بائعى الخرز وهم من شيوخ شمال نيجيريا ومظهرهم جدير بالاحترام ، وقد قلبوا أمامهم بضع أكياس قديمة من أكياس الأسمنت مملوءة إلى حافاتها بالخرز وكثيراً ما حاولت أن أحصل على خرزة قديمة فى شكل البرميل من العقيق الأحمر(*) أو من المرمر الأبيض أسطوانى الشكل أو خرزة قد تكون من اليشب (**) الأخضر القاتم . كما شغفت أيضاً بالخرز المحلى القديم ومنها البوتا Bota والبودوم Bodom والتيتيسو Teteaso الغالى الثمن ، وهو الذى أدخلت صناعته إلى بونو الملكة الأم جياسيوا Gyaasewaa (١٦٥٦ — ٧٩) ومن أجل إيجاد أساس لدراسة الخرز تكرم النانا وجمع لى كمية منه من بعض العائلات فى تكيمان. وفى هذا اليوم جاءت إلى الاستراحة الملكة الأم وبعض سيداتها اللائى عرف عنهن خبرتهن فى هذا الموضوع ليعطينى بعض المعلومات.

وصلت الجماعة وكانت مكونة من الملكة الأم وزوجها وطفلاها والمربيات اللائى فى خدمتها والمتكلمات باسمها، وأربع سيدات من أعضاء مجلس النساء . وكان انكوما قد وصل مبكراً ولم تكن هناك مقاعد كافية ليجلسن عليها جميعاً ولذا بحثنا عن بعض صناديق أو حقائب ليجلسن عليها . ومن أجل بعث النشاط فى ضيوفى قدمت لهن النبيذ الهولندى فسرنى أن رأيتهن وقد شعرت كل واحدة منهن بالألفة كأنها فى منزلها . وعندما فتحنا موضوع الخرز قدمت لى الملكة الأم — على غير انتظار — عقداً اشتركت فى جمع حباته مدينة تكيمان وقراها بأن قدمت كل واحدة منها خرزة . فنظرت إلى العقد فى شغف وسألت عن كل خرزة من أى قرية جاءت . واهتممت بذلك أكثر من اهتمامى بمعرفة اسم الخرزة وأصلها . ولما كنا قد احتفظنا بالظروف التى احتوت كلا منها فإن انكوما أخذ يقرأ لى أسماءها .

(*) كان يستخدم فى الغالب لحفر الأختام (المراجع)

(**) من أحجار الزينة وهو غالى الثمن (المراجع)

كان الخرز من كل الأشكال والألوان وكان من بينها واحدة من النوع الذى أفضله ، خرزة قديمة من حجر معتم زجاجى أزرق . وكانت خرزة قديمة ربما جاءت من جنى [مدينة] على نهر النيجر حيث كان يصنع هذا الخرز أولاً فى أفريقيا الغربية ، منذ قرون . ويقال إن أصله من الصين . وكانت هناك ست أخريات من نفس النوع ولكنها أحدث عهداً وبعضها تقليد أوروبى . وكانت أكثر صلابة وأشد لمعاناً وإن كان لونها الأزرق أقل جمالاً . وكانت هناك مجموعة أخرى من البوتا وواحدة من التيتيسو ولكن ليست من القرن السابع عشر أو الثامن عشر ولم تكن الأسرة تفرط فيها وهى تساوى ثقلها ذهباً . وقد أحببت كثيراً واحدة من الخرز ولسوء الحظ ذكرت ذلك وكان اسمها (أحبى زوجك) فكان حبى لها موضع سرورهم . وكانت اسطوانية الشكل وسوادها غير جميل ، ولكنها كبيرة عند الوسط وعليها عدد من الدوائر الصفراء الخشنة . وكل واحدة منها احتوت على خطوط زرقاء رقيقة على قاعدة بيضاء وهى رمز القمر[1] .

وشربنا مزيداً من البراندى، ولكن عندما ظننت أن وقت العمل قد حان، قامت المتكلمة بلسان الملكة الأم . وبدأت ترقص وكانت امرأة سمينة إلا أنها راقصة رشيقة وصحب الغناء الرقص . ولما جلست ترجم لى أنكوما ألفاظ الأغنية .

فقال : (تيتيسو — اسم الخرزة — قديمة قدم الدولة دولة تكيمان) وخرز

---

(١) فى موضوع الخرز انظر : Sacred States ص ٥٠ و ١٥٦ و ٢٠٧ وأشكال ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ .

التينيسو ورسوماتها المختلفة طويلة فى العادة ذات جوانب أربعة . وأحياناً كروية غالباً ما تكون ألوانها ثلاثة أو أربعة .

أردت أن أحفظ الأغنية ، ولما حاولت ذلك أعادت المتكلمة بلسان الملكة الأم غناءها واشتركت فى الغناء . ولما وصلت إلى السطر الثانى غنت الملكة الأم السطر الأول . ولما وصلنا إلى السطر الثالث . غنت السيدات السطر الأول . ثم غنت هى ما يليه وهكذا . ثم بدأنا جميعاً معاً . وصحبنا الرقص هذه المرة . وقد اشتركت مع المتكلمة بلسان الملكة الأم بعض السيدات الأخريات . وحاولت أنا أيضاً حين أصررن جميعاً على ذلك ، ولكنى عجزت عن أدائها، فالإيقاع الإفريقى صعب الأداء على الأوروبيين. وعندما جلست الراقصات حاولت الغناء مرة أخرى ولكن المتكلمة بلسان الملكة الأم قاطعتنى بسرعة وأخبرتنى أن هناك أغنيات كثيرة أخرى تدور حول الخرز مثل أغنية خرز أمان نكواتيا Aman kwatia وأبوبو Apupu .وقبل أن أقول شيئاً بدأت تغنى (أبوبوتسو بودى) وترجمة كلماتها (خالق الماء الذى يستعمل ويرمى خارجاً . أهذا شكر ؟) .

وهكذا ظللنا نغنى ونشرب ونرقص حتى زحف الظلام فتذكرت الملكة الأم فجأة أن لا بد من إطعام الأطفال ولم يرد كوابينا الصغير أن يخرج إذ سر هو أيضاً ولكن قطعة أخرى من الشيكولاتة كانت كفيلة بأن تغير رأيه بينما كانت أفوا نائمة على ذراع زوجها .

وعندما ودعت الملكة الأم رجوتها أن تخبر النانا أنه على الرغم من أنى قلت له إنى لن أقبل هدية قبل أن تعود القرى التسع إلى تكيمان فإنى لن أرفض عقداً من الخرز اشتركت قرى الدولة فى جمع حباته .

وكانت الإشارة إلى القرى التسع قد دفعت بالحزن إلى نفس الملكة الأم ،

فصمتت لحظة ولكنها عادت وتحدثت قليلا وأشارت إلى القرى التسع وإلى الموقف السياسى . وختمت حديثها الذى تجريه بلباقة بعبارة : « كان هناك حزن عندما عينت (فى منصبى) أرجو أن لا تجعلى الحزن وحده يتصل بعهدى . نحن نضع ثقتنا فيك . حررينا من الحزن كله » .

حادثة زعيم سونغو : شكا الصغير كوابينا ابن الملكة الأم من دمامل ظهرت فى فخذه وساقه وبدأت أعالجه باليود ، فكنت أنظفها بمحلول الديتول ، لأنى ظننت أنها قرصات بعوض انتشرت بسبب هرش الصغير لها بيده القذرة . ولكن حين بدا أن هذا العلاج غير مجد استشرت رجل المستوصف فى نكوراتزا حين مر بتكيمان فأكد الرجل أن الطفل يعانى العلة التوتية (Framboesia[1]) وذكر أن ثلاث حقن من البنسلين تكفى لعلاجه . وما زالت تكيمان خالية من أى مستوصف ، لأن الحكومة قد سحبت كل مساعداتها بعد إيقاف النانا عن العمل ، ولم تستطع تكيمان أن تبنى مستوصفاً ذا غرفتين أو ثلاث للعلاج (إذ تقدر مصاريف بنائه بأربعة آلاف وخمسمائة من الجنيهات) ولذا تقتصر الخدمة الطبية على ممرض متنقل يأتى إليها مرة كل يوم جمعة لمعالجة مرضى السجن الذى سبق إخلاؤه لهذا الغرض . فلما كان يوم الجمعة وأردت أن أعرف كيف أصبح كوابينا ذهبت إلى السجن لأراه ولكنه لم يكن هناك ، ولم يكن هناك أى مريض ، إذ اندفعوا جميعاً إلى المكتب فى القصر إذ كانت هناك حادثة . ودخلت إلى المكتب الصغير بصعوبة لأنه كان مزدحما بالناس الذين أتوا يبدون عطفهم على المصاب وهو زعيم سونغو وكان رجل المستوصف يسعفه إذ صدمته سيارة نقل ولكن إصابته كانت خفيفة وتورم صدغه الأيمن الذى كان به خدش وكان يبدو عليه الألم ، ولكنه ــ بالرغم من ذلك ــ كان فى حالة حسنة ، وقد تأثر الرجل المسن

(١) مرض جلدى [المراجع] .

كثيراً حين عبرت له عن عطفى وجلست أمامه على مقعد . فقام أكثر من مرة ليهز يدى معبراً عن شكره لقدومى لمواساته فى محنته. وبذلت جهدى لتهدئته ورفهت عنه بعض كلمات كنت أعرفها من الهوسا ، مما أشاع الابتسامة فى شفتيه . وترقرقت الدموع فى عينيه .

ولكن هذا المرح توقف حين قدم النانا مندفعاً إلى الحجرة وأراد أن يرى الجانى وكان شاباً حدثاً أخذ فى البكاء ولكن أنكوما هدأ من روعه وبدأ يأخذ بصماته واسمه وعنوانه . وقد امتلأ النانا غضباً لأن معلمه المحبوب وصديقه قد أصابه ضرر بل وربما لأن أحد العامة قد أصاب زعيما ، فلطم الشاب على وجهه من اليمين واليسار . ولكنه لم يلبث أن أمسك بكتفيه وبدأ يكلمه فى غضب ثم تلطف فى القول وبدأ صوته ينخفض حتى غدا همساً . ثم نصحه مؤنباً : «أنت صغير ويجب أن تطيع من هم أكبر منك سناً ، ولأنك عصيتهم وحاولت قيادة السيارة وقد منعوك من قيادتها ، تسببت فى هذه الحادثة » فوعد الشاب الذى كان يرتعد بأن يطيع من هم أكبر منه سناً فعفا عنه النانا والتفت إلى أنكوما وطلب منه شطب الحادثة . ولم يصدق الشاب أنه لن يلقى عقوبة ما . وهلل المجتمعون للنانا ، لأنهم تأثروا كثيراً بحكمته وشهامته .

والتفت النانا إلى زعيم سونتو وطفق يسأله عن إصاباته . ولكن سونتو هينى كان لا يزال متأثراً لأنى أتيت ومكثت معه لأواسيه فاكتفى بأن أشار إلى ، فالتفت إلى النانا — ولم يكن بعد قد أحس وجودى — وشكرنى بحرارة لعطفى على صديقه وخرج زعيم سونتو إلى منزله فى سيارة النانا ، وانفض الناس ، وبقيت مع أنكوما وحدنا فى المكتب، فسجل بصمات الفتى وملأ الاستمارة ووضعها جميعاً فى دولاب مضعضع

كان فى الغرفة التى شملها الصمت . وكلما مر بى نظر كل واحد منا إلى الآخر وابتسم دون أن يقول شيئاً .

وتركت المكتب ونحن نتبادل الابتسام إذ كان مثلى لا يرى إلا الجانب المسلى من الأشياء إذ لم نكن فى حاجة إلى مناقشة الحادثة بعد أن فهم كل منا الآخر تماماً .

افتتاح نادى كرة القدم واقامة المباراة الأولى : دعيت مرة أخرى إلى الرقص وقد أقامه هذه المرة أعضاء نادى كرة القدم ، الذى أسس حديثاً ، وكنت قد أتقنت الدرس الذى تعلمته وقررت أن أذهب هذه المرة متأخرة كى لا أكرر الخطأ الذى ارتكبته فى حفلة الشرطة . وقلق على النانا عندما تأخرت إلى الثانية والنصف فأرسل رسولا مع سيارته .

ففى هذه المرة كان على أن أذهب فى الميعاد لأن النانا كان سيفتتح النادى قبل أن يبدأ الرقص . وهو شىء لم أعلمه . ومرة ثانية ، لم ينجح أنكوما فى تبصيرى ومدى بالتعليمات الصحيحة .

وحين وصلت إلى المدينة كانت الشوارع قد ازدحمت بالناس ، ووجدت صعوبة فى شق طريقى إلى مبنى الجمعية التعاونية حيث كان احتفال الافتتاح والرقص . وكان النانا جالساً فى الشرفة المكشوفة التى تطل على « صالة الرقص » وأنا أعنى الأرض المكشوفة الممتدة أمام البناء ، والتى غطيت لهذه المناسبة بقماش من أرضيات الخيام، مما يستعمله الجيش . ورحب بى النانا بحرارة وأجلسنى إلى مائدة صغيرة بجوار مائدته. وما إن جلست حتى بدأت فرقة الموسيقى النحاسية تعزف السلام الملكى البريطانى . ووجه النانا حديثاً إلى مئات من أفراد الشعب الذين وقفوا وراء الحبال التى تدور حول صالة الرقص . وبذلك افتتح النادى . وعزفت الفرقة مقطوعات قليلة لتعطى الزعماء والشيوخ وأعضاء النادى فرصة يتركون فيها موائدهم لتحيتى . وأرسل إلى

النانا علبة من السجاير وبعض زجاجات البيرة حتى أستطيع أن أدعو من أشاء (إلى مائدتى) كما أهدانى النادى زجاجة من البراندى . ودعوت أوفومان هينى — وكان جالساً بينى وبين الملك — إلى مائدتى . كما دعوت أنكوما وكوى إلى ذلك أيضاً فهما تابعاى فلا بد لهما – وفقاً للعادات – أن يشاركانى ما أهدى إلى من البيرة والبراندى .

ولما بدأ الرقص عدت إلى الجلوس . وتذكرت وأنا خجلة سلوكى فى حفلة الشرطة حين افتتحت الرقص مع مدرس شاب ، الأمر الذى يشين النساء . ولكن شيئاً من هذا لن يحدث هذه المرة فقد أصبحت حذرة من أن يتكرر ذلك . وقد عبر النانا عن عدم رضاه لأنى لم أرقص فقد أخبره جميع الناس كيف رقصت (فى الحفلة الأولى) رقصاً حسناً ، والآن لم أبعث السرور إلى نفسه برؤيته رقصى . ولذا لم يلبث أنكوما أن أسرع يبحث عن مفتش الزراعة فى ونكس الذى كان أفضل الموجودين إتقاناً للرقص والذى رقصت معه فى حفلة الشرطة . ولكن مما يؤسف له أن الرقص كان فاتراً ، والأرض غير ممهدة فأصبحت إجادة الرقص مستحيلة ولكن الناس الذين كانوا يراقبوننا صفقوا فى سرور كما سر النانا ورجانى أن أرقص كل الرقصات .

وفى الرقصة التالية — وكانت رقصة هاى لايف — اخترت أنكوما ليكون شريكى ، ولسوء الحظ تذكرت الفرقة الموسيقية تفضيلى لهذه الرقصة فظلت تعزفها حتى عجزت عن مزيد من الرقص ، إذ كان القماش مفروشاً على الأرض التى لم تنظف من الحشائش والأحجار . مما جعل الرقص مجهداً . ومن أجل هذه العقبات لم يكن هناك ترابط بين الرقص والتوقيت مما جعل الأمر غير محتمل بعد قليل . وخلال الرقصتين التاليتين ظللت أستريح فى مقعدى كما قلت للنانا . الذى لم يستطع أن يفهم لماذا تعبت . وتلا ذلك رقصة هاى لايف طويلة ثم أخرى مما أنهك قواى تماماً . وكانت

الساعة لا تزال دون العاشرة ، وما زال الباقى من الليل طويلا . وجاء الخلاص أخيراً على غير انتظار . إذ أرعدت الدنيا فجأة وأبرق البرق ، وانهمر المطر حتى لقد أصبحت أرض الرقص فى لحظة يسيرة مملوءة بالماء . وبحثوا عن المظلات لى ولم أصل إلى سيارتى إلا وملابسى مبتلة وحذاء السهرة قد أحاط به الطين وعلى هذه الصورة انتهت الحفلة التى بدأت بحماس كبير .

وبعد ظهر اليوم التالى أقيمت المباراة الأولى ، على أرض النادى أمام مدرسة الميثودست ، بين فريق تسكيمان وكونونجو Konongo وطبعاً دعيت لشهودها ، فبارحت الاستراحة فى سيارتى فى الساعة الثانية حتى إذا وصلت إلى الشارع الصغير الذى يؤدى إلى الملعب وجدت نفسى أسير وراء النانا . وقد وقف سيارته أحد رجال البوليس الوطنى كوربورال كوزى . وعزفت الفرقة النحاسية لحن « حفظ الله الملك » . ولما تحركت سيارة النانا تحركت سيارتى وراءها ، فأوقفها الكوربورال وحيانى فى رشاقة ثم أعطى الإشارة إلى الفرقة لتعزف اللحن مرة أخرى . إكراماً لى ، ولم أدر كيف أتصرف فى هذا الموقف ولكنى ظننت أنى لا أخطىء إذا حييت على الطريقة العسكرية برفع يدى اليمنى إلى قبعتى . ولما توقفت الموسيقى ابتسمت للكوربورال كوزى ، الذى أمر بالمقطوعة الثانية لتعزف وعندما وصلت إلى أرض الملعب وجدت النانا ينتظرنى فى مكان انتظار السيارات حتى ندخل معاً والجموع تحيينا .

وجلست أنا والنانا وكان هو تحت إحدى مظلات الدولة الكبيرة بينما جلست أنا تحت مظلة أخرى صغيرة حين بدأت الفرقة تعزف لحن (حفظ الله الملك) مرة أخرى وابتدأ اللعب وكان فريق كونونجو — وهى إحدى مدن التعدين فى أشانتى الشرقية — يلبس سراويل زرقاء باهتة وفانلات رمادية . بينما كان فريق تسكيمان يلبس سراويل بيضاء جديدة وعلى جانبها شريط أزرق مع قمصان ذات ياقات حمراء

ولما كان فريق الكونونجو من الأشانتى نافسهم فريق تكيمان بحماس شديد مما جعل الأهالى الذين أحاطوا بالملعب يقابلون كل إصابة يكسبونها بهتافات مدوية . ولأنى كنت أجهل كل شىء عن كرة القدم ، أخذ أوفومان هينى — الذى طلبت منه أن يشاركنى المائدة وكان لاعباً قديماً — تعلم لعب الكرة فى شوارع أكرا قبل أن يصبح زعيما — يشرح لى اللعب . وكان أنكوما يتابع اللعب بحماس ويترجم الحديث لى . وجرى مرة بعيداً وفعل كما يفعل الآخرون ورمى بشلنين عند أقدام لاعب سجل هدفاً . وقد أظهر تانوسو هينى حماساً مماثلا . وكان ثالثنا على المائدة . وكان النانا وحده تحت مظلته يبدو مرهقاً يمضغ حبوب الكولا أو يدخن . ولم يلتفت إلى ما كنا نقوله . وانتهى اللعب فى الساعة السادسة بتغلب تكيمان على كونونجو .

وفى الوقت الذى حمل الأهالى فريق تكيمان على أعناقهم إلى خارج الملعب والناس يحيونهم كأبطال منتصرين. جمع النانا الفريق المغلوب حوله وراح يخطب فيهم وكان حديثه طويلا مليئاً بصادق الشعور . نصحهم أن لا يقيموا وزناً للهزيمة فلا يشعرون بالمرارة من أجل ذلك ، فلا لوم عليهم لأن فريقه كان قد استراح وأكل جيداً قبل اللعب بينما كانوا هم متعبين من السفر . فقد وصلوا إلى تكيمان قبل اللعب بساعة واحدة فقط ، ولم يكن ذلك عدلا . وأنه يؤمل أن يعودوا سريعاً إلى تكيمان لمباراة جديدة . وفى هذه المرة سوف يشرف على إطعامهم كضيوفه وراحتهم قبل المباراة . وسر الفريق من خطاب النانا وشكروه بعيون براقة ، وصحبوه إلى سيارته هاتفين . ولما كنت أسير وراء النانا ، سألته عن سبب عدم توجيه مثل هذا الخطاب إلى فريقه وعدم تهنئته لهم على الانتصار فأدهشه السؤال وأجاب قائلا : (لماذا أشكرهم لقد أدوا واجبهم !) .

الفصل الثالث

نوفمبر

احتفال التطهير فى فوريكروم :

جاء فصل احتفالات الربيع (آبو) Apo التى يحتفل فيها بموت الإلهة وبعثها — إلهة النمو — حتى تغطى الأرض حياة جديدة . وقد شهدت مثل هذا الاحتفال فى بنكوا Bonkwae وهى قرية فى أوكيام بونج وفى كونتنسو Kuntunso والآن جاء دور فوريكروم Forikrom وهى قرية على الطريق إلى نكورانزا على بعد أربعة أميال من تكيمان . فهناك احتفل الزعيم فيروكروم هينى أحد شيوخ النانا البارزين ببعث (عيد قيامة) الإله باكو Baako سيد أراضيه ، ولسوء الحظ قدجئت الاحتفال متأخرة ولكنهم أخبرونى بكل شىء .

فمنذ الصباح الباكر اجتمع رجال ونساء وأطفال قرية فوريكروم وما جاورها من المزارع حول الحوض النحاسى الكبير فى الشارع أمام منزل الزعيم ليمسحوا أبدانهم العارية بدواء باكو الذى استخرج من غلى مئات من الجذور والأعشاب فى ماء مقدس . وكان الناس يعتقدون أنه يطهرهم من الشرور ويمنحهم القوة . وقديماً كان يصون المحاربين من الرصاص ، وضربات السيوف . وفى هذا الدواء يوجد نشاط القوة المجددة للإله الذى كان قد مات وبعث فى الام الإلهة .

وفى الوقت الذى وصلت فيه إلى معبد باكو رأيت القربان . وكانت المقدسات قد أعيدت إلى الهيكل بعد أن استعرضت فى الشوارع وتتكون هذه المقدسات من إنائين يحتويان

على أشياء ظاهرة ملفوفة فى بعض أوراق الأشجار . وكان أحد الإنائين يمثل مقراً لروحه الذكر الواهبة للحياة والأخرى لروحه الأنثى الواهبة للحياة أيضاً .

وقد سألونى أن أزور المعبد إلى الهيكل مع كاهن باكو . وكان على عابدى الإله باكو أن يقربوه عارين ، ولذا وقف الكاهن بجانبي وقد أنزل سراويله وخلع قميصه . أما أنا فقد أعفيت من هذه القاعدة لحسن الحظ ، ونظر الكاهن إلى القربان باحترام وشرح لى — فى إنجليزية ركيكة — قوات الإله .

وبعد ظهر اليوم التالى عدت إلى فوريكروم لأشترك فى احتفال أسوبو Asubo وهو طقس تطهير سنوى لأجل فوريكروم هينى وفوريكروم هيما . وأسلافهما ممثلين فى عروشهم ، موطن أرواحهم. وقد ذهبت متأخرة لأن أنكوما لم يحضر حتى اللحظة الأخيرة فانتظرت حتى دبر لى النانا مترجماً آخر وهو أمبونا Ampona كاتب الخزانة وكان الزعيم قد جلس فى هودجه عندما وصلنا ، الموكب على وشك أن يبدأ المسير ذاهباً إلى مجرى الماء المقدس فى باكو . ولما كان الطقس [مفرد طقوس] سراً لم يسمح لأمبونا أن يصحبنى ولم يخصص أحد مكاناً لى فسرت خلف الزعيم .

واشترك فى الموكب بعض جلادى الضحايا البشرية الذين كانوا فى الماضى يقتلون الناس الذين يذهبون مع الزعماء الأسلاف إلى السماء . وبدأوا يرقصون حولى وقد دخلوا فى غيبوبة ملوحين بسيوفهم بينما كان حملة البنادق يطلقون الرصاص فى الهواء دون ضابط من بنادقهم الدنمركية القديمة ، لم أشعر بالارتياح لذلك فسرت حتى وصلت إلى حملة العرش الذين حملوا العروش التى هى موطن أسلاف الزعيم ووقفت إلى جانبهم . وكانت الكاهنات اللائى صحبنهم فى هذا الوقت فى حالة غيبوبة أيضاً ، وعندما وقع بصر إحداهن على احتضنتنى بعنف حتى كدت أفقد توازنى . فصممت على أن ألحق بفوريكروم هيما ومن معها من السيدات عند رأس الموكب

وقد سرنى كثيراً أن وجدت هناك نوبودوم هيما وأدفومان هيما اللتين حيتانى عن عاطفة دون أن تخرجا عن الصف .

ولم يكن هناك مكان مخصص لى فسرعان ما وجدت نفسى أسيرفى كل مكان ، لأن كل طائفة سواء من حملة السيوف أو حملة البنادق أو الجلادين أو الكهنة أو الكاهنات أرادت أن تقدم رقصات خاصة لتكريمى مما اضطرنى إلى أن أقف لأشهد استعراضاتهم .

وأخيراً وصلنا إلى الدغل المقدس حيث يجب على فوريكروم هينى أن يترجل عن هودجه ويمشى على قدميه تحت مظلته الكبيرة إلى النهر المقدس . وهنا انفرط عقد الموكب فبقيت النساء بالقرب من ضفة النهر ، بينما سار الرجال إلى مكان قريب محاط بالأشجار . وسألنى الزعيم أن أصحبه ، وهناك وضعت المقاعد لنا وللشيوخ بينما التف بقية الأتباع حولنا ، فى نصف دائرة تبعاً لرتبهم . وأمامنا فى صف واحد جلس حاملو العروش ومعهم عروش أسلاف الزعيم المقدسة . وتقدم أحد الشيوخ ورئيس حاملى العروش إلى مجرى النهر واقتلعوا بعض نبات السوم Summe وهى أعواد طويلة خضراء بيضاء كالثلج على شكل كأس وهى رمز للإلهة الأم . وغمسا الزهور فى الماء المقدس وعادا إلينا . وكشف حاملو العروش عروشهم من أحد أركانها ورشوا عليها الماء ، وبذلك تطهرت وبوركت ثم أعيدت تغطيتها ، ثم رشوا الماء المقدس على وعلى فوريكروم هينى وكان نصيبي منها كبيراً . واقتربت منى كاهنة عجوز وركعت أمامى واحتضنت ساقى بذراعيها . وهمهمت بصلاة طويلة دعت فيها الإلهة أن تمنحنى العمر الطويل . وعندما نال كل واحد منا البركة والتطهير قمنا وانضممنا إلى النساء اللائى كن قد انتظمن فى موكب . وأعيدت الطقوس على عروش الملكات الأم المتوفيات وكذلك طهرت وبوركت الهبات التى حملتها النساء معهن إلى الإله باكو .

ولما وصلنا إلى المكان الذى كان فوريكروم هينى قد نزل فيه عن هودجه ، قدم رقصة احتفالية تكريماً لأسلافه قبل أن يدخل هودجه ، وكان رقصه رشيقاً . وبدا فى ثوبه الأبيض وحليه الذهبية تلمع على عصابة رأسه كلما دار ممتلئاً صحة وعافية . وانتظر الموكب حتى إذا جلس فى هودجه ، ورفعه حاملوه ، قرعت الطبول الكبيرة Fontom form من ورائه . وأطلق حاملو البنادق رصاصهم فى الهواء فى جميع الاتجاهات وصاح الناس أسوبو أسوبون وهى تعنى طاهر . وردد الناس الصياح من بعيد فرحين . وفى هذه المرة سرت خلف أحد الزعماء فأخذ يشرح لى الطقوس وفجأة بدأ المطر يسقط فدعانى أحد الزعماء أن أشاركه مظلته الكبيرة لكيلا ابتل ، ولم نستطع أن نسير معاً فى مظلة واحدة فتركها لى ، فجزعت وأردت أن أتركها له . إذ أن سير أحد الزعماء دون شارة رتبته فى احتفال مخالف لجميع التقاليد ، فضحك منى وقبل أن أقول شيئاً اختفى عن ناظرى . وبذلك سرت فى مكانه أتمتع بتقمص شخصية الزعيم . فارتفعت رأسى ولكن فى لحظة التف حولى حاملو البنادق وحاملو السيوف والجلادون .

واختل النظام لا سيما حين رقصوا رقصة الحرب تكريماً لى بينما ضرب قارعو الطبول طبولهم فى عنف .

وأمسكت الجلادات سكاكينهن بين أسنانهن ومررن أمامى . ولم تلبث الكاهنات ذوات الوجوه البيضاء أن فقدن شعورهن . ولم أر إلا وجوههن وقد علاها الزبد بين السيوف ، ووميض الطلقات ، وداخلنى السرور حين وصلنا إلى القرية . وأمسكت بى نساء الفوريكروم هيما ليدخلننى فى غرفة مكشوفة فى بيت الزعيم pato لأرى منها العروش وقد حملت إلى بيت العروش المقابل . وهناك أشرفت فوريكروم هيما على طبخ طعام الاحتفال الذى سوف يقدم إلى أسلافها على

عروشهم وعروش أسلاف الزعيم . ومن وقت لآخر كانت تعود إلى لتروى لى ماحدث فى بيت العروش إذ لم يسمح له بدخوله .

ولما اقترب الظلام وهددت العواصف الرعدية رجوتهم فى أن أعود رغم أن الطقوس لم تكن قد تمت وشكرت الفوريكروم هيما والفوريكروم هينى على سماحهم لى بالاشتراك فى احتفال أسوبو . كما ودعت بتوادم هينى وأوفوموان هيتى وجميع شيوخ القرية المجتمعين . وكنت لا أزال فى الطريق حين هبت العاصفة وأبرق البرق وارتفع صوت الرعد فى شدة .

مولد اله :

وفى الصباح التالى كنت أمر أمام القصر ، فرأيت النانا واقفاً أمامه وحده ، فترجلت من عربتى لأحييه وأتكلم معه وسرته رؤيتى . وقال إنه ينتظر أيرتى Ayer Tey ليذهب به إلى أكروفروم Akrofrom (وهى قرية فى طريق ونكى وتبعد ستة أميال عن تكيمان) ليشهد هناك مولد إله .

ولا بد أن الدهشة بدت على لأنه بدأ يشرح لى أن كاهناً قد تقمصته روح إله يريد أن يعود إلى الأرض وأن يبنى لى مسكنا فى أكروفروم . ولكن روح الإله لا بد أن تستدعى أولا من السماء بواسطة الكاهن وهو شىء لا تمكن أن يحدث إلا فى أيام الجمعة والسبت ، بينما ذلك اليوم كان الثلاثاء . ولكن لما كان الواجب أن يحيى الكاهن وأن يظهر للناس ترحيب الدولة بالإله فلا بد له أن يذهب إلى أفروكروم . وأبدى النانا رغبته فى حضورى هذه الحادثة العظيمة وقال إنه سيرسل إلى رسالة فى الوقت المناسب وجاءت الرسالة مبكرة صباح الجمعة . وكان صباحاً مشرقاً مثالياً من أجل ميلاد إله ، فاتجهت فوراً إلى أكروفروم فوجدت النانا فى فناء منزل علكه ياو أتوا Yaw Atoa الذى كان هو الآخر زعيما لأكروفروم ، وكان المنزل

من حوله خلق كثير . وجلس النانا على أن منصة Platform فى إحدى الحجرات ذات الثلاثة جدران . وهى ما تميزت به بيوت الأكان فى مواجهة المدخل يحيط به شيوخ القرية وبعض شيوخ الدولة ، وأفسح أحدهم لى مكاناً حتى أجلس إلى جوار النانا الذى أبلغنى فى التو أن منزلا يملكه أحد المتكلمين باسم جياز هينى قد أخلى من أجلى لأستريح فيه إذا شعرت بالتعب ، لأنه عرف أن الإجهاد يظهر على بسرعة حتى لا أترك الاحتفال قبل نهايته فشكرته بحرارة لملاحظته ووعدته أن أمكث فى اكروفروم كما يود .

وتطلعت حولى ، وانتظرت ما يحدث ؛ كان هناك بعض الكاهنات وقد غبن عن شعورهن يرقصن فى ركن ولكن لم يلتفت إليهن أحد. وبينهن تلك التى ضمتنى فى فوريكروم ،ولما لمحتنى شقت طريقها خلال الجمع وارتمت على الأرض أمامى ، وعندما قامت بدت كأنها فقدت رشدها ،إذ لم أبصر من عينيها سوى بياضهما وسرت فيهاقشعريرة وفجأة وكأنها لم تشعر بوجودى إلى الآن انحنت واحتضنتنى برفق وجلست على ركبتى . وكان هذا شرفاً عظيماً لى . ثم انزلقت واحتضنت ساقى وتمتمت بشىء ربما كانت صلاة بطول حياتي ثم تركتنى لتعود وترتمى على فى عنف ، ولكى أهدئها مسحت بيدى على ظهرها العارى وأخيراً تركتنى واختفت بين الجمع .

ومر الوقت ونفذ صبر النانا ولم يلبث أن أظهر ضيقه ، وبعد ربع ساعة أخرى أمر بأن لا بد من ظهور الكاهن الذى سوف يلد الإله .

وفى الحال دخل الكاهن الفناء يتبعه اثنان من المتكلمين باسمه ، وساد صمت بينما كان الكاهن يتقدم نحو الملك ووجهه منكس لم أدر ماذا أتوقع أن أرى . ولكن من المؤكد أنه لم يكن رجل الأحزان،هذا الرجل النحيف من طول الصيام. الذى يبدو عليه الألم من ثقل ما يحمل من أشياء يعلقها على رأسه وقفاه . إنها تسمى

نكوتوبا Nkotoba وهى مخالب تمثل سلطة الإله كتلك التى حملها بوروما Buruma فى بونكوا Bonkwae وسكاكين وخناجر وجلد أفعى يتوج رأسه ونصل سكين يغطى أنفه ، وأخرى أحاطت بوجه من جانبيه مما شبهه بقبعة العصور الوسطى وفى يده اليمنى حربة وفى الأخرى حربة وخنجر كما كان يلبس ثوباً أبيض طويلا يعلوه صدار أبيض قصير ، أماقدماه فحافيتان وترمز الحراب والسكاكين والخناجر إلى الإله كواهب الحياة والموت . والنكوتوبا له قوته التى تقتل كل المعتدين والأرواح ، والأعداء فى الحرب . وجلد الأفعى يرمز إلى بعث الإله السنوى . وإلهة الأكان التى من هذا النوع تسمى أوبوسوم—وهناك كثير منها يعتقد أنها أبناء الكاهن الأعظم وهى تعمل كوسيط ورسل للآلهة بل أنها آلهة صغرى ، وكل منها يعامل فى كل يوم كأنه قادر بنفسه ، كائن بنفسه ، حاضر بنفسه .

وعندما وصل الكاهن إلى وسط الفناء وقف لأنه يخاف أن يقترب من النانا فى غضبه ، وقد أظهر استياءه حين أخبر الكاهن فى جفاء أنه من العار أن روح الإله لم تقتنص حتى الآن وإن لم يخرج الإله حالا فليتركها ، فلدى النانا من أعمال الدولة ماهو أولى باهتمامه ، ولا يضيع معه وقتاً أطول من ذلك — واضطرب الكاهن وهمهم بشىء إلى المتكلم باسمه ، الذى أخبر النانا أن الولادة إن لم تتم اليوم فلا بد أن تتم فى الجمعة القادمة . فأجاب النانا فى غضب إنه لن ينتظر وأنه سيعود إلى تكيمان .

واضطرب جياز هينى كثيراً فتقدم شيوخ القرية إلى النانا يرجونه أن يسمح للفلاحين بمساعدة الكاهن لأسبوع آخر بالطبل والرقص والقربان فأعفاهم النانا من العمل فى المزارع هذا الأسبوع ، ولكنه أخبر الكاهن أنه إذا لم يولد الإله فى الجمعة التالية فسيعيد إلى الغاب حيث تسكن روح الإله دون شك ، ويظل هناك .

فلم يلبث أن بارح الكاهن المكان ناكس الرأس بينما كان جياز هينى يأمر بالشراب لضيوفه . ولما استقر بهم المقام سألت النانا أن أذهب لأستريح فى « منزلى » .

فسمح لى ولكن قبل أن أصل إليه من أنكوما . لحق بى رسول من قبل الكاهن يسألني أن أذهب لأرى المنزل الجديد للإله . ولما كنت شغوفة بأن أراه فقد تبعنا الرسول فى طريق المعبد .

كان المنزل كوخاً كبيراً متين البناء ، ذا سقف مخروطى من الأعشاب الجافة وبلغ من طولها أن كادت تصل إلى الأرض وهى الطريقة القديمة لبناء المعابد . وكان نظيفاً من الداخل مطلياً باللون الأبيض وأثاثه الوحيد مائدة صغيرة من الحديد عليها أنواع مختلفة من الخناجر والسكاكين والحراب ونكوتوبا . وفى ركن على الأرض جلد أسد كبير يغطيه جلد فهد ثم جلد أفعى . إنها سرير الكاهن الذى لابد أن ينام على هذه الجلود لأنهم يعتقدون أنها تساعده على أن يقتنص روح الإله . وكان هناك أيضاً بعض زجاجات الجن الفارغة وقد وضعت فى مجموعات ، فالجن يساعد الكاهن على أن يظل فى حالة الغيبوبة .

وبعد أن عبرت عن سرورى بالبناء الجميل أخبرنى المتكلم باسم الكاهن فى زهو أن الكوخ مع إقامة كاهن له قد تكلف ثلاثمائة جنيهاً فأثار ذلك ثائرتى لأنى ظننت أن الكوخ قد بنى بواسطة أهل القرية تطوعاً . وسألت أنكوما لماذا لم يصرف هذا المبلغ الكبير فى بناء مدرسة أو مستوصف ، بدلا من بيت الإله ، ولا سيما أن تكيمان لديها منهم كثيرون . فأجابنى فى لطف أن القرية سوف تجنى هذا المبلغ وأكثر منه عن طريق الإله ، فإذا أستطاع الإله أن يثبت أنه قوى حقاً فإنه سيعالج المرضى ويعاقب الأرواح الشريرة وتنتشر شهرته فى كل القرى وحينئذ يقدم إليه الناس من جميع أنحاء ساحل الذهب ليعالجهم الكاهن فيصرفون نقودهم هنا وعندئذ تستطيع أن تبنى مدرسة أو مستوصفاً بل سنبنى بيوتاً أخرى كبيرة حوله . وكان أنكوما محقاً ففى ستة أشهر أثبت الإله أنه من وسائل الدرجة الأولى فى استغلال المال ، وقابلت الكاهن خارج الكوخ ، ولم أتبينه فى أول الأمر بعد أن خلع ما كان على رأسه

ووقف هنا ويده اليمنى فى وسطه كمريض وكان يضحك من بين أسنانه كشاة . ولم يكن به تواضع ولا شعور دينى حقيقى بل كان فى احتياج إلى القوة والمال يعوض بهما مركب النقص الذى كان ظاهراً عليه . وعلى كل حال سلمت عليه وتمنينا له حظاً سعيداً — وقد أخبرنى أنه سيعيد المحاولة سريعاً . وإذا سمعت ثلاث طلقات فلأقدم تواً لأن وقت ميلاد الإله يكون قد حان ، ثم أرانى الدائرة السحرية التى رسمها ليقتنص فيها روح الإله . فوعدته أنى سأكون عند حسن ظنه وتمنيت له حظاً ونجاحاً .

وعدت مع أنكوما إلى « منزلى » وكان كبيراً كثير الغرف فجلسنا فى الفناء حيث وجدت بعض المقاعد وكنت على وشك إخراج الترموس المملوء بالماء حين قدم أحد أتباع النانا يحمل زجاجة من النبيذ وعلبة للسجائر فرحبت به ورأيت كوى يقوم ممسكا بزجاجة من الجن فى يده وزجاجة بيرة تحت إبطه وهدايا أخرى له من النانا . فسألته وأنكوما أن يشاركاني ولم يلبث أن انضم إلينا أحد رجال البوليس وأحد كهنة تانو . وبذلك تهيأت لنا جماعة .

وكان الأخيران مثل كوى قد خدما فى بورماحيث كانا فى فرقة مقاومة الدبابات. ووحدة الخنادق. وكانت تجربة الحرب قد جعلت كاهن تانو مختل التوازن ولكنه تكلم باتزان عن المدن التى رآها مثل كيب تاون ودربان وبمباى وكلكتا ورانجون . وأخبرنا رجل البوليس عن صيد النمور وكيف أن الفرقة قد فقدت خمسة عشر من أفرادها لأنهم ظنوا أن النمور ليست متوحشة كالفهود ، فأكلتهم . وقد أثار بعضهم موضوع سلوك ضباطهم الإنجليز الذى كانوا يعاشرون نساء من برما ، فمن عادة الإفريقيين أن يمتنعوا عن الاختلاط الجنسى خلال الحرب ، إذ كانوا يحرمون على أنفسهم الاقتراب من النساء إلا بعد التطهر وبعد الحرب، ولذا كان نساء الأعداء فى الماضى

آمنات على أعراضهن ، وإن كن غير آمنات من التعذيب الذى كان وسيلة للتنفيس عن الغريزة الجنسية المكبوتة .

وما زالت شعوب الأكان المختلفة التى حاربت الأشانتى تروى الفظائع التى ارتكبها محاربو الأشانتى مع نسائهم خلال القرن الماضى قبل الاحتلال البريطانى .

وبينما كنا جالسين سمعنا فجأة ثلاث طلقات : إنه ميلاد الإله ، فاندفعنا نعبر الطريق ولم نلبث أن وجدنا الكاهن فى لباس رقصه الكامل واقفاً فى فناء المعبد بينما كانت النساء يغنين فى ضجة صاخبة . وبعد برهة كان الفلاحون الذين يرغبون فى إغراء روح الإله لتترك السماء وتنزل إليهم قد كونوا حلقة للرقص . وبعد ساعة أو نحو ذلك سألت الكاهن الذى كان يستريح أمام كوخه ، عما إذا كنت أستطيع أن أعود إلى المنزل لتناول الغذاء دون أن يفوتنى شىء . فأجابنى أنه سيؤجل استدعاء الإله إلى أن أعود فذهبت مع أنكوما وكوى إلى المنزل لآكل الحمام الذى كان زعيم سونغو قد أهدانيه فى اليوم السابق والذى كان سانتوس قد أعده لى .

ولما عدنا بعد الغذاء لم نجد شيئاً قد تغير : كان الناس لا يزالون يرقصون ، ولذا لم أمكث إلا وقتاً يسيراً إذ أن أنكوما كان قد استدعى لحادثة فى قرية أورووا Awrowa المجاورة . وعدت مع كوى . وجاء أنكوما متأخراً نحو ساعة يصحبه أحد رجال الشرطة الوطنية ومعهما سجين، فجلسنا جميعاً نشرب حتى انتهى النبيذ. وكان السجين يقف فى ركن يلاحظنا حزيناً ، فشعرت بالأسف لحرمانه من الشراب وأردت أن أعطيه مما نشرب وبعض السجاير . ولكن أنكوما رفض ذلك لأنه كان يرى أن يهدأ أولاً ولا يعطى ما يريد إلا إذا حسن سلوكه . ولكن بعد خمس دقائق لم أعد أحتمل نظرات السجين إلينا ، فقام أنكوما وأعطاه بعض الشراب والسجاير فكان سروره لذلك عظيماً . ولما انتهينا دعا أنكوما السجين لاستجوابه .

كان المتهم تاجراً شاباً من الأشانتى وكان يمر فى أورووا حين تقدمت إليه امرأة جميلة تراوده عن نفسه ، ولم يكن الشاب يعرف أنها متزوجة . وشاهدهما أحد الناس فذهب وأخبر الزوج فقبض عليهما متلبسين بالجريمة وضربهما — مستعيناً بستة من أصدقائه — ضرباً مبرحاً ، ثم استدعى الشرطى الذى قبض على التاجر واحتجزه .

وكانت أمثال هذه الحوادث مألوفة لدى أنكوما . لأن هذا النوع من الجرائم كان الوحيد الذى كان مسموحاً للبوليس الوطنى بمباشرته . وكل الجرائم الأخرى كانت من اختصاص ونكى ، وكان المأمور هناك هو الذى يباشرها — ولذا كان سجن تكيمان لا يزيد عن غرفة فى القصر يحجز فيها مرتكبو جريمة الزنا ، حتى يدفعوا الغرامة ، أما الزوجة فعليها غرامة التطهير لزوجها . ولما انتهى أنكوما من أمر السجين أبديت له رغبتى فى أن أسأل المتهم سؤالاً ، فوافق أنكوما . واستدرت إلى الرجل السيء الحظ أسأله عما إذا كان يعرف أن هناك حرباً بين تكيمان والأشانتى . ولا شك أنه لم يكن قد سمع شيئاً عن هذه الحرب الباردة التى كانت بين الدولتين ، ولذا لم يفهم حتى الآن لماذا كان نصيبه من ضرب الزوج وأصدقائه كبيراً . ولذا استمر خائفاً ولكن أنكوما أخبره أن الشرطة ستضفى عليه حمايتها حتى يصل فى سيارة نقل إلى كوماسى .

وخرج رجل الشرطة الوطنى بالمتهم إلى سجن تكيمان بينما ذهبت ومعى أنكوما وكوى إلى الراقصات وكاهنهن لنرى ما إذا كان قد حدث شىء أثناء غيابنا ، ولكن لم يكن هناك من جديد سوى أن الكاهن اشترك فى الرقص بعد أن طلا وجهه بالجير الأبيض ولكنه لم يلبس الجلود ولم يحمل السكاكين ، ورقص بلا إجادة رقصة ليس بها نبضة الحياة ، وربما كان ذلك بسبب الغيبوبه وإرهاقه من جراء الصيام الذى استمر بضعة أسابيع .

ولما جلست على المقعد وصل الكاهن الأعظم لتا كيسى مصحوباً بأتباعه وضاربى طبوله ومعه كاهن كونتنسو ،وكانت روح النانا كوفى موسى عالية فبدا أوفر صحة مما كان ، وفى رشاقة مميزة أمسك بملابسه الطويلة الطائرة ، وعندما جلس ورأى جهود الكاهن الفاشلة فى محاولة إجادة الرقص ، نهض ورقص أمامه بضع خطوات كأنما يريه كيف يجب أن تؤدى الرقصات . وقد دلت طريقة أدائه على مبلغ احتقاره للكاهن الذى كان فى نظره مبتدئاً ، بينما كان هو — الكاهن الأعظم — ينتسب إلى البيت المالك القديم فى الفانتى وكل أسلافه من كبار الكهنة . فأخذ هو وكاهن كونتنسو ،الكاهن بينهما وقاداه إلى كوخه كانه كان سجيناً .

هذا فى الوقت الذى عولت فيه النساء على أن يقمن ببعض الرقصات ، ولكنهن أديتها بلا حماس ، وكانت بينهن الكاهنة التى ارتمت على واحضنتنى فى منزل جياز هينى ، فما أن وقع بصرها على حتى تركت زميلاتها وجرت إلى واحضنتنى بقوة ثم جلست على ركبتى كما فعلت فى المرة السابقة ،ولسوء الحظ كان سلوكها يدل على شديد الحب ، ولكن إظهار العواطف على هذا النحو ضايق الناس مما جعل بعض الرجال يشدونها بعيداً . وسررت حين وجدت كوفى موسى يعود ويجلس غير بعيد منى وكان الكاهن الذى يتبعه قد أكمل لبس ثياب الخدمة . كما لف نفسه بجلد أسد وبدأ يرقص بنفس الطريقة التى لا حياة فيها كما فعل من قبل .

وبعد برهة كان جميع الناس قد سئموا الانتظار ولم يكن ثمة دلالة على أن الإله سيولد هذا اليوم . وبدأ الناس يظهرون تعبهم ، وغير ضاربو الطبول نغماتهم ، واستبدلوا بها لحنا (أنا تعب . أنا تعب) وفهم كل إنسان معنى الطبول ، فضحكوا كثيراً ، أما أهل القرية الذين ظلوا صامتين فلم يكن يعنيهم ميلاد الإله من الوجهة المالية . أما كاهن تا كيسى الأعظم فلم يكن يسمح بالضحك أو الدعابة من الكهانة فقام ليرحل ومعه كاهن كونتنسو وأتباعهما . وبعد لحظة توقف كوفى موسى ، فقد

ظهرت طائرة فى السماء عالية ، وتطلع إليها الناس كأن هذا الطائر الفضى علامة من السماء . ولكن لم يكن هناك من رسالة إذ لم ينزل من السماء شيء فشعروا بالخيبة ، وحين رحل الكاهن الأعظم لم يعرف أحد ماذا يفعل وتوقف ضاربو الطبل ووقف الكاهن حيث ترك . ولكن دبت فجأة حياة جديدة إذ تقمص الإله كاهنا آخر من كروبو Krobo وقفز إلى حلبة الغناء والرقص وبدأ يضرب الأرض برجليه ضرباً شديداً ، وصهل كالحصان الجامح وانبعثت من حلقة صرخات كأنها صرخات حيوان ، وبدأ يدور حول نفسه فى بطء . ولكن لم تلبث سرعته أن ازدادت حتى أصبحت مخيفة مثل قوة خارقة ، فرسم دائرة كبيرة بينما كان يقفز فى الهواء قفزات مضحكة وصار ضاربو الطبول يزدادون معه صخباً وسرعة فتعلق به الجميع بأبصارهم وتتبعوه بعيونهم إذ كان كشهب فى سماء ليل حالك السواد . . وكان هذا أشد ما رأيته من أنواع الرقص ولم يكن غير الحماس الدينى يدفع إلى هذه القوة .

وأخذ الكاهن يبطىء تدريجياً ، وانطرح فجأة على الأرض وقد امتدت يداه إلى الخارج متصلبتين ، وأخيرا سقط على سقف كوخ قريب مهجور . وجرى الناس إليه ليسندوه من تحت إبطيه . وظهر الإله على وجهه حتى بدأ مخيفاً فقد أحرق نفسه بحماسه . وما بقي منه لم يكن غير حطام إنسان فقد غارت عيناه وشحب وجهه . وعندما وقف لم يكن قادراً على السير دون مساعدة . فجره الناس دون حياة ويداه لا تزالان متشنجتين وممدودتين إلى الخارج .

واستدرت ومعى أنكوماوكوى لنعود إلى المنزل فى صمت ، ولم نكد نصل إليه حتى لحق بنا أحد شيوخ النانا البارزين ومعه حاشيته قادماً من الناحية الأخرى ، وكأنما سرته رؤيتى فاستوقفنى ليثرثر معى .

وفى خلال حديثه أخبرنى أنه يحبنى ويريد أن يتزوجنى وماكان على إلا أن أقول نعم حتى يسرع إلى النانا الذى سوف يلعب دور الوالد ليعطيه مائة جنيه ويطلق

سراحى، فرفضت العرض وذكرت له أنى كنت متزوجة من قبل ولا أرغب أن أتزوج مرة أخرى ، فلم يقتنع بهذا وأصر على ضرورة حاجتى إلى زوج يهتم بى ، وأنه يستطيع أن يكونه وسوف يعنى بى ويبنى لى بيتا جميلاً . فهززت رأسى وقلت إنى أحب حريتى ، وطباخى يهتم بى ، وليس المنزل بذى أهمية لى لأنى أحب حياة التنقل. ولكنه عاود الإلحاح كما حاول شرح نظريته فى أن المرأة لابد أن تكون سعيدة ، وهذه السعادة لا بد تتمثل فى زوج وأنه هذا الزوج ، فلم أملك سوى أن التفت إلى أنكوما أسأله كيف تبدى فتاة فى تكيمان رفضها للزواج إذا لم ترغب فى الرجل . ورجوته أن يخبر الرجل برفضى ليدعنا وشأننا . فالتفت إليه أنكوما وقال فى سرعة عبارة ما ، فبهت الجميع للحظة، وأسرع الرجل بالانصراف فى يأس ، وأفراد حاشيته يتبعونه ضاحكين .

واستمروا يضحكون ويضحكون . ولم أكن قد رأيت شيئاً مثل هذا من قبل إذ انحنى حاملو السيوف وحاملوا المظلات يضربون ركبهم وهم يقهقهون. وكرروا ذلك مراراً مما ذكرنى بعطواة تفتح وتغلق وتفتح وتغلق . فنظر الرجل إلى مضطرباً فأشفقت عليه ، ومددت إليه يدى أصافحه وأنا أقول (لنكن أصدقاء)، ولما كان الرجل يفهم بعض الإنجليزية ، فقد قبل العرض وهو يقول (نعم أصدقاء) واستبقى يدى فى يده مدةً . وأخذ ينظر حوله فى زهو وكرامته ملء برديه . ولم تلبث حاشيته أن تلاءمت مع الموقف الجديد . وعادت إلى وجوههم ملامح الجد ووقفوا فى انتباه .

ومضى الزعيم ، فسألت أنكوما عما أجاب به الرجل . فاعتذر انكوما عن ترجمة عباراته إلى حتى وإن عرف كلماتها بالإنجليزية وهو لا يعرفها . ومن هذه الإجابة ومن مسلك أتباع الشيخ حدست أنها كانت عبارة نابية . ووبخت أنكوما . ولكن لم تكن هناك جدوى فقد سألته أن يخلصنى من الزعيم . وكم كان بودى أن أعرف العبارة التى نطق بها ولو من أجل أبحاثى الخاصة فلا شك أنها تفيدنى .

وتأسفت أن هذا الجزء من المعرفة قد أفلت منى . وكان لإجابة أنكوما وعرض الزعيم لطلب الزواج منى وإن كانت حادثة عرضية نتائج غير منتظرة حين سمع بها النانا .

وعندما جن الليل ولم تتقمص روح الإله الكاهن ، ذهبت لأدعو النانا الذى كان لا يزال يشرب مع كبار شيوخ القرية فى منزل جياز هينى وأردت أن أعرف ما إذا كان يتوقع أن أقضى الليل هنا لأنى لا بد أن أعود إلى تكيمان لأجد سريرى وكلتى وبرميل حمامى وكذلك سانتوس أعد طعامى المعتاد .

وعرف النانا أنى لا أود المكث فسمح لى بالعودة إلى تكيمان . بينما قضى هو الليل هناك . ولو أنه أسف على ذلك ، لأن الكاهن كان قد أخبره قبل خمس دقائق أن الإله سيولد عند منتصف الليل .

وكان حسناً أن أرحل ، لأن الآله لم يولد تلك الليلة ، كما لم يولد يوم الجمعة ، أو السبت التاليين بل قضى الكاهن عدة أسابيع بل شهراً يساعده خلاله الكاهن الأعظم الذى كان يتردد يومياً على اكروفروم . ولم أدر ماذا حدث حين جاءت الساعة ووصل ديمانكوما Dimankoma إلى الأرض . ففى الأيام الخالية كان الكاهن يمسك بشعلة من الضوء فى طاس من نحاس موضوع تحت شجرة قد رسمت حوله دائرة وكانت النار وحدها واهبة الحياة ومقدسة وكانت الروح (كرا) وأرواح الآلهة هى النار ، وفى هذه المناسبة كنت أشك فى أن النار السماوية كانت من أعمال بروك الغاربة . وهذا النوع من الخداع الذى فرض على المؤمنين مازال شائعاً حتى اليوم ، فالكاهن بعد أن تنزل النار من السماء ويختفى الدخان عادة ما يجد فى الطاس النحاس أشياء ظاهرة صغيرة الحجم مغطاة فى بعض الأحيان بطبقة من الذهب . وقد نبهنى إلى حيلهم الدكتور فيلد مؤلف كتاب (بحثاً عن الضمان) وكتباً

أخرى . ويوضع هذا الشئ فى إناء مستدير يشبه الطبلة ليبعث به إلى المحراب . وفى حالة ديامانكوما كان هناك إناءان على شكل الطبلة واحد للروح الذكر والأخرى للروح المؤنثة (كرا) والأول مغطى بجلد أسد دلاله على قوته الشمسية فالأسد رمز للشمس والثاني بجلد فهد دلالة على قوتها فى إنزال المطر حتى ينمو المحصول فالفهد رمز المطر والبرق والرعد اللذين يلازمان المطر غالباً .

وديامانكوما هو اسم الإله الأكبر للأكان ويسميه الأشانتى أودومانكوما Odomankoma ويعتقدون أنه هو الذى خلق العالم . وهذا يظهر جنون العظمة الذى كان يبدو على كاهن اكروفروم حتى أطلق على المعبود الصغير اسم الإله الصغير .

مقابلة قاتل الضحايا البشرية :

وبعد ظهر ذات يوم قدم لزيارتى أدومنوهين كوفى فوفى Adumfohene Kofi Fofi كبير قاتلى الضحايا البشرية ، وأخوه ابرافوهينى كودجو ادياييت Abrofohene Kodjo Adyayet يصحبهما مساعدان شابان ليجيبوا على الأسئلة الخاصة بمهنتهم وقد أذن لهم النانا فى ذلك ، وإلا ما تكلموا ولأصبح من المستحيل على أن أحصل على معلوماتهم فى هذه المسألة . وقد أدهشنى أن رأيت كبير الجلادين شيخاً رقيقاً ليس فيه من التعطش إلى الدماء شئ ، ولا متوحشاً ، بل على العكس من ذلك دلت كل أحواله على الدماثة . فشعرت بصدمة لذلك لأنه قتل كثيرين أثناء حياته ولكن لأسمع أنه أحب وظيفته . وأكد لى أنه لم يكن هناك من شئ مخيف فى الأمر لأن الناس كانوا يموتون من أجل مصلحتهم ، هذا إلى أن الحياة فى السماء أفضل بكثير أو على الأقل مثل الحياة على الأرض . والفضل فى ذلك لمهارته التى جعلت النقلة من الحياة الأرضية إلى الحياة الخالدة قصيرة .

وقد ارتبطت التضحيات البشرية بين الأكان بحياة الملوك ، والملكات الأم فى

العالم الآخر ، فالحياة هناك — كما اعتقدوا — مثل الحياة على الأرض . فضلاً عن أنها خالية من الأكدار ، فلا حروب ولا صراع ، فالملك الميت يذهب ليعيش فى مدينة الإله نيان كوبون Nyan Kopon على الشمس ، بينما تلحق الملكة الأم بعشيرتها فى القمر ، وهناك يحكمون كما كانوا يفعلون على الأرض وينحصر واجبهم فى أن يواصلوا منح الحياة لأهل دولهم ، وهذا ما يفعلونه من ناحية بمساعدة الإله الشمس . والإله القمر ليحسن تصويب أشعة الشمس والقمر ، مانحة الحياة إلى الأرض ، حتى تنمو المحصولات التى تتوقف عليها الحياة . ومن ناحية أخرى فإنهم يعملون كوسطاء بين شعبهم والآلهة ، كى يهب الآخرون الأولين العون وقت الشدة . والملك والملكة الأم لا يمكنهما أن يحكما فى العالم الآخر دون حاشية أو خدم شخصيين، ولذا وجب أن يتبعهم إلى العالم الآخر كثيرون من الذين أحاطوا بهم فى الدنيا فضلا عن الرقيق وأسرى الحروب الذين كان يضحى بهم من أجل إكمال الحاشية . وأغلب هؤلاء رضوا بالذهاب بكامل إرادتهم . ففى حاله الملك يذهب معه أحب أولاده وبناته . وكثير من زوجاته ، وصديقاته الرسميات وكذلك بعض الوزراء والزعماء راغبين فى أن يضحى بهم . وتنتخب كل طائفة من خدم القصر كالطباخين والسقاة وحاملى الكئوس وغيرهم واحداً من كل طائفة كى يخدموا الملك على أحسن ما تكون الخدمة ، فى مسكنه الجديد . وفى حالة الملكة الأم فيجب أن يتبعها زوجها وكذلك صديقها الرسمى والسيدات العجائز اللائى أخلصن فى حبها ، وكذلك الرقيق وأسرى الحروب ، فضلا عن المجرمات اللائى عفت عنهن بسبب جمالهن . كل هؤلاء يتقدمن كقرابين ليكونوا سبباً من أسباب سعادتها فى العالم الآخر .

وقد سبق أن أشرت إلى كل هذه المعتقدات والعادات التى أعرفها إذ ليس هناك من سر بشأنها . ولكن ما أردت معرفته ولم أجرؤ على السؤال عليه هو متى كانت الضحايا البشرية تقتل للتضحية بهم ؟!! فبالرغم من أن الحكومة البريطانية قد حرمت

هذا العمل منذ سنة ١٩٠١ إلا أن العادة ظلت تباشر سراً فى مناطق كثيرة. وحادثة قتل كيبى Kibi معروفه ،وقد أثارت بريطانيا عام ١٩٤٦ . وقد قدمت لأعرف عن ضحايا بشرية أخرى قدمت فى هذه السنة ، فحين كنت فى كوماسى أعانى الملاريا . أرسلت — كى أتم عملى — كوفى أنتوبام Kofi Antubam الذى كان آنذاك معى، إلى منزل زعيم عظيم من الأشانتى ليحدد لى موعداً فى الأسبوع التالى . وليخبره بطبيعة عملى ، ولكنه حين ذهب إلى منزل الزعيم ، أخبر أن الزعيم قد مات ودفن فى اليوم السابق ، كما علم أن جميع الطقوس والعادات القديمة قد أجريت سراً ، حتى أن الحكومة لم تسمع أن الضحايا البشرية قد قدمت . وفى اليوم التالى أكد أحدهم لكوفى أن ابن عبد يشبه الزعيم سوف يأخذ مكانه فى الجنازة ليدفن دفناً مسيحياً (رسمياً) فى حضور موظفى الحكومة الذين يتحتم عليهم المجىء لتشريف الميت . وقد قتل البديل فعلاً وجهزت جثته للدفن ودعى كوفى ليرى الجثة .

وإلى جانب الضحايا الراضين الذين يتبعون الزعيم الأشانتى (وربما لم يوجد أحد منهم فى سنة ١٩٤٦) هناك أيضاً من قتلوا ليضمنوا سعادته فى العالم الآخر . وأغلب هؤلاء من أهل مقاطعات الشمال الذين قدموا إلى كوماسى بحثاً عن عمل ولم يحذرهم أحد من أن العادة ما زالت تمارس إلى حد ما على نطاق ضيق فى سنة ١٩٤٦، فألقى القبض عليهم فى الطرق خلال الليل ، وقتلهم الجلادون وقطعت رؤسهم ووضعت فى زكائب مغطاه بثمار الكاكاو ثم نقلت بسيارات النقل إلى كوماسى . وفى مرحلة متأخرة دفنت الرءوس مع الزعيم وبعد لحظة ساد فيها الصمت ، سأل كبير الجلادين عما إذا كنت أرغب فى أن أرى كيف يحدث القتل فوافقت بسرعة . ونصب الرجل بعض القربان فى كأس وغمس حد سيفه الطويل فيما بقى من الجن (بعد أن شرب منه) وأشار به فى سرعة هائلة نحو أحد مساعديه، وهو واقف خلفه مما أرغم هذا الأخير على أن يخفض رأسه، فرفع الرجل السيف وضربه به . ومن حسن الحظ أنه لم ينس

نفسه إذ فى اللحظة الأخيرة خفف من حدة الضربة حتى هبط السيف على رقبة المساعد بلطف ، ثم أرانى الموضع الذى يقطعه السيف ليفصل الرأس عن الجسد .

وجلس الرجل العجوز مرة أخرى ، ولكنه كان حزيناً لأنه تكلم معى عن هذه الأشياء ، فسوف يصوم كل الجلادين يوماً تكفيراً عن هذا الخطأ . وأسفت حين سمعت ذلك وعبرت له عن عطفى ، ولكنه أكد لى أن لا أهتم بالأمر لأن الزمن قد تغير ؛ فمن الخير الاحتفاظ بالعادة فى الكتب على الأقل ، حتى تعلم الأجيال القادمة الحقيقة كاملة . ثم أشار إلى أخيه الأبرافوهيني الذى سوف يخلفه بعد موته . ولقد كان كل من الأبرافوهينى والأدومفوهينى من الكهنة الذين يترنمون بمدائح الملوك المتوفين . ولكن الأبرافوهينى وحده هو الذى يملك حق اختيار الضحية الأخيرة فى احتفالات الجنائز الملكية . وهناك أيضاً جلادات يقتلن النساء ، بأدوات من الجلد ، وهن الزوجات الملكيات والبنات اللائى يشأن أن يتبعن سيدهن . وغالباً ما تكون الجلادات فى الجنازات فى حالة لا شعورية . وأشخاصهن — مثل الكاهنات — مقدسة ، إذ لم يكن يسمح لأحد بمسهن حتى ولو كانت السكاكين بين أسنانهن لأنهن خطرات .

وقد أعطانى أدومفوهينى أيضاً معلومات مفصلة عن الجرائم التى كان يعاقب عليها بالموت فى الأيام الخالية ، فأميرات البيت المالك لم يكن يقتلن بالسيف أو الأدوات الجلدية كما لم يكن يتمتعن بالتضحية بهن فى الجنازات الملكية، فهناك عصاة مدببة كانت تغرز تحت حلوقهن . وقتل عشيق الزوجة الملكية كان ينفذ أيضاً بواسطة الجلاد . فأمثال هؤلاء الضحايا لا يقتلون إلا بعد تعذيب قاس ، ثم يوضعون على كيس من البارود وينفجر . أما المجرمون العاديون فيقتلون فى احتفال بداية العام الجديد فى الخريف ، وحين يساقون إلى ذلك يجلسون على مقاعد متقابلة ، وأرجلهم مقيدة إلى قطع كبيرة

من الأخشاب . ويعطى نصفهم طعاماً مسموماً ليأكلوه دون أن يعلموا ذلك، حتى إذا سرهم الطعام والشراب سيقوا إلى الغابة حيث يتركون وحدهم ليموتوا . ويعاد الباقون إلى السجن ليضحى بهم حين يذهب الملك أو الملكة الأم أو أمير أو أميرة إلى السماء .

وفى اليوم التالى ذهبت لزيارة نيفاهينى Nifahene ياونويم Yawnwim لأنه كان اليوم الذى خصصه — بصفته زعيم عشيرة أدوانا Adwana — ليخلف فيه أسلافه على العرش ، إذ أن مناصبهم وراثية، وقد قدم إليه الناس من مختلف الجهات لتحيته وأحضر بعضهم معه الهدايا .

وحين وصلت ومعى أنكوما كان الرجل جالساً بين زواره يشرب . ولما كان يرى أن ليس من عادة النساء أن يشربن وهن فى صحبة الرجال فقد أفرد لى مع أنكوما مكاناً قصياً فى ركن من الفناء وجلس معى يثرثر . ومن الأشياء الكثيرة التى أخبرته بها زيارة أدومفوهينى بعد ظهر اليوم السابق وأنه أرانى كيف كان يقتل الضحايا ، فتأملنى نيفاهينى ، وبعد لحظة قال : إنى إذا كنت عشت فى الأيام الخالية لكنت من أوائل الذاهبين مع النانا حين يموت. فصحت مأخوذة : أنا؟!! ولماذا؟ فقال: كل واحد يعلم أنه يحبك ، وإذا لم تذهبى معه فى موته وتصحبيه فى طريقه إلى السماء ، فسيكون قلقاً من عدم صحبتك إياه ، وسوف يتلفت دائماً وراءه ، ويكون بذلك شقياً ، ولا يليق بملك أن يشقى وهو ينضم إلى أسلافه الملكيين فى السماء .

فاحتججت لساعتى وقلت: إن النانا لا يحبنى إلى هذا الحد ، ولكن نيفاهينى أكد لى أن حب النانا لى كبير، ووافقه أنكوما على ذلك . ولكى يبعد عنى كل الشكوك أضاف: إن حب النانا لى هو الذى دفع كثيرين من الرجال إلى أن يظهروا لى الحب ، ورغبتهم فى زواجى ، وبذلك عرفت أن ليست جاذبيتى هى التى جذبتهم نحوى بل حب النانا ، فأى خيبة تشعر بها المرأة من جراء ذلك. فسألت أنكوما عما إذا كان

للرجال حرية أن يحبوا من يشاءون ، فأجاب بالسلب . وقال : إذا كان النانا يحبك بكل عقله فيجب أن نتبعه فنحن نرى دائماً أنه على صواب .

أدهشنى ما سمعته لأنه دليل على أن الشعب لا يزال ينظر إلى النانا كملك إلهى يستحق أن يضحى الناس بأنفسهم من أجله . وفى نفس الوقت تبينت أن مكانتى فى الدولة هى أوهانيسو Ohaneaso ومعناها الحرفى (اذن الملك) وترجم أنكوما العبارة بأنها (صديقة الملك الرسمية) .

والمصريون القدماء الذين كان عندهم نفس النظام كانوا يسمون الأوها نيسو (الصديق الوحيد) ، وفى نقوش كثير من المقابر افتخر كثير من رجال البلاط وموظفى فرعون أنهم كانوا (الصديق الوحيد) للملك وربما قتل نفسه بعد موت الملك لأن المصريين القدماء تخيلوا السماء كما تخيلها الأكان . وذهب الفراعنة أيضاً ليعيشوا مع أسلافهم الملكيين فى الشمس ، وكأبناء للشمس أرسلوا بأشعة الشمس واهبة الحياة إلى الأرض .

والصديق الوحيد عند الأكان هو الشخص الذى يختاره الملك ليكون صديقاً رسمياً له . وله وحده حق نقد الملك فى صراحة ويذكر له ما يكون من خطأ فى أعماله . ولكن بعد موت الملك لابد له أن يذهب معه إلى العالم الآخر .

ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى شغلت فيها هذا المنصب . فقد كنت فى كوماسى سنة ١٩٤٤ وزرت بعض الأحيان الملكة الأم لملك الأشانتى نانا كوادو يادوم Nana Kwadu Yiadom التى ساعدتنى كثيراً فى عملى بإعطائى معلومات ثمينة فى أمور كثيرة ولا بد أنها كانت تشبهنى لأنها سألتنى ذات يوم عما إذا كنت أقبل مركز (الصديق الرسمى) ولما كنت آنذاك لا أعرف عن هذا الأمر شيئاً وكنت أظن أنها تريد فقط نصيحتى فقد قبلت مخدوعة . وجرت ورائى كوفى أنتوبام

Kofi Antubam التى كانت تقوم بالترجمة بيننا بعد أن تركتها وسألتنى عما إذا كنت قد عرفت أنى بذلك قد وافقت على انتهاء حياتى،لأن الملكة الأم كانت عجوزاً وإذا ماتت فلا بد أن أذهب معها أو أفقد ماء وجهى أمام شعبها ، فبعث ذلك الرعب فى نفسى . وقد حدث أن ماتت الملكة الأم بعد سنة وكنت إذ ذاك فى إنجلترا وكان فى هذا خلاصى . ولكن عند عودتى إلى كوماسى فى سنة ١٩٤٦ اشتركت كضيفة للملك أشانتى هينى برمبه الثانى Nana Ashantihene Premph 11 فى طقوس الجنازة التى أقيمت فى ذكرى العام،ولما كنت موضع الحب من الملكة الأم الجديدة فقد أمنت على نفسى كما أظن .

وصمت،وصمت أنكوما معى حين عدنا . وتعجبت عندما علمت أنه كان يفكر فى هذا الموضوع ، إذ أن العادة القديمة قد ماتت ، ولم أوضع بعد فى مركز أقرر فيه أن أذهب أم لا . والموقف الآن كما كان ، فالنانا محبوب من شعبه ولا بد أنهم يحبون أن يروه سعيداً فى العالم الآخر.ونظرت إلى أنكوما ولكنى خشيت أن أسأله . إذ النانا فى صحة جيدة وستكون هذه المسألة موضع نظر حين تأتى الساعة .

موت أمير :

فى السابع من نوفمبر حين ذهبت إلى المدينة فى الصباح كان أنكوما ينتظرنى قلقا على ركن الطريق . فقد كان أصغر أخوات الملك الأمير كويزى دياكو Kwesi Duako الذى قابلته عدة مرات مريضاً جداً،وعائلته تنتظر منى أن أزوره. وزيارة الأمير معناها أن العائلة تريدنى أن أعالجه أو أقترح العلاج على الأقل فاعترضت لأنى لست بطبيبة،ولكن أنكوما أصر على وجوب زيارته فذلك واجب لا مناص منه إن كنت أحرص على رضاء النانا الذى يحب أخاه أكبر الحب فهو أصغر منه بعام واحد ، وسوف يشعر بالخيبة إذا رفضت زيارته ، ولذا ذهبنا معاً إلى منزل قريب من القصر . ووجدت الأمير وقد أسند إلى وسادات عالية على حصير

أمام سريره وكانت شدة المرض تبدو عليه ، حتى لم يعد قادراً على الكلام ، بل اكتفى بأن نظر إلى وكان قلبه يدق فى سرعة كأنه فى سباق ، حتى لقد عجبت من سرعة نبضه ، واشتبهت فى أن تكون حالة القلب لا ترجع إلى المرض بل إلى تناوله جرعة قوية من دواء فقد شاهدت مثل هذه الحالة قبل ذلك بأسبوعين أو ثلاثة . إذ ظهرت نفس العوارض على زوج الملكة الأم بينما لم يكن يشكو إلا من برد خفيف . ولذا وجهت همى إلى أن يفيق الأمير أولاً من أثر الدواء . ووعدت الأمير أن أعوده بعد الظهر وتمنيت له الشفاء العاجل .

وبعد الظهر ذهبت لأرى النانا ، أولا لأنى لم أره فى الصباح ولأسمع منه ماذا كان يعانى أخوه منه ، ولكن الوصف كان غير واضح ولم يزد عن مجرد مغص وربما كان نتيجة تناوله طعاماً مسموماً أو الزائدة الدودية . وكان النانا فى حالة من القلق لا تسمح بالشرح الواضح ، وكان يريد أن يعرف فقط ما إذا كان من المستحسن أن يرسل بالأمير إلى مستشفى سنيانى ، ففضلت ذلك إذ لم أكن أريد أن أتحمل مسؤولية ترك المريض مدة أطول دون مساعدة طبية . ولكن للأسف ، لم أعرف أن الأمير كان يعانى فتقا ، وسفره مسافة أربعين ميلا فى سيارة على طريق غير ممهد أسوأ ما ينتظر لحالته ولن يفيد الطبيب شيئاً .

وأعطى المريض مسكناً ، ومات بعد ساعات بين ذراعى النانا . وكما علمت من أنكوما عاد النانا مع الجثة فى الساعة الثالثة صباحاً . وانتشر خبر موت الأمير فى المدينة فأزعجها الخبر كقنبلة . فلم تكن هناك من وسيلة لأرى النانا لأنه لم يكن يرغب فى أن يرى أحداً . وفى اليوم التالى فى الساعة السابعة أرسل النانا أحد المتكلمين باسمه ليسألنى أن أذهب معه فى السيارة الملكية إلى منزل الملكة الأم لأصور الأمير المتوفى .

وعندما وصلت المدينة ، اتجهت إلى القصر أولا لأرى النانا واستقبلنى أنكوما الذى قادنى إلى فناء الاجتماع الذى كان مزدحماً بمن يلبسون ملابس الحداد الملونة ، ثم إلى قاعة الاستقبال حيث جلس النانا منفرداً فدهشت حين رأيت كل الصور والمرايا قد رفعت وجميع الكراسى والموائد قد غطيت بأغطية بيضاء . وقام النانا وابتسم لى وعندما أبديت له عطفى العميق ضحك وقال إنه يجدر بى أن أسعد معه لأن أخاه المحبوب الآن فى السماء وليس هناك مكان لحزن من أجل ذلك ، وقد أعلن الله ذلك . وهناك أولاد كثيرون يحاولون محل المتوفى . ولما كنت أعلم مقدار تعلق النانا بأخيه لم أدر كيف أتصرف فقد لاحظت أن جميع الناس فى الفناء يضحكون ويمرحون عندمابادرتهم بالتحية،وقد كان من عادة الأكان أن يضحكوا عند الموت ليظهروا سعادتهم به ، ويثبت أخيراً أن ضبط النانا لنفسه كان شيئاً يفوق طاقة البشر .

وفى بيت الملكة الأم ساد المرح جميع الحاضرات . ولو أنه كان مرحاً مفروضاً عليهن أكثر من الرجال.وحاولت الملكة الأم أن تبتسم عندما سلمت عليها،ولكن ابتسامتها اختفت وبدت تعسة . وأخذنى بانمو هينى كوامى توى ، كبير كهنة القبر وحارس المقابر الملكية لأرى الجثة ، كان المتوفى راقداً على سرير مغطى بملاءات وسجاجيد من السودان . والسيوف الذهبية رمز الملكية تستند إلى السرير . وحبوب الكولا — رمز الحياة — تملأ فمه ، بينما جلست امرأة من بيت البانمو هينى على رأس السرير تبعد الذباب بمذبة (فى يدها) والتابوت إلى جوار السرير . ووقفت صامتة برهة وتذكرت احتفال الأبو Apo فى كونتنسو منذ أربعة عشر يوما فقط حين جلس الأمير بجانبى خلال إجراء الطقوس وكان لطيفاً مؤدباً مرحاً ، كما كان مسيحياً حقيقياً .

ودعيت الملكة الأم إلى جانب السرير حيث سكبت البانوهيمى نبيذ الهبة وهمهمت بالصلاة والتقطت لذلك صورة . وقدمتنى الملكة الأم إلى زوجتى الميت وقد جلستا ممددتى السيقان فى ركن مظلم يفصلهما عن السرير حائط . وطلبت النساء منى أن لا أقدم لهما يدى إذ مسهما الموت فهما غير طاهرتين ويتجنبهما الجميع ، ونظرا إلى برهة ولكنهما جلستا ثانية دون حراك كتمثالين لا تلتفتان إلى ما يجرى حولهما .

وعدت كى أخبر النانا أنى أخذت الصور فوجدته أكثر مرحاً عن ذى قبل وطلب منى أن أعود بعد الظهر ليثرثر معى قليلا . وإذا ما استدرت لأذهب أرسل من يدعونى فتوقفت وعدت لأحييه متمنية له يوماً (سعيداً) فلاحظ أن ثوبى يصلح جداً للمناسبة ، ولما كنت أعلم أن اللون الأحمر (من البرتقالى إلى القرمزى) . هو لون الحداد ، فقد لبست (جاكتة) كتان بنفسجية وحذاء من نفس اللون . وسررت حين راق للنانا منديلى الذى كان مصنوعاً من (الشيفون) الأزرق . ولما كان الصباح منعشاً حملته معى كى يتلاءم مع ثياب الصباح .

وبعد الظهر وجدت النانا فى المنزل فذهبت معه لأشترى زجاجة من (ماء الحياة) ثم عرجنا على بيت الملكة الأم لأسلم عليها . وكانت جثة الأمير قد حملت فقد أمر النانا بوضعها فى التابوت وإرساله إلى كنيسة الميثودست لتقام له الطقوس المسيحية ولكن السرير الذى كانت عليه الجثة كان لا يزال هناك ، والمرأة (من البانجو) ما زالت تبعد الذباب بمذبتها والزوجتان جالستان مجلسهما يتجنبهما الجميع .

وبدت الملكة الأم مرهقة بالرغم من ابتسامة باهتة ارتسمت على وجهها عندما أخبرنى عمها— وقد رأيته للمرة الأولى — أنه كان يحبنى ويريد أن يتزوجنى.وقبلت الملكة الأم منى هدية (ماء الحياة) وأعطتنى زجاجة بيرة مقابلها .وكان على أن أشربها مع أنكوما والأصدقاء والحاضرين جميعاً . وبين دقيقة وأخرى كانت المرأة تصرخ بينما كان يقف وراء الملكة الأم منشد يتغنى بمدح الأسلاف والملوك الذين ماتوا

وهم الذين كان الأمير — كما يعتقدون فى طريقه إليهم — وقد علق أكيام هينى كوابينا أدياى Akyeamhene Kwabena Adyaye رئيس المتكلمين باسم الملك الذى كان يقف إلى جانبى على ذلك بأن قال : إن أحداً لا يعرف ماذا يحدث لو سمع النانا بهذه الأناشيد . ففى الأيام الأولى كانت هذه الساعة ساعة تطيح الرءوس فتلفت حولى لأرى الأدومفو هينى جلاد الضحايا البشرية ولكن لم يكن بين زائرى الملكة الأم .

ولما فرغ المنشد من ألحانه ومحفوظاته أتى بشاة بيضاء كانت مربوطة إلى وتد فى الفناء وجرها اثنان من حاملى العرش إلى أمام السرير حيث كان الأمير راقداً . وأمسكا برجليها بينما كان رئيسهم يتمتم بصلاة . فسكب التقدمة(الضحية)من أجل روح الميت وأتى ثالث وقطع رقبة الشاة من الأذن إلى الأذن . ثم ثنى رأسها إلى الوراء . وفى بضع ثوان ذبحت الشاة، وما سال من دمها جمع فى آنيتين أعطيت إحداها إلى امرأة لتغليها على موقد أقيم فى الفناء لهذا الغرض كى يجهز منه السجق ponsua (الدم المغلى لذيذ الطعم) بينما سكب الدم الذى فى الإناء الآخر على بعض الهبات (رحمة) لأجل الأمير المتوفى ، وكان هذا طعاما مطبوخا من لحم وسجق من الشاة المضحى بها،وبدأ اليوم التالى بعاصفة رعدية ومطر غزير . ولما أشرقت الشمس من جديد ذهبت إلى المدينة مترجلة — لأن أنكوما كان مريضاً — لأزور الملكة الأم لأشكرها على دعوتها لى فى اليوم السابق . وعندما وصلت ومعى أنكوما لم أجدها وحدها ، بل وجدتها جالسة وإلى جانبها النانا على مقعد خشبى . فى وسط الفناء ، ووقف بعض الناس حولهما ؛ وكان النانا مرحاً . وبعد أن حيانى شرح لى أن واجبه يحتم عليه أن ينصح الملكة الأم بأن تخفف من أحزانها لأنها مصممة على الحزن . وعلى أنا أيضاً أن لا أحزن فلا بد للمرء أن يرضى بما يرسله الله له . ثم سألنى أن أذهب إلى القصر لأنتظره هناك فى قاعة الاستقبال . وذهبت طائعة ،

وفى طريقى لاحظت أن السرير الذى كان يرقد عليه الأمير ، كان لا يزال هناك وكانت الزوجتان جالستين فى الركن مختبئتين فى ثياب الحزن البنية القاتمة ، دون أن يصدر منهما صوت أو حركة فذكرتانى تماثيل الأوسابتى الصغيرة لقدماء المصريين .

وكانت غرفة الاستقبال فى قصر النانا لا تزال خالية ، فأحضر لى الخدم زجاجتى البيرة المعتادتين ، وأعطانى أحدهم كتاباً لأقرأه عن (صحة المناطق الحارة) وبعد ربع ساعة جاء النانا محاولاً أن يهدئنى من جديد ، وكان محور كلامه أن الإنسان يجب أن لا يحزن فالموت هو إرادة الله . وفى الحالة الراهنة كان هناك ثلاثة أولاد فليس هناك من محل للشكوى . وقد تألم وهو يشرح لى أن الملوك يشبهون القاموس ففى كل وقت يجب أن يظهر الملك المعرفة ليكون على علم أكثر من أى شخص آخر فواجبه أن ينصح ويهون الأمور على كل من يحتاج إلى ذلك . أما أنا فيجب أن لا أحزن إذ يحزنه أن يرانى كذلك ، فهو يعرف أن لى قلباً رقيقاً فكل المصائب التى تصيب الدولة تؤثر فى كثيراً ، ولكن يجب أن لا أحزن لذلك . وبعد قليل غير النانا موضوع الحديث ودعانى إلى حفلة رقص فى المساء فى القصر وأخبرنى أنه سوف يدعو قلة من الناس ، فلما شكرته لدعوته ووعدته بالحضور هز رأسه وهو شارد الذهن ، وفجأة ذهب قناع المرح الذى كان حتى الآن يغطى وجهه فبدا ممزق (النفس) تعباً ، فقمت دون أن يلاحظنى وتركته جالساً منكس الرأس حتى يكاد الرأس — وهو بين يديه — أن يلمس ركبتيه . ولكن قبل أن أصل إلى الباب كان إلى جانبى وابتسامة مرحة ترتسم على وجهه ، ورفع ستارة الخرز أمامى لأمر منها إلى فناء الاستقبال لأنه كان سيمكث مع الملكة الأم بعض الوقت .

وفى المساء عندما وصلت إلى القصر كانت أبوابه مغلقة وليس هناك من حارس فسألت كوى أن يقرع الباب بشدة وبعدقليل فتح الباب خادم فى يده مصباح وأدخلنى وأشار إلى ممر مظلم بين الفناء الأمامى وفناء الاستقبال .

وكانت غرفة الاستقبال لا تزال خالية من الأثاث ، ولكنها مضاءة بمصباح (بتروماكس) موضوع على قاعدة . وكان معظم الضيوف — وقد بلغوا العشرين من أعضاء مجلس الدولة — قد جلسوا على كراسيهم بجوار الحائط ، والنانا فى وسطهم خيانى بحرارة وفى صوت عميق . وكان يبدو محموماً . وقد سألنى أن أجلس إلى يساره مباشرة وهو المكان التقليدى المخصص للملكة الأم ، ولم يكن هناك من نساء غيرى .

وفتح النانا باب الحديث بأن لفت نظرى إلى الملابس البيضاء التى كان يرتديها على طريقة الرومان ، فاللون الأبيض يرمز إلى السرور والسعادة . وبهذا أراد أن يعلمنى أنه مسرور لأن أخاه قد انضم إلى أسلافه الملكيين الخالدين فى السماء . ولم يلبث أن غادر الغرفة سريعاً وعاد بعد قليل وقد لبس معطفاً طويلاً من القطيفة القرمزية وقد طرز على كتفيه وصدره بخيوط فضية طائران يواجهان بعضهما وتحت أحدهما عبارة (افعلها) وتحت الآخر عبارة (لاتفعلها) وأشار النانا إلى الطائر الأول وقال فى فخر لقد فعلتها لقد قطعت علاقتى بحكومة الأشانتى ثم أخبرنى كم كلفه هذا القرار ولكنه كان يجب أن يعرف كل الناس أنه ليس عبداً لأحد بل ملك على عرش أسلافه الملكيين ملوك بونو .

ولما ظهر كوى ليخبرنى أنه لم يجد أنكوما ، سأله النانا أن يجلس وينضم إلى الجماعة، قائلا فى انشراح : نحن جميعاً سعداء هنا . وأمر بالشراب للجميع ولما أحضر الخدم زجاجتين من الويسكى والصودا لم يسمح لى بتناوله بل أعطاها إلى كوى ليحملهما إلى منزلى . وأظهر لى أنه فعل ذلك لأنه يريدنى أن أشربهما معه . ولما كان مسلماً فإنه لا يشرب المشروبات الروحية بل يكتفى بالبيرة[1] وأمر بزجاجتين من

(١) الأصل فى الإسلام تحريم أنواع الخمر جميعاً . جاء بهذا القرآن (الآية ٩٣=

البيرة، وبينما كان كوى يفتح إحداها حضر أنكوما وكان قد ذهب إلى منزل صديق له لينام قليلا لأنه كان يعمل دون راحة منذ وفاة الأمير . وشعر أنه لا يستطيع مواصلة العمل أكثر من ذلك، وغضب النانا لذلك ولكنى شفعت له لأنى أعلم أنه لم يكن قوى التحمل .

وقام الشيوخ واحداً إثر الآخر ليقرعوا الكؤوس معى ، ولما جاء دور النانا البانمو هينى Nana Banmuhene ذكر لى النانا أنه أيضاً متعب (وأنت تعلمين ما فعله ، إن عمله ككاهن المقابر يحتم عليه أن يجهز جثة الميت للدفن . كما يجب أن يجهز القبر وأن يراقب عملية الدفن) وقد اتصلت به فى قرية هانسوا Hansua وتحدثت معه فى أمر الدفن والعادات الجنائزية المتخذة مع الملوك والملكات الأم، ولما عرف النانا ذلك طلب منى أن أسأله عما أشاء ، إذ لم يعد هناك أسرار تخفى على وأضاف (أنت الآن واحدة منا) ولكنى رفضت ما دام ذلك يعنى (تابو) ولما كان من المفروض أن لا يسمع النانا عن الطقوس المتعلقة بالموت كما أنه غير مسموح له أن يحضر عمليه الدفن أو يدخل المدافن ، وربما تذكر النانا ذلك فإنه ترك الغرفة فجأة .

ومع ذلك لم أحاول أن أسأل أى سؤال إذ خفت أن يكون البانمو هينى يفكر فى شىء آخر . فقد دعا أنكوما إليه وهمس إليه بشىء . وبعد قليل من التهامس بينهما وبين زعيم فوريكروم الذى كان جالساً بجانب البانمو هينى رجانى أنكوما أن أنصح النانا عند عودته وأواسيه فرفضت خائفة، وحاجنى أنكوما إذ كان يرى أن أقول له فقط ما قاله النانا للملكة الأم، وقد أضيف شيئاً عن الحرب وكيف كان

=من سورة المائدة » كما نص عليه الحديث الشريف « كل شراب أسكر فهو حرام » وفى حديث آخر « اجتنب كل مسكر ينش قليله وكثيره » وينش أى يغلى . (المراجع)

الإنجليز يتصرفون إذا قتل أحد أقاربهم بفعل القنابل ،فهززت رأسى إذ شعرت أنى لا أستطيع أن أفعل ذلك، ولكن جميع الشيوخ الحاضرين أصروا ورجونى أن أفعل ذلك .

وبينما كنا لا نزال نتناقش ، دخل النانا الحجرة وجلس إلى جانبى وأخبرنى أن الوسيقيين لم يستطيعوا الحضور لأن رئيسهم مريض، ولكنه وضع الترتيب اللازم لتحضر الفرقة إلى الاستراحة لتقدم إلى الحفلة التى وعدنى بها ووضع يده على ذراعى فى خفة ، وهمس فى أذنى أنى أمه وأخته وزوجته كلهم فى واحد ، وأنه منذ أن فقد أخاه المحبوب ليس له سواى، ولاأقسى وأكثر استحالة من ملك ينشىء لنفسه صداقات جديدة بعد أن يشعر بنفسه وحيداً .

ورأيت أنكوما وقد ثبت نظره إلى ، وكان ذلك بمثابة كلمة السر . فقمت وقلبى مثقل لأواسى النانا،ووقفت أمامه كما قال لى أنكوما أن أفعل . بينما كان النانا جالساً ، ورأسه بين يديه ، وبدأت أقول له فى سرعة وقد انحنى كثيراً حتى لقد ظهر قفاه عارياً أيهاالنانا لقد قلت الآن إنك تعتبرنى كامك فانصت لى.لاتحزن لأن الله قد دعا أخاك إليه . وكلنا نعلم أن الناس فى السماء سعداء . ثم كررت بعض الكلمات التى قالها النانا لى فى الصباح عندما واسانى . ولكنى لم أستطع أن استمر فلم أشعر أن فى الفردوس عزاء كما لم يكن هناك فائدة من الندم · ماذا أستطيع أن أقول للنانا كى ينظر للأمر من زاوية أخرى؟لقد اضطربت إذ لم استطع أن أفكر فى سرعة كافية ونظرت إلى أنكوما ليساعدنى . وبدون أن يضيع دقيقة واحدة أكمل كلامى حيث وقفت . وأطال فى حديثه وأجاد الكلام حتى كنت أوافقه فى أكثره ونطقت بكلمات لها معنى الموافقة .

ولما انتهى أنكوما من حديثه ساد صمت طويل . ولم يتحرك النانا . وبعد قليل رفع رأسه وبدت عيونه متعبة وبدأ يتكلم دون أن يشير إلى مواساتى له .

وتكلم طويلا فأشار إلى جهاد تكيمان فى الحرب وهى جهود لم تعترف بها بريطانيا . وقد حصل كثير من الزعماء والملوك على التقدير جزاء ما قدموه إلى تكيمان فقد أخذت من أجل ما قدمته من تضحيات كثيرة وما قاسته من مصاعب . وهو سوف يرينى فى مكتبه يوماً من الأيام الأوراق التى تتعلق بهذا الموضوع حتى أسجلها ، إذ لا يجب أن تنسى أو تهمل . أما عن دوره فقد كان مسروراً لأنه ستكون قريباً حكومة مستقلة (لساحل الذهب) ولأن تكيمان لن تساعد انجلترا مطلقاً حين تحتاج إلى المساعدة ، لأنها برهنت على أنها أم غير صالحة[1] لتكيمان ، وأشار إلى القرى التسع التى فقدها والتى لم يسمح له بإعادتها ، ثم تكلم عن مركزى فى تكيمان . لقد عرف من نساء تكيمان أنهن لا يصدقن أنى أجنبية . لقد تحققوا طبعاً أنى أوروبية ولكنهم ما زالو يتشبثون بفكرة أن دمائى من تكيمان . وكان النانا فى صفهم فى هذا الاعتقاد ، ولأنأى أجنبى لن يستطيع أن يفعل أكثر مما فعلت . وشكرنى النانا مرة أخرى لما فعلته من أجل دولته وكأنى قد نجحت فى أعادة القرى التسع ، ثم أشار إلى أن هذا الجزء من كلامه كان يجب أن يؤجل ولكن من يدرى فقد يموت غداً فالأجدر أن أسمعه الآن .

وقد ترجم كوى كلام النانا ترجمة جيدة ، حين سأله النانا أن يفعل ذلك متجاهلا أنكوما ، وعندما ابتسمت فى تعاسة أضاف النانا قائلا : سواء كنت مريضة أو حزينة فى انجلترا أرجو أن تبلغينى ذلك لأرسل لك طيارتى أو أحد شيوخى لعيادتك وكان طبيعياً أن يسرنى هذا الحديث . ثم تكلمنا عن الطيران . وذكر لى أنه طار مرة إلى داكار خلال الحرب . وسألته عما فعله هناك ولكنه لم يجب لأنه فجأه بدا بعيداً ،

---

(١) أخيراً أفاق الملك من أوهامه وعرف أن انجلترا لا تعرف إلا استغلال الشعوب لصالحها ولأن جل اهتمامها موجه دائماً إلى بث الفرقة بين أبناء الوطن الواحد . (المترجم)

وعيناه تدوران تائهتين فى جوانب الحجرة ولكى أعيده إلى الحديث أخبرته أنى كنت
أيضاً فى داكار خلال الحرب بعد أن تحررت سنة ١٩٤٣ بأسبوعين . وسألته
عما إذا كان قد شاهد الميناء فى ذلك الوقت وقد بدت كمقبرة للسفن ولكنه لم ينصت
بل قام وأسرع إلى الباب وهناك وقف لحظة ونظر وراءه بعيون لا ترى شيئاً .
بينما كانت يده اليمنى بكل ما يستطيع الإنسان أن يتحمل من يأس تزيح ستار الخرز ،
فأسرع إليه بعض الخدم — وكانوا واقفين فى الفناء — وفى أيديهم المصابيح
وازدحموا حوله ولم يلبث أن اختفى فى الظلام .

وأخيرا سألنى أنكوما لماذا لم أسأل البانوهينى عما إذا كان قد سر من كلامى
فقلت له إنى لا أستطيع أن أفعل بعد أن فشلت فى كلامى . ولكن أنكوما لم يأبه
بإجابتى وسأله هو السؤال الذى أجاب عليه البانوهينى فى لباقة أنى قد أجدت القول
وأنه سر لقدومى . وشعر أنكوما بالارتياح ونظر إلى بانتصار إذ أن حزن النانا
قد أقلقه وساد صمت جديد . وأخذ الضوء يخفت ولم يحاول أحد زيادته . وكان
الخادم المكلف بالمصباح ينظر حوله كأنما يسأل ولكن لم يلتفت إليه أحد فذهب
إلى مائدة فى وسط الغرفة وأسند رأسه إلى ذراعه ونام . وبدأ التعب يبدو على كل
الموجودين وبدا لى أن النانا لن يعود ، فقمت لأبرح المكان بعد أن استشرت
أنكوما . وكان كوى فى الخارج يستدعى السيارة . ووقفت لحظة لا أعرف كيف
أودعهم . ولما كان أنكوما لا يغنى فى ذلك ، فلابد أن أحيى على طريقة
الاحتفالات ، بدأت بالكبار من ناحية اليسار مسلمة يدى ولكن سرعان ما تبينت
سخافة ما فعلت فهذا النوع من التحية ليس له مكان هنا ولا يتفق مع مكانتى (كملكة
أم) شرقية . ولكن الشيوخ أكدوا لى حسن ما فعلت ومدوا بأيديهم إلى واستبقى
كل واحد منهم يدى مدة أطول مما يجب ونظروا إلى فى عاطفة وقالوا لى كلمات رقيقة .

وعندما انتهيت إلى البانوهينى — وكان آخر من جلس من اليمين — وقفت
وقد عقدت الدهشة لسانى — إذ رأيت أمامى أحد الخدم نائماً وهو واقف مستنداً
إلى الحائط فعجبت كيف ينام المرء على هذا الوضع ولكنه كان كالآخرين قد أرهقه
العمل المتواصل خلال الأيام الثلاثة الماضية منذ أن مات الأمير . ونظرت إليه
وتذكرت صورة (الجميلة النائمة) وحاشيتها النائمة فى القلعة المهجورة . ولما اجتزت
المصباح التفت ورائى ونظرت إلى الحجرة التى كاد يغمرها الظلام بمن فيها من أناس
صامتين ولكن أنكوما رفع ستار الخرز فانسل النور إلى الغرفة فاندفع الخدم
يدلوننى على الطريق إلى الفناء ثم إلى الخارج .

وفى خارج الأبواب عشيت عينى من أنوار السيارة ، وكان صوت آلتها وهى
تهدر فى لطف كأنها حيوان كبير صديق،وفتح أنكوما الباب فشكرته مرة أخرى
على كلامه بل كلامه الجميل فابتسم وتمنى لى ليلة سعيدة ونوماً طيباً .

وفى صباح اليوم التالى اتجهت إلى القصر لأحيى النانا . ولكنه كان لا يزال
فى غرفته لا يرغب فى أن يرى أحداً . فذهبت لأرى الملكة الأم ، وبدت سعيدة ،
أما زوجها النافياهين وتاتوسوهينى اللذين كانا معها فقد أشارا إلى أن ذلك بفضل
مواساة النانا لها . وجلسنا جميعاً وبينما كنا نتكلم قدم رسول من القصر يحيينى
ويطلب منى أن أذهب إليه فى الساعة الثانية .

وعندما عدت فى الساعة الثانية ودخل الحارس ليعلن للنانا قدومى ، عاد بوجه
مضطرب،وهو يقول أن النانا لا يزال نائماً فاضطربت أنا أيضاً ، لا لأنى لا أستطيع
أن أراه ، بل لأنه أفرط فى الشراب كى ينام فمنذ يومين فقط عرضت عليه بعض
حبوبى المنومة ونظر إليها وهى فى كفى بينما كنت أتعجب من كبر الجرعة التى أعطيتها
لتابعه الذى يقف خلفه كى تنتج أثراً سريعاً دون ضرر عليه . ولكن النانا رفضها

فمن المحتمل أنه قد خشى النوم العميق بينما يتوقع أن يجىء بوليس الحكومة مرة أخرى ليقبض عليه خلال الليل .

وبينما كنت أتكلم مع الحارس (الكوربرال) جاء أنكوما يسألنى أن أذهب معه إلى منزل نيفاهينى أمام القصر لأنه أراد أن يرانى لأمر عاجل . فذهبنا فى الحال فوجدناه ينتظرنا ومعه زجاجتان من البيرة لى . وبدأ الكلام بأن دخل فى الموضوع مباشرة وقال إن الشيوخ قلقون على النانا فواجبى أن أذهب إليه لأواسيه مرة أخرى عندما يستيقظ . ولكنى رفضت فى دهشة ، فأكد لى النيفاهينى أن الدولة كلها قلقة عليه إذ يجب أن لا يحزن إلى هذا الحد ، وطلبوا منى أن أهدده بأنى راحلة إذا استمر فى حزنه ، فهززت رأسى رافضة ولكن نيفاهينى أصر وهو يقول النانا يحبك ولأجل ذلك تستطيعين أن تقولى له ذلك . فاظهرى أنك مهتمة به وكذلك نحن ، ولهذا نرجوك ، إذ يجب أن لا تتركيه هكذا لنفسه . نحن جميعاً نحبك كثيراً لأنه يحبك . يجب أن تذهبى . وأخيراً وافقت وقلبى مثقل بالحزن ، وعدت إلى القصر وكان النانا قد استيقظ ولكنه رفض أن يرى أحداً .

وفى اليوم التالى ظل النانا يرفض أن يرى الناس ، ولكن ذهبت إليه الملكة الأم بعد الظهر حاملة القماش الفضى ، ثم جاءت إلى الاستراحة تحمل لى كتاباً منه يقول فيه :

« يأسف الملك اكومفى أمپياو الثالث تكيمان هينى إذ يعلن وفاة أخيه المحبوب الأمير كويزى دواكو الذى توفى ، فى الثامن من نوفمبر . ويرجو الملك بسرور السيدة ميروفتش فى حضور الاحتفال الجنائزى الذى سيقام يوم الثلاثاء الخامس عشر من نوفمبر (مطلوب الرد من كورونتوهينى) » .

وقبل أن أذهب فى اليوم التالى إلى تانو بواز وتوبودوم اتجهت إلى النانا ووجدته

جالساً فى صمت فى فناء الاستقبال وكان قد عاد إلى حالته وناقش معى زيارتى التى انتويتها والموقف فى القرى التى فقدها . وعندما ودعته حيانى تحية ترجمها لى أنكوما حرفياً (إن جسدك يبدو منتعشاً وصحتك جيدة) فابتسمت لقوله .

الجنازة

فى الساعة التاسعة من صباح ١٥ نوفمبر جاء إيرتى يبحث عنى ومعه أحد حاملى السيوف ، وقد أرسله النانا مع عربته الملكية ، لأذهب بها إلى حيث تقام المراسم الجنائزية لأخيه . أما النانا فسيحمل على أكتاف الناس جالساً فى هودجه تحت مظلة الدولة المزدوجة الكبيرة فى نهاية موكب الذكور من أفراد العائلة .وحدث أن وصلت أنا والنانا فى وقت واحد إلى الأرض المكشوفة الواسعة المغطاة بالحشائش بالقرب من بناء المدرسة الكاثوليكية .

وأعطيت مكاناً على مائدة فى آخر الجناح الأيسر من نصف الدائرة التقليدية التى تكونت ، وكان معى أنكوما وأفوريج السكرتير الخاص للنانا وأمبوجا كاتب الخزانة بينما جلس الملك فى الوسط تحت مظلته ، ولكنه كان غير ظاهر إذ كون أبناؤه حلقة كثيفة حوله .

وأخذ شيوخ الدولة الكبار وزعماء القرى يصلون ، وفوق كل منهم مظلته ــ وهى علامة رتبته ــ يصحبهم أتباعهم ، وأخذوا مراكزهم مرتبة كالعادة بعد أن حيوا الحاضرين، وكانت الملكة الأم وسيدات أخريات من قصرها ومعها المربيات قد حملن الطفلين كوابينا وأكوا ، وأخيراً سمح للملكة الأم أن تبكى فجرت الدموع على وجهها عندما كانت تحيينى بينما كانت أمها وبعض نسائها يولولن .

وعندما اكتمل جمعهم بدوا بمظلاتهم الملونة كحديقة مليئة بالأزهار، وأخذت الجماعات تحيى بعضها بعضاً ، وظهرت فى الخلف تلال تكيمان الخضراء فكان منظراً

يوحى بالسلام ، وسررت حين أمر النانا ، تجنباً للحوادث ، بمنع إطلاق النار التى كانت مظهراً من مظاهر جنازات الأكان (١) .

ولم ألاحظ صديقى كبير الجلادين ، ولكنى سمعت أنه كان مع النانا وابرافوهينى وكان عمل الأخير ينحصر فى أن ينشد أعمال الأسلاف المجيدة ، ولكن الجلادين الصغار رجالاً ونساءً كانوا ظاهرين،وكان الرجال منهم يلبسون قلانس من جلد الفهد ، وسيوفهم فى أيديهم وقد سود بعضهم وجهه ، بينما كانت الجلادات يصرخن مولولات وغابت إحداهن عن وعيها ، واندفعت تحمل سكينها بين أسنانها وغلبها الحزن حتى لقد همت بذبح نفسها ، ولكن جرى إليها أحد الشبان ليخلصها وحاول أخذ السكين منها فوقعت الفتاة على رقبته فكان سلوكاً أثار من رأوه فسيقت إلى الخارج وهى تقاوم ، ولكنها عادت بسرعة ورمت بسكينها على الجمع ومن حسن الحظ أنها أخطأتهم . فأمسك بها أربعة من الأشداء وحملوها خارجاً فهربت وعادت مرة أخرى ، وهنا أمسك بها أحد الشبان وصفعها ليعيد إليها وعيها،ولكن الشاب كان بهذا العمل قد ارتكب جرماً فكان على أنكوما أن يباشر عمله المكروه ويقبض عليه . ثم سرعان ما فقدت الجلادات الأخرياتشعورهن وكان من الواجب تهدئتهن ، فمضت مدة من الزمن قبل أن يعود النظام .

وكان المذيع قد أخذ يعلن القرابين الجنائزية التي قدمها الناس وقد وضعت النقود فى سلة كبيرة على مائدتى وأخذ كل من أنكوما وأفوريج واملوفا كتاباً يكتبون فيه أسماء مقدميها والمبالغ التى دفعوها لمنع الخطأ وكان أنكوما يستدعى بصفة مستمرة ليقوم بواجباته البوليسية بينما كنت مشغولة بتحية الناس الذين

(١) وبالنسبة إلى وفاة تابوعن الملك دفن الأمير سراً بواسطة باتموهينى ولم يحضر دفنه سوى كورونتى هينى وجباز هينى نائبين عن الدولة .

قدموا لرؤيتى . وعزفت الفرقة النحاسية مقطوعات راقصة لأنهم لم يكونوا يعرفون المعزوفات الأوروبية الجنائزية . ومن حين لآخر قرعت الطبول مقطوعاتها القديمة التى أثارت الناس وأعادت حالة الحداد .

ولما كان الاحتفال الجنائزى قد استمر طول النهار ، تسللت وقت الظهر لأتناول الغذاء وأستريح ساعة . وعندما عدت كان الحال كما تركته ، وعاد الزعماء الكبار والشيوخ إلى أماكنهم بعد رد الزيارة لمن زارهم . وخرج النانا من تحت مظلته وجال جولة . وبين الحين والآخر قدم البعض رقصات قصيرة ، وعندما عاد إلى مظلته صحبنى أنكوما لأحيى الزعماء . ولسبب أو لآخر لم يسمح لى بأن أحيى النانا كما أنه لم يأت لتحيتى . ولكن كان على أن أذهب إلى الملكة الأم التى لم تتوقف لحظة عن البكاء منذ الصباح . وجلست مثل تمثال مجسم للحزن . وولولت النساء ولم يكن الإنسان ليتبين وجوههن من فرط الانفعال . وعندما ما كنت فى الخارج اصطف تلاميذ البعثة الكاثوليكية على أرض عالية خلف مكان الزعماء فى ملابس زرقاء وبيضاء فبدوا كملائكة فى لوحة من لوحات العصور الوسطى .

وأخيراً أقيمت الطقوس وكانت فى الغالب عبارة عن صب القربان لروح المتوفى . وقبل الغروب بقليل أعطيت إشارة الانتهاء ، وبدأ الناس ينصرفون فى موكب كبير . وكان النانا فى هودجه محمولا على أكتاف رجاله آخر من انصرف ، وتبعته طبول الدولة وخلفهم أنكوما الذى كان عليه (بصفته مفتشاً للبوليس) أن يتحقق من انصراف الجميع .

وفى صباح اليوم التالى اتجهت مباشرة إلى القصر لأحيى النانا وأشكر له سماحه لى بالاشتراك فى طقوس جنازة أخيه فشكرني بدوره لمجيئ . ثم اتجهت إلى الملكة

الأم فوجدتها ما زالت حزينة ، وبدأت دموعها تنساب على وجهها ، عندما مددت إليها يدى . وكانت أمها تقف ، وعلى يدها الصغيرة أفوا منتظرة أمام السرير الفارغ الذى كان الأمير راقداً عليه . وبكت الصغيرة بكاء يقطع نياط القلب ومدت يدها إلى أمها . وكان كوابينا فى الخارج مع أبيه وعندما عاد جرى إلى كأنى كنت له ملجأ من هذا النهار المخيف ، وظل ملتصقاً بى حتى انصرفت ، ورفع سرير الأمير فى اليوم التالى وعاد كل شىء إلى مظهره العادى .

الصخرة المقدسة فى تانو بواس Tano boase :

أردت فى تصميم أن أذهب إلى تانوبواس لأرى الصخرة والكهف المزدوج الكبير الذى يعيد فيه تاكورا Taa Koora أو إلى تانو وكنت قد رأيته فى سنة ١٩٤٤ ولكن عندما وصفته فى ص ١٢٨ من كتابى (دولة أكان المقدسة) وصفتها من ذاكرتى إذ كنت قد أتلفت المذكرات والرسوم التى صنعتها فى ذلك الوقت وقد علمتنى التجربة كيف تخطىء الذاكرة فشعرت أنه من الواجب أن أرى هذه الكهوف مرة أخرى .

أسس قرية تانوبواس الأمير تاكى Takyi من الفانتى،وكان عمه أمووازانكا Amoasanka العظيم ، مصحوبا ببضع مئات من اللاجئين ، قد لجأ إلى مملكة بونو حوالى سنة ١٥٥٠ قادماً من مملكة الفانتى التى يبدو أنها كانت جزءاً من مملكة مالى القديمة، وبعد سنة ١٥٩٠ وفد كثير من لاجىء الفانتى.ولأجل وحدة الفانتى حصل لهم الأمير تاكى على إذن ليتجمعوا حوله وينشئوا مدينة لهم . وكانت تكيمان هى المدينة التى بنوها وهذا ظاهر من اسمها فتاكيمان معناها مدينة تاكى أو دولة تاكى . وكان تانو الإله القومى للفانتى هو تانو الذى أحضر اللاجئون معهم ذخيرته التى يقدسونها ، وكانت كاهنتهم فى هـــذا الوقت هى أفوانكوما Afua Ankomaa أخت تاكى ، وفى ذات يوم قبل أن تبنى تكيمان . ووقفت هذه

الكاهنة فى حالة اللاشعور وأخبرها تانو أنه يريد أن يعبر عند الصخرة الكهف المزدوج الكبير الذى كان بين بونومانسو عاصمة بونو وتكيمان .

وبنى تاكى لأخته قرية كيازى kyasi غير بعيدة من الصخرة ، وعينت كبيرة للكاهنات . ولكن بعد برهة وجدت أفوا أنكوما أن المسافة إلى الصخرة طويلة فسألت تاكى أن يبنى لها قرية جديدة قريبة إليها ، فأرسل تاكى إحدى نساء الرقيق وكانت حدادة ومعها أولادها الكبار من الجنسين وكلهم حدادون ليبنوا هذه القرية على مسافة ميل ونصف . وسميت هذه القرية تانو بواس ومعناها تحت صخرة تانو وقد شاهد الكابتن راترى Rattary مؤلف (الأشانتى. الديانة والفن عند الأشانتى) وكتباً أخرى ، هذه الصخرة المشهورة فى سنة ١٩٢٠ ، وكان أول أوروبى سمح له بزيارة الكهف ، إذ هو أشهر الأماكن المقدسة عند الأكان ، وكنت الثانية وكان هذا شرفاً لى أدين به للملكة الأم تانو بواس هما أما نتوا Amma Ntoa وقد حدث ذلك كالآتى :

عندما قدمت إلى تانو بواس فى سنة ١٩٤٤ أرونى معبد تاكورا Taa kora الصغير فى القرية،وهو يقع على الطريق الرئيسى من تكيمان . وصحبنى كاهن القرية الأعظم تانو بواس هينى كوابينا دومو Kwabena Dwumoh وخليفة الملكة الأم أفوا نكوما نانو بواز هيا ، وبعض العجائز ، كما أرونى ما بداخله خلال الباب الذى يقود إلى فناء المعبد فعلى اليسار فيما يلى شجرة تاكورا المقدسة ، كان المدخل إلى المحراب الحالى الذى يتكون من غرفة خارجية ثم غرفة القربان المقدس.وفى غرفة القربان كانت هناك قبة ارتفاعها أربعة أقدام ويقال إن قمتها كانت من الذهب فهى مغطاة دائماً بقماش نفيس وعليها القربان دائماً ، وهو حوض من النحاس يحوى أشياء تمثل قوة الإله وبعض الماء من نهر تانو . وفى خلال احتفال الربيع — آبو —

يحمل الحوض على رأس كاهن أوكومفو[١] مثل قربان يورما والآلهة الأخرى .
وفى بعض المناسبات يزين بالحلى الذهبية التى وهبها الملوك المختلفون إلى تاكورا وكذلك سيوف الآلهة المذهبة ، وفيما عدا ذلك فالغرفة خالية إلا من بعض الأوانى الفخارية القديمة ذات نقوش سوداء جميلة والعروش السوداء لأسلاف الكاهن الأعظم . فلما تركنا الغرفة سألنى تانو بواز هينى أن أخرج أولا . ولكنى رأيت تانو بواز هيما عجوزاً فأشرت إليها أن تخرج قبلى . فكانت هذه المجاملة البسيطة هى التى أكسبتنى صداقتها وعونها ، فقد رفض تانو بواز هينى وشيوخه أولا أن أرى الصخرة فكانت التانبواز هيما (بعد أن تركنا المعبد) هى التى أصرت على وجوب رؤيتى لها . وتحتوى الصخرة — التى من الأفضل أن نسميها متناً من الحجر الرملى وعلى كهف مزدوج ومن الأفضل أن يوصفا معاً كمأوى . ويسمى الأول كهف أمبياو وهو اسم الوريث الظاهر والوصى الشريك أمبياو كواكى آخر ملوك بونو ، الذى استقر هناك فى طريقه إلى كوماسى أسيراً بعد الحرب مع الأشانتى . وبقايا الكؤوس الخزفية والأوانى التى شرب وأكل فيها ما زالت باقية حيث تركها فى سنة ١٧٤٠ عند أقدام صخرة كبيرة ، وإلى هذا الكهف يحمل قربان تاكورا المقدس فى يوم ميلاد الإله وخلال احتفال الربيع .

وفى النهاية البعيدة إلى يمين الكهف يوجد مرتفع ضيق كالشرفة يتسلقه الإنسان حيث يوجد عقد من البناء يقود إلى الكهف الثانى والممر منخفض فى بعض الأماكن حتى ليزحف الإنسان على بطنه ليمر فيه . وقد صنعت ذلك وأمامى الشيوخ الذين قدموا مع رئيس الكهنة . وقد انتظرت الملكة الأم تانو بوازهيما عودتى من كهف أمبياو .

---

(١) اسم أوكومفو يطلق مع كاهن قادر على أن يغيب عن وعيه ، والتانو بواز هينى رغم كونه الكاهن الأعظم للإله لم يكن قادراً على ذلك ، فكان أوكومفو يأخذ مكانه فى الطقوس .

ويسمى الكهف الثانى اهنفى Ahenfie ومعناها بيت الملك أو القصر ، لأن ملك الإشانتى أوزاى بونسو بنين ، عسكر ليلة فى هذا الكهف عندما قدم عند اندلاع الحرب بين أشانتى وجيامان فى سنة ١٨١٨ ليعرف جواب تاكورا عن حملته المقبلة . وهناك أيضاً لاحظ تزوير الرصاصة الذهبية السحرية التى قطعت من الصخرة فى حضرته . وهناك قصة تقول إنها هى التى وجدت مدفونة فى جثة أدنكرا Adinkra ملك جيامان المهزوم .

وأمام اهنفى (الكهف) يوجد حائط مرتفع من الصخر قائم كبرج ارتفاعه ستون قدماً ويسمى (مكان الطعام لكل آلهة الأشانتى) لأنهم يعتقدون أن الآلهة حين يقدمون لزيارة تاكورا يجدون طعامهم على قمة الصخرة ، وبين هذه الصخرة وكهف اهنفى امتداد من الأرض المكشوفة محاط بحائط منخفض من الحجر . ومن هنا يشاهد الإنسان منظراً طبيعياً جميلاً جداً . وإلى أقصى ما ترى العين تمتد الغابة المدارية . وفى مكان ما من هذه الكتلة الخضراء توجد بحيرة بوزومتوى Bosomtwe الجافة وهى لا تمتلىء — كغيرها من بحيرات أفريقيا — إلا حين تسقط الأمطار الغزيرة .

وعدنا إلى كهف أمبياو ولم يكن ذلك زحفاً على بطوننا كما ذهبنا إليه بل سائرين فى طريق آخر . وقد ظن الشيوخ أنى قد آنف من الزحف على بطنى فى الأرض المملوءة بالنحل والحشرات الأخرى . فأعود ولكنهم أخطأوا واستقبلتنى تانو بواس هيما بحرارة وقالت حين رأت ملابسى القذرة . انظروا ماذا فعلتم بهذه الطفلة المسكينة . فأجاب أحد الشيوخ غاضباً إنها ليست طفلة ولكنها كبيرة مثل راتارى .

وفى زيارتى الثانية لتانو بواس فى سنة ١٩٤٦ لم يسمح لى بأن أرى الكهف ثانية . وقبل ذلك بقليل كان الحاكم العام لساحل الذهب ومعه كبير مأمورى ملكة

الأشانتى قد قدما خصيصاً لرؤيته حين سمعا منى عنه . ولـكنهم لم يسمحوا لهما برؤيته
لأنه مكان مقدس وليس لمجرد الاستطلاع . ولا أستطيع أن أحكم إذا كان هناك أجنبى
آخر غيرى وراتارى قد سمح له بزيارة الصخرة .

وعلى كل حال سمح لى بمقابلته فى سنة ١٩٤٦ لأكتب تاريخ تانوبواس وحدثت
هذه المقابلة فى منزل الملكة الأم . وكان هناك اجتماع ضم عشرة من الناس بينهم
رئيس الـكهنة والتانوبواس هيما وبعض الشيوخ منهم كوفى أنتوبام الذى عمل مترجماً
لى.وكان هناك شيئان طلبت عنهما بعد الاستفسارات :أحدهما، الظروف التى أدت إلى
هجرة الناس لتانوبواس فى نهاية القرن السابع عشر والثانى،السبب الذى من أجله
ترك أسلاف التانوبواس هينى فى سنة ١٩٣٥ دولة تـكيمان فى الوقت الذى تأسس فيه
اتحاد ممالك الأشانتى .

لم أجد جواباً على السؤال الأول . ولـكنى استطعت أن أستخلص بعض النتائج
وهى أن تاكورا إله الصخرة كان من مادة نارية لأنه سرعان ما أصبح موضع
الاحترام من الملوك والملـكات الأم فى بونو فأصبح إله الدولة . ولـكن بعد حكم
تاكورا الـكاهنة العظمى الرابعة حدث شىء ما ، وفقد الإله قوته وحل به الخزى .
وهجر شعب تانوبواس الأرض ولـكنهم عادوا بعد مائة وخمسين سنة بعد الحرب التى
دارت بين الأشانتى وجونجا فى سنة ١٨١٠ لأن تاكورا كانت كأخت قد طلبت ذلك
فأعيد بناء تانوبواس وفرح الناس غاية الفرح بعودتهم . وفى المساء رفضت أفوا
أماى نيامى Afua Amae Nyame كاهنة تاكورا المـكث فى المـكان ، بسبب
الـكلاب الوحشية،وتركت الإله إلى مكان قريب هو توبودوم وقتلها تاكورا فى نفس
الليلة لجريمتها ، وخلفها ابنها لا ابنتها لأن تاكورا أوضح لشعبه أنه قد ضاق
بالـكاهنات إذ يعود إليهن سبب سقوط تاكورا حوالى سنة ١٦٦٠ .

وفى أقل من عشر سنين بعد إعادة تانو بواس قدم أشانتى هينى أوزاى بونسو
بانين Osei Bonsu Panyin ليرغم جميع كهنة الآلهة القوية على أن يصحبوه ومعهم
قرابين آلهتهم فى حملته على أدنكرا ملك جيامان ولم يك رؤساء الـكهنة متحمسين
لهذا الأمر ، ما دام الأشانتى فى ذلك الوقت كانوا ظالمين لتـكيمان . ولـكن تانو
بواس هينى وجد فى ذلك فرصته فدعا ملك الأشانتى إلى الصخرة وزور له الرصاصة
الذهبية التى ستقتل أدنـكرا.وبعد الانتصار فى الحرب كافأ أوزاى بونسوبانين تاكورا
بكل سخاء ، فأعطى تانو بواس هينى لقب تانو هينى وهى تعنى ملك جميع آلهة تانو ،
وتسلم مظلة زعيم كبير . وبذلك أصبح تاكورا الذى كان إله دولة بونو إله دولة
أشانتى . مما أعطى القوة لهم فى جميع حروبهم بما فيها الحروب التى دارت بينهم وبين
تـكيمان التى كان إلهها تاكيسى تانو العظيم .

وفى سنة ١٩٣٥ حين عاد إلى الوجود اتحاد ممالك الأشانتى ، رأى خلفاء تانو
بواس هينا كوابينا دوموه Kwebena Dwmoh فرصته لإعادة حالة إلهه، فبعد أن
عزل تـكيمان هينى ياوامبيا ولرفضه الانضمام إلى الحلف،جعلت الحـكومة تانو بواس
هينى زعيما لتـكيمان مما سبب سخط شعب تـكيمان الذين طردوه نهائياً من المدينة
وهددوه بالقتل إذا عاد . وذهب تانو بواس هينى إلى أشانتى هينى نانا برمبه الثانى
وصارحه بأنه وشعبه يرغبون فى خدمة الأشانتى من جديد فأجيز تاكورا من جديد
بسخاء من ملك الاشانتى . ولـكن الزمن تغير ولم يعد تاكورا موضع احترام
الأشانتى إذ اعتبروه مسئولا عن هزيمتهم أمام البريطانيين فى حروبهم ١٨٩٦
— ١٩٠١ .

ولم يكن من السهل الحصول على كل هذه المعلومات إذ كان على أن أرتب كثيراً
من الروايات المضطربة المتعارضة واستغرق هذا الترتيب خمس ساعات ونصف ليستقيم
الأمر.وكان جو الغرفة أشد حراً من أن يحتمل لأن جلوسنا كان تحت السقف الصاجى

الضلع مباشرة . ونفدت السجاير بعد الساعة الأولى ونام الشيوخ ما عدا تانو بواس هينى الذى ظل يقظاً يتتبع أسئلتى بشغف وانتهى الاجتماع حين تعب رئيس الكهنة .

ولم أتبين أن قواى قد أنهكت إلا عندما قمت ، إذ شعرت أن العطش كاد يقتلنى ولم أستطع أن أجد زجاجة الماء أو بعض الموز فى السيارة . كما لم أستطع أن أسألهم بعض الماء غير المغلى لخطورته . وبينما كنت واقفة فى الطريق أفكر فيما أفعل رأى كونى أفويام شجرة برتقال فى ركن الطريق . فاندفعنا إليها لنلتقط بعض ثمارها ولكنها كانت جافة كالتراب من أثر الحرارة . فهززنا الشجرة فسقطت بعض أثمارها الجيدة فمزقناها بأسناننا كوحوش مفترسة وقد شعرت بالخجل من هذا العمل ولكن لم يكن منه بد .

وعندما عدت فى سنة ١٩٤٩ إلى تانو بواس سألت تانو بواس هينى أن أرى الكهف مرة أخرى ولكنه ذكر لى أن يوم الأحد هو يوم الراحة للرب ، وسألنى أن أعود مرة أخرى . ولكى يرينى أن ليس هناك من شعور غير طيب من جانبه أهدانى أوزة . وكان قد علم ولا شك عن مساعدتى لتكيمان فى صراعها مع الأشانتى وقد فرحت بالأوزة إذ كان فيها بديل عن أكل الدجاج المستمر . ولما لم أستطع أن أعود إلى تانو بواس مرة أخرى فانى لم أر الصخرة مرة أخرى بكل أسف .

المنبع السرى لنهر تانو

ومن تانو بواس ذهبت إلى توبودوم ووقفت على الرغم عنى أمام منزل الزعيم وكان صديقى الطيب زعيم كهنة نانا كوامى فرميون الذى رقصت معه فى حفلة بوليس تكيمان لا يزال يعيش هناك فى سنة ١٩٤٦ . ولكنه أبعد عن بلدته فى سنة ١٩٤٨ وعين الزعيم الجديد نانا كوامى أسار Nana Kwamee Osare الذى كان سابقاً كوروتى هينى حاكما إداريا لتوبودوم . وكان رجلا طموحاً ذا شخصية قوية فرأى

الفرصة لكسب القوة حين عارضت تكيمان الأشانتى والحكومة فصرح بانضمامه وشعبه إلى الأشانتى. وتذكر فجأة أن أسلافه قدموا منها فأراد أن يؤمن زعامته . لم أكن واثقة من حسن استقباله لأننا أعداء ، فكل منا ينصر جبهة مضادة . وكنت أتمنى أن أتجنب هذه الزيارة إذا لم يحتمها عملى . وعلى كل حال لم يزعجنى أنه حين سمع عن وجودى عبر عن شعوره فرحب بى ، فى صداقة ظاهرة ، وأجابنى إلى طلبى فى سرعة . ودعا الشيوخ للإجابة عن أسئلتى . وحتى يصلوا تحادثنا لنعرف أين وقفنا ، وبدون أية مقدمات أعلن لى أنه يريد أن يصبح صديقاً لى . وتأسف لما حدث فى الماضى فى سنة ١٩٤٦ حين كان يخاصمنى ، ولكنه يعلم الآن كما تبين مبلغ قوتى وما أبذله لكتابة التاريخ وهو يعنى أن أستفيد من تاريخ القرى التسع كسلاح لأساعد الملك فى حربه .

ولم أتذكر أولا أين قابلته من قبل ، وأنه كان أكثر الطرفين ضرراً ، ثم تذكرت كل شىء — ففى سنة ١٩٤٦ وقف فى وجه محاولتى رؤية منبع نهر تانو الذى يعتبر مقدساً ، شأنه شأن صخرة تانو بواس التى لم يرها أحد من الأوروبيين حتى راتارى .

الآن تذكرت كل شىء . تذكرت توبودوم هينى كوامى فرميوم والملكة الأم توبودوم هما وبعض الشيوخ مثل كوفى انتوبام وأنا حين استعددنا لأن ننزل عن طريق المنحدر إلى نهر تانو فأوقفنا الزعيم الحالى طالباً أن نضحى بشاة وإلا رفض السماح لنا بزيارة المنبع . وكان ثمن الشاة آنئذ ٢٥ شلناً وهو مبلغ كان أكثر مما معى . وناقشت المسألة مع كوفى همساً فأنقذ الموقف نانا كوامى فرميون الذى كان واقفاً بجانبى بأن تظاهر بأنه غاب عن وعيه وأعلن أن روح تانو قد تقمصته وهى لا تحتاج إلى شاة واندفع إلى حافة المنحدر وأسرع بالنزول ممدود الذراعين وقد رفع وجهه إلى السماء ، وانتشرت ملابسه البيضاء حوله كالأجنحة ،

وكأنه ملاك طائر ، وقد ثبت نظرى عليه لمدة . وعندما اختفى كنت أول من تبعه
وأنا أتحسس طريقى بحذر فى الطريق الضيق غير الممهد الذى ينساب إلى أسفل ،
مخترقاً الأشجار ، حتى إذا وصلنا جميعاً إلى الماء صعدنا فى النهر الضيق نحو خمسين
أو ستين ياردة ، وقد تلاقت أعناق الأشجار التى نمت على الجانبين مكونة نفقاً .
ثم اتسع النهر فجأة وتحول إلى بركة . وهى التى كانت تسمى قديماً بالبركة الذهبية .
لأن كمية كبيرة من تبر الذهب كانت تلقى فيها لإرضاء الآلهة . وكانت البركة ضحلة
قليلة الماء لأن الوقت كان فصل الجفاف وفى وسطها بنى كوخ من حطام الفخار والطين
تسنده وتقويه بعض الحشائش . وبالقرب من الضفة اليسرى كان الماء يفور
فى فقاعات نابعة من ينابيع مختفية . وكان النبع مختفياً وراء مجموعة من جذوع الأشجار
متشابكة فى وسطها فجوة مغطاة بقطعة من القماش بيضاء كالثلج وحول البركة من
جهات ثلاث ارتفع سور عال نصف دائرى تغطيه الأشجار والنخيل .

وعندما وصلنا إلى البركة كان نانا كوامى فريميون هادئاً مرة أخرى . وتمتم
بصلاة قصيرة شرح فيها للإله سبب صحبته إياى وقدم قرباناً من النبيذ الأبيض
أعطيتها له من أجل الاحتفال، وتقمصته روح الإله تانو من جديد وعملت الملكة الأم
توبودوم هيا على تهدئته ، وأخيرا أعطته بيضة اختطفها وظل يلعب بها مدة طويلة
محاولا أن يعضها أو يبلعها وفجأة رمى برمز الحياة (البيضة) بقوة إلى البركة
فانكسرت ، وفى بطء عاد إلى نفسه ، وتمتم بصلاة أخرى وصب قربانا آخر إلى
البركة وأدار ما بقى فى الزجاجة من نبيذ علينا لينال كل واحد جرعة .

وظل واقفاً فى الماء وهو يشرح لى أن النبع كان مختبئا وراء الستار . وعندما
سألته عن الكوم غاب عن وعيه مرة أخرى ، مما جعلنى أترك هذا السؤال . ولأجل
أن تهدئه توبودوم هيا قادته خلال الباب إلى المنبع . وبينما كنا ننتظر ونحن وقوف
وماء البركة يصل إلى ركبتنا عاد يقول فى هدوء إنى أستطيع أن أرى المنبع ، فسرنا

خلال الفجوة التى بين الأشجار بينما كان بعضهم يمسك بقطعة القماش البيضاء .
وصعدنا مسافة قصيرة على الحافة فى حذر متتبعين مجرى الماء وأخيراً وصلنا إلى النقطة
التى يتفجر منها الماء من بين الصخور . كان هناك حوض ظاهر وهو الذى أخذ مكانه
الحوض الذهبى الذى وهبه باتو هينى أنانا أمياو كورومبى Amoyaey Kurempe
(١٦١٨ — ٣٣) إلى الإله تانو . والتقطت بيدى بعض الرذاذ الأول من الماء بينما
تقدم الآخرون يتقدمهم الشيوخ يأخذون بأيديهم بعض الماء المقدس ليشربوه .
أو يبللون وجوههم به ، وجعلت توبودوم هيا تخلع ملابسها العلوية لتبلل جسمها
فتكسب قوة وقداسة ، ثم عدنا فى بطء ، ووقفنا وراء البركة لحظة فى خليج
صغير حيث يجتمع الكهنة والكاهنات كل عام يتطهرون ، ويطهرون آلهة تانو .
وفى هذا المكان كما فى البركة يفور الماء من ينابيع مختفية . وعندما تركنا الخليج
نظرت إلى المنبع المحاط بالحافة تتبع كوامى فريميون نظراتى . وأخبرنى أنه فى الوقت
الذى تثبت فيه أنياب الفيل الهلالية الشكل المغطاة بالذهب التى تملكها مملكة بونو
إلى الصخور التى فوق المنبع فتانو الذى يسميه أهل توبودوم توام يودو Twump
Uduo هو إلى القمر المزدوج الجنس والهلال رمزه الخاص .

لم يكن حسناً أن أسأل زعيم توبودوم الجديد أن يدعنى أرى المنبع ثانية لأنه
لم يكن كاهن تانو . ومنذ أن تسلم منصبه لم تؤد طقوس العبادة قط . أما الشاة التى
طلبها لأجل تانو فى سنة ١٩٤٦ فقد حصل عليها بعد ذلك . وعندما لاحق سوء الحظ
توبودوم أوقع اللوم على نانا كوامى فريميون لأنه أرتكب جريمة حين امتنع عن
التضحية بالشاة يوم أن أخذنى إلى المنبع ، وتأخر عن ذلك بضعة أشهر . وقد دفع
نانا كوامى فريميون ثمنها كما أخبرنى بعد ذلك فى خطاب له وعندما اجتمع الشيوخ
ذهبنا إلى الفناء بينما كان الزعيم الجديد جالساً على كرسى فوق المنصة يانو المرتفع .
وأعطيت أنا كرسياً وسط الشيوخ ، وبعد أن حييتهم أعطيت زجاجى بيرة وطلب

منى الشيوخ أن أشرب واحدة ، فوافقتهم إذ كنت عطشى . وحين تبينت بعد ذلك أن القربان الذى لا بد أن يقدم معها قد ألغى سألتهم أن يعطونى واحدة ، فدعا الزعيم المتكلم بلسانه وبدلا من أن يتمم بصلاة، فإنه ارتجل حديثاً طويلاً باركنى فيه أكثر من مرة متمنياً لى حياة طويلة ، وأن أتغلب على أعدائى .

وعندما وقف خلفى شيخان تبينت فجأة أنى ارتكبت خطأ عندما سألت فى بلد غير صديق ، بركة وهبة قبل أن أشرب ، فهذا عمل تجانبه الكياسة ، ولا بد أن المتكلم باسم الزعيم كان شجاعاً حين أظهر بصراحة أنه فى صفى أو بمعنى أصح فى صف نانا كوامى فريمبون وتكيمان وإلا لما طلب موت أعدائى . ولكن لم تهتز عضلة واحدة فى وجه الزعيم على الرغم من أنه كان يجب أن يكون حذراً فى هذا الموقف .

وعندما رفعت القربان سألني الزعيم بلطف عن سبب مجيئى إلى توبودوم فشرحت له أنى أردت نص أغنية معينة كان قد قالها كاهن أباسو Apaso شقيق رئيسة الكاهنات فى تاكيوا Takiyiwaa التى هى أخت أو ابنة أفوا أنكوما الذى أسس عبادة تاكورا عند الصخرة . وقيل إن تاكيوا هى التى كشفت منبع نهر تانو كما قيل إن أخاها كان أول كاهن يحمل قربانا لتانو . وهناك بعض روايات عن التاريخ المبكر لتانو بواس وتوبودوم وقد ظننت أن الأغنية قد توضحها فأرسل الزعيم للتو وطلب المرأة التى لها وحدها الحق فى أن تغنى الأغنية فى احتفال آبو فى توبودوم . ولكى تغنيها يجب أن تكون سليلة لتاكيوا ، وكم سررت حين قدمت . ولكنها رفضت أن تغنيها فى الظروف الحاضرة إذ يجب عليها أن تصوم أولا كما يجب عليها ألا تجيب الآن عن أسئلتى . واحتفال الربيع سيبدأ بعد عشرة أيام . وحينئذ يسرها أن تخبرنى بما تعرفه من الأساطير القديمة كما تغني الأغنية

خصيصاً لى ، حتى أستطيع أن أكتبها ، لم يكن بد من أن أقبل عرضها مشفوعاً بالشكر . لا سيما وقد دعانى الزعيم إلى احتفال آبو . فلسبب ما كان سرور الزعيم حين علم أنى راغبة فى أن أشترك فى الاحتفال كما أعرب عن رغبته فى أن أشترك فى اللعب الذى يحتفل ببعث الإله وأن أرقص أيضاً ، وعندما أبديت دهشتى أضاف قائلا إن كل واحد يعرف أنك ترقصين برشاقة وسوف أكون سعيداً أن أراك ترقصين .

وعند عودتى إلى تكيمان ذهبت لأرى النانا وأخبرته عن زيارتى لتانو بواس وتوبودوم وعن الدعوة التى تلقيتها من توبودوم هينى الجديد . كما أخبرت النانا أننى صممت على ألا أذهب إذا كان يعتقد أن ذهابى خطأ من الوجهة السياسية ولكنه رفض قولى وقال فى صوت متعب كلنا واحد ، شعب واحد ، رغم الخلافات . وأسفت أنى لم أر الزعيم المغتصب مرة أخرى. وبعد بضعة أسابيع مات نانا كوامى أسار . فقد شكا فجأة من حلقه ، وعولج بضعة أيام فى مستشفى سنيانى ، ومات بعد عودته إلى توبودوم، وقال الناس إن تانو قتله .

حادثة سياسية :

كان الملك قلقاً يريد أن يرانى مرة أخرى فأرسل فى طلبى فقد بلغته أخبار عن غضب أشانتى هينى على مسألة تانوسو . المعركة الكبرى التى عرفها عن طريق جواسيسه أو من تقارير مبالغ فيها نشرتها الصحف .

وقد يكون متوقعاً أن يرد أشانتى هينى الضربة ، ولكن من المستحيل أن تتكهن بأية خطوة تستطيع الحكومة أن تتخذها. وقد اعتقد النانا أنه قد يبعد مرة أخرى لمدة ما فى أكرا ، أو أى مكان آخر أبعد من ذلك ، أو قد يعزل ، وحينئذ — كما حدث فى توبودوم — يختار زعيم آخر أقرب إلى قلب أشانتى هينى والحكومة ليخلفه . وعلى كل حال ظن أنه من الأفضل أن أكون على علم بكل شىء عن العشيرة

الملكية وملوكها العشرة والتى منها تسلسل الأمراء والأميرات فقط عن نانا أبريفى NanaAprefi وكانت أميرة عاشت حوالى سنة ١٨٠٠ ولها الحق فى العرش وأستطيع حينئذ أن أعارض الحكومة فى اختيار المرشح إذا كنت أرى من الصواب أن أفعل ذلك .

ثم أملانى بعد ذلك تاريخاً طويلا للمرشحين المختلفين للعرش ، كما ذكر لى السبب الذى من أجله حيل بينهم وبين الوراثة ، كما أشار إلى بعض الأمراء من ذوى الأطماع الذين قد يستفيدون من هذا الموقف . وحين انتهى قال : أنت الآن تعرفين كل شىء . أترك أمر الوراثة بين يديك فى حالة ما إذا أبعدتنى الحكومة إلى مكان بعيد وأنا لا أملك قوة ما .

وأعرب النانا بعد ذلك عن مقدار قلقه إذا ماتت الصغيرة إيفا ، فقلت له إنى لا أرى داعياً لهذا القلق ما دامت الصغيرة قوية وفى صحة جيدة ، ولكنه هز رأسه ودعا ابنته الكبرى التى تبلغ الآن التاسعة من عمرها . والتى ولدت قبل أن ينصب ملكا . وظهرت الطفلة بعد دقائق ووقفت أمامه : كانت جميلة خجولة حين تكلم معها فى سرعة واستدار لى فجأة وقال إنها ابنتك أيضاً يمكنك أن تأخذيها وحينئذ أطلق عليها هى الأخرى اسم إيفا . ظننت أن الوقت غير مناسب ليعطينى بديلا فى الوقت الذى لا تزال فيه إيفا الصغيرة حية ، ولكن لما كان من الصعب أن أضع هذا الشعور فى كلمات ، فإني قبلتها شاكرة لأن الطفلة كانت ظريفة . ووجهت إليه الكلام قائلة حينئذ سيصبح هناك إيفتان وسيحدث عن ذلك اضطراب . ولفت نظره إلى اسمى الآخر (ليونى) واقترحت أن يكون ذلك اسمها تميزاً لها عن إيفا الصغيرة . ولكن اسم ليونى كان صعب التذكر . ولذا سألنى النانا عن معناه فأجبته أن معناها جياتابا أو الشبل الصغير ، فأرضاه الاسم وعلق على ذلك بقوله إنه اسم ملكى . فبين الآ كان

يرمز الأسد إلى الملك ، وعرش النانا يزينه أسدان رابضان . ولم تقل الصغيرة أما سيوا Amma sewaa شيئاً ، بل نظرت إلى بعينيها اللتين تشبهان عينى الغزال . وظلت واقفة أمام والدها الذى ظل يخاطبنى قائلا : إنه لايرغب فى أن تكون الطفلة مرهقة لى أو عبئا على ولذا سيدفع كل قرش لتعليمها . إنها سوف تلحق بى فى انجلترا لتساعدنى فى عملى . أما فى الوقت الحاضر فإنها ملتحقة بمدرسة فى تكيمان ودعوت الطفلة جياتابا إلى وسررت منها ولكنها كانت خجولة حتى أنها لم تنظر إلى . وبعد يومين قابلتنى فى الشارع فأسرعت إلى السيارة تحيينى وابتسمت لى . لقد أصبحنا صديقتين .

وكان هناك مجلس منعقدا بعد الظهر . وطلب منى النانا أن أشترك فيه . ولكنه تأجل إلى اليوم التالى لقدوم زوار غير منتظرين . إلا أن النانا الذى ظن أنه من الضرورى لى أن أقابلهم أرسل فى طلبى ، ولدهشتى قادونى إلى المكتب لا إلى غرفة الاستقبال ، ولم يخبرنى أحد أن الزوار قد قدموا سراً ، وأن المكتب كان أفضل مكان لتجنب حدوث كلام فى المدينة . وقدمني النانا إلى رجلين قدرت أنهما فى الثلاثين ، وكانا رسولين للدكتور نكروما الذى كان فى ذلك الوقت يصارع حكومة ساحل الذهب من أجل الاستقلال العاجل . فتقدم النانا ليعطينى فكرة عن محادثته معهما ، ونقل الكلام إلى أفوريج . ودهش الرجلان اللذان كانا من أعداء البريطانيين بل من أعداء البيض عامة . فإنهما لم يريدا أن يجعلانى أنا الأوروبية أعرف سر زيارتهما وكأنما قد أخذا حين أخبرهم النانا عن مكانتى فى تكيمان . لقد قدما ليسألا معونة سياسية لحزب الدكتور نكروما ، الذى كان لا يزال وليداً ، مقابل وعد من الدكتور نكروما أن يساعد تكيمان فى صراعها لاستعادة القرى التسع . ثم ظهرت مسألة الأموال التى يحتاجها الحزب فأخبرنى النانا عن مقدار اشتراكه . وأخيراً جلست مع الرجلين وأصغرهما أصبح بعد الاستقلال عضواً فى البرلمان ثم سفيراً ، بينما شغل الآخر سلسلة مناصب عالية جعلت اسمه مشهوراً فى العالم .

وتركنا النانا حين بدأنا نتكلم بسرعة بالإنجليزية ، وتحول حديثنا إلى مستقبل ساحل الذهب ، كما تناقشنا فى أنه من المستحسن وضع حد لفوضى المستشفيات ، وكنت على وشك أن أقول عن فوضى البوليس الذى كان ينهب نساء السوق أموالهن حين سمعت أصواتاً عالية من الخارج ، واندفع إلى الحجرة أحد رجال البوليس باحثاً عن النانا ، وأخبرنا أن رجلا أبيض من رجال البوليس ومعه ثلاثة كونستبلات قد قدموا إلى تكيمان للقبض على النانا ، ولكن أحد رجال البوليس الوطنى دخل يقول إن هناك خطأ ، إذ كان رجل البوليس الأبيض فى طريقه إلى ونكى فشاهد رجل المرور يؤدى واجبه عند مفترق الطرق ، فوقف يسأله عما إذا كان هنا أحد من ذوى المناصب الكبيرة وتكأكأ الناس حول السيارة ، لأنهم اعتقدوا أن رجل البوليس قد قدم ليقبض على النانا ، إذ هم لم ينسوا ليلة فبراير حين قبض على النانا وخطف وأخفى لمدة أسبوع . وحرصت الحكومة حينئذ على أن تخفى عنهم أن النانا سجين ولم يكن سوء الفهم هذا ليحدث إذا لم يكن لدى (الكوربورال) كوزى فكرة أن يقف كرجل مرور ليحيى الزائرين الأجنبيين ، فأعطاه ذلك فرصة أن يخبر كل إنسان عن وصول رجلى نكروما ، إنه من الصعب حفظ السر فى تكيمان .

وانتشرت إشاعة القبض على النانا ، كالنار ، وتجمع كثيرون حول سيارة ضابط البوليس ، ولم يكن هناك من يفهمهم أن ذلك ليس صحيحاً ؛ فذهب كثيرون ليحضروا بنادقهم أو العصى أو سكاكين ليدافعوا بها عن ملكهم ، وعندما وقفت أمام باب المكتب ومعى مبعوثا الدكتور نكروما وأوفوريج لنرى ماحدث ، ساء الموقف وهدد بأن يصبح أكثر سوءا ، إذ أطلقت الطلقات النارية فى الهواء ، وأخرجت طبول الحرب القديمة وقرعت فى عنف . وبدا كأن سفك الدماء قريب ، وخاف الضيفان المتعصبان بعنف ضد البيض ومعهم أوفوريج من احتمال قتل رجل البوليس الأبيض . وقال أحدهما فى أسف عميق : لم يعد هناك ثقة فى الحكومة فى الوقت الحاضر . وكان وقع هذه الكلمة غريبا بين شفتى رجل كان يحارب الحكومة بكل سلاح ، بينما علق الآخر

بقوله إنه يحتمل أن يكون هناك خونة بين الناس يثيرونهم . وربما كان هذا الرجل يفكر آنذاك فى سياسة عدم العنف التى يريدها الدكتور نكروما ، ولذا كان كلاهما حريصاً على تحذير الناس من أن يعتقل ملكهم ثانية، وحينئذ يتركون بلاقائد . وبعد دقائق لم يستطع مبعوثا نكروما أن يظلا بعيدين أكثر من ذلك فاندفعا إلى مسرح الحادث لمنع الكارثة أن تقع، يتبعهما أوفوريج ولم يكن أقل منهما انزعاجا .

وبقيت فى الخلف وحدى، أفكر فى أنه يجدر بى أن أكون حاضرة لأهب لنجدة الأوربى الآخر ، ولكنى كنت مشتتة الذهن. وكل ما فكرت فيه فى أن قتيلا واحداً سوف يضاف إلى الملايين . كما شعرت أن تدخلى لن يكون ذا أثر مادام الرجلان يتكلمان بكل طلاقة، فأشعلت سيجارة ونظرت إلى كوم النمل ، فلا شك فى أن مبعوثى الدكتور نكروما كانا غريبين عن المكان ومخاطرين بحياتهما من أجل إنقاذ هذا العدو المكروه ، لأنه لم يكن هناك من شك فى أن الناس يشعرون بأنهم يدافعون عن أنفسهم والموقف يحتاج إلى رجل يقبض على الرجل وينتهى الموقف . وتنبهت للخطر وتبينت أن النانا هو الرجل الوحيد الذى يملك الفرصة لينجح مع شعبه، وكنت على وشك أن أتجه إلى القصر لأبحث عنه حين رأيته يخرج متجها فى خطوات واسعة نحو الجمع ، واختفى وسطهم . ومر الوقت، وأشعلت سيجارة أخرى . وظللت أنظر إلى ساعتى ، والطلقات النارية مازالت تنطلق ، والانتظار يزعجنى ، وجعلت أفكر فيما يحدث فى الموقف السياسى ، لو قتل هذا الرجل. وبدا لي ألابد أن أكتب عن الحادث إلى كبير المفتشين فى أشانتى . كانت الساعة قد بلغت الخامسة والنصف فإذا بارحت فى السادسة فسأكون هناك فى الثامنة والنصف، ولأجل أن أحول دون معركة فيجب أن أعود مسرعة قبل أن يحتل البوليس أوفرقة أخرى تكيمان. لأن الأهالى رغم كونهم غير مسلحين ، إلا بهذه البنادق الدانمركية القديمة ، فسوف يكونون — أمام البنادق الحديثة ، فى موقف يائس يقاتلون فيه حتى الموت .

ومر الوقت . خمس دقائق ثم عشر . صعدت ونزلت . ثم ركزت اهتمامى على قارع طبل منفر وكان قد وقف أمامى عند الطرف الآخر من الميدان ، بعيداً عن الجمع ، وكان يقرع طبوله ، وكنت أعرف لغة هذا القرع. كان يقول (رد ضربة من يضربك) وكان منهمكا فى عمله ، وانضم إليه آخر ورقصا معاً ، رقصة الحرب، وفقدا شعورهما تماماً ، بينما كانت الشمس تسير نحو الغروب فى بطء .

وفجاة ترك الجمع ثلاثة رجال وأتوا نحوى وقفزوا على السلم ذى الدرجات الثلاث أمام القصر ولف كل منهم ذراعه خلف الآخر ، ورقصوا رقصة الحرب بينما اشتد قارع الطبل المنفر فى قرع طبلته عن ذى قبل .

وأخيراً ترك النانا الجمع ومعه أفوريج وأنكوما واتجها نحوى . وفى لهجة آمرة قاسية أمر الراقصين أن يتوقفوا فانصاعوا واختفوا وراء بيت الملكة الأم . وذهبت أنتظره فى المكتب ودخل بعد دقيقة وجلس دون أن يلتفت إلى، واتجه أفوريج إلى مكتبه بينما وقف أنكوما أمام النافذة ليغلقها إذ كان الظلام قد بدأ ينتشر ، وانتقلت بصرى من واحد إلى الآخر ،حين كان رجال الحاشية يغادرون، ولكنهما تجنباعينى ولم يتكلم منهما أحد . وتضايقت فثبت عينى على أفوريج الذى أخذ ينظر إلى ، ولم يلبث أن ابتسم ابتسامة ملائكية وابتسمت له وسرى الارتياح إلى نفسى . ثم استدرت إلى النانا لأقول شيئاً ، ولكنه ثبت نظره على وأزعجني أن أرى عينيه الملتهبتين ووجهه الملتهب . وفى صوت خشن قال: من المحتمل أن تكون النتائج سيئة لدولتى لو قتل الناس الرجل . كان من الصعب التماس العذر للشعب، وساد الصمت برهة ، ولكنه لم يلبث أن استطرد قائلا : إنى تعب لا أستطيع الكلام أكثر من ذلك . أرجو أن تعودى فى صباح الغد . ولكنه لم يقم، وعندما هممت بالقيام أجلسنى ثانية وبدأ يتكلم من جديد عن الحوادث المزعجة التى حدثت حين قبض عليه فى بداية العام . ورجانى أن أفهم ثورة شعبه وأن أغفر لهم تصرفاتهم، فأومأت إليه برأسى

ولكننى فكرت فيما كان يفعل ضابط البوليس الذى كان على وشك أن يقتل ؟ وماذا سيكتب الآن إلى ونكى وكوماسى ؟ وماذا ستكون نتائج هذه المسألة ؟ وعندما مددت يدى إلى النانا وتمنيت له ليلة سعيدة كان تعباً ، ووجهه مكفهراً فالأمور لا تسيرسيراً حسناً . ترى ماذا سيحدث ؟

وفى صباح اليوم التالى كان كل شىء هادئاً فى المدينة وبارحت إلى ونكى لبعض عمل لى هناك . وفى الصباح المبكر من اليوم التالى ظهر أنكوما ومعه رسالة عاجلة من النانا إذ كان قد سمع من جواسيسه فى كوماسى أن أشانتى هينى قد نجح فى أن يجعل كبير المفتشين فى أشانتى يصدر أمراً بالقبض عليه يوم الاثنين القادم . ورجانى أن أقدم بعد الظهر لحضور جلسة لمجلس الدولة فأخبرت أنكوما أنه من غير الممكن أن أعود إلى تكيمان . ولكن لما كنت سأذهب إلى أكرا خلال بضعة أيام فربما تكون فكرة حسنة إذا استطاع النانا وشيوخ الدولة أن يجهزوا وثيقة موجهة إلى الحاكم تعطينىالسلطة الكاملة لأعمل باسم تكيمان ، فى مسألة القبض عليه إذا حدث وبدون هذه الورقة فلن يسمح لى الحاكم بمقابلته ومناقشة شئون تكيمان معه .

وبعد ثلاثة أيام عدت إلى تكيمان لبضع ساعات فقط إذ كان على أن أطير إلى نيجيريا ، لأتكلم فى مؤتمر ، وكان على أن أقضى بضعة أيامفى كل من كوماسى وأكرا فدارت بيني وبين النانا محادثة استمرت ساعتين حول أفضل ما يمكن عمله فى حالة الطوارىء . لم يكن من السهل أن أودعه أوأودع شيوخ الدولةفالمستقبل بدا مظلماً بل ميئوساً منه .

الفصل الرابع

ديسمبر

مرة أخرى فى الطريق الى تكيمان :

فى الحادى عشر من ديسمبر رحلت إلى إيبادان فى نيجيريا الجنوبية مع الدكتور بوزيا Busia الذى كان رئيساً لقسم السلالات البشرية فى جامعة ساحل الذهب فى أشيموتا Achimota (عرف بعد ذلك بأنه زعيم المعارضة لحكومة نكروما فى غانة بعد سنة ١٩٥٧)[1] وكان قد وقع الاختيار علينا لنمثل حكومة ساحل الذهب فى مؤتمر غرب أفريقيا الدولى . وبعد أن ألقينا بحثينا ، عدنا إلى أشيموتا ، قبل عيد الميلاد بقليل ، ورتبت نفسى على أن أسافر إلى تكيمان فوراً . ولكن — لشىء خارج عن إمكانياتى — أصبت بالتسمم عقب العشاء الذى أقيم للمندوبين ، لأنى اقتصرت على تناول الأطعمة الوطنية، بينما مرض سانتوس بالملاريا فتأخرت سبعة أيام.

وبسبب مرض سانتوس فقدت السائق كوى الذى كان قد أعارته لى إدارة النقل فى الكلية ، إذ كان عليه أن ينقل بعض أساتذة الكلية إلى الولايات الشمالية لساحل الذهب . وكان على حينئذ أن أنتظر عودة سائق آخر هو (الكوربورال) كويتى Kweyte . ولم يسعدنى هذا الاستبدال لأنى كنت قد تعلمت معاملة كوى الذى كان

---

(١) اضطر بعد ذلك إلى الهجرة من غانة نهائياً . وما زال الرجل يعيش فى منفاه الاختيارى إلى الآن . (المترجم)

سائقاً من الدرجة الأولى . وقد علمت أن كويتى الذى نقلنى من تاكوراوى عندما
وصلت إلى ساحل الذهب لا يقارن بكوى رغم أنه كان فتى ظريفاً . لما كان كويتى
من رجال الجيش السابقين وفى نفس وحدة كوى وسائق النانا وإيرتى ، خلال
الحرب فى بورما .

وفى التاسع والعشرين كنا أخيراً على أهبة السفر وتركنا اشيموتا إلى أبام
Apam على الساحل حيث أردنا أن نقضى ليلتين كى أجعل السفر أقل إرهاقاً
لسانتوس الذى كان لا يزال ضعيفاً . ولسوء الحظ أحس كويتى بالحمى فى الليلة
الأولى فى أبام ، وعجز عن قيادة السيارة حين حان موعد الرحيل فمكثنا هناك يوماً
وليلة . ثم سافرنا إلى سولت بوند Salt pond على بعد ١٢٠ ميلا من الساحل
طلباً لمزيد من الراحة .

وكانت الاستراحة فى سولت بوند أكثر رطوبة منها فى أبام . وإن كانت كلتاهما
صحيتين يستريح فيهما الناس . فوصلنا بعد الظهر ونمنا جميعاً نوما طويلا . واسترحنا
اليومين التاليين لأن كويتى لم يكن فى حالة تسمح له بمواصلة السفر بعد الظهر .

وعاد من سفره فى الخارج وهو فى حالة من الإثارة وهو يحمل أسوأ الأنباء .
لقد أعلن إضراب عام من أجل طلب الحصول على الحكم الذاتى فوراً ، فأغلقت جميع
المتاجر والمكاتب كما أضرب سائقو سيارات النقل ، وسألنى كويتى عما إذا كان من واجبه
أن يضرب أيضاً ، كما أخبره الناس ويمتنع عن العمل مع الأوروبيين ، فأجبته بالإيجاب
إذ يجب عليه ألا يخذل مواطنيه ، هذا إلى أنه أخبرنى أنهم جميعاً مجمعون على طلب
الحكم الذاتى والاستقلال عن بريطانيا . وفكر قليلا ثم سأل : ولكن من الذى
يسوق سيارتك ياسيدتى فهززت كتفى . فصمت قليلا ، ثم أدهشنى حين اقترح على السفر
إلى كوماسى لأنها فى طريقنا . فهناك يجرى العمل أكثر من هنا .

وفكرت قليلا ورأيت من الجنون أن أرفض عرضه بعد كل ذلك فإنى كنت
أريد أن أذهب إلى تكيمان فقد يستمر الإضراب مدة طويلة . وقد تأخرت بما فيه
الكفاية ، ولكن قبل أن أوافق على الخطة أوضحت لكويتى أنه حينئذ يخرج عن
الإضراب ويسوق لأوروبى ، فى هذا الوقت المضطرب ، وهو فى ذلك كأنما يبحث
عن المتاعب ، فقد يقذف عربات الأوروبيين بالحجارة . وقد أخبرنى أن بعض
الأوروبيين قد أصيبوا ، وقد قذف سانتوس بالحجر وهو يسوق عربات الأوروبيين
وقد يرجم هو أيضاً . أما أنا فكنت مستعدة للمخاطرة ، ولكنى لا أرغب فى أن
أكون مسئولة عنه . ولكنه طرح كل شىء ، وقال فى حزم : إنه مستعد ، فرتبت
كل شىء معه ، على أن نبرح مبكرين فى صباح اليوم التالى .

وكان يوماً مشرقاً حين رحلنا ، إذ كان الضباب كضباب المداريات مع قليل
من الضوء ، والشمس واهنة . ولكن النهار حار . وكانت سولت بوند
لا تزال نائمة والناس لا يزالون قليلين ورجال المرور لم يبدءوا العمل . أسرع
كويتى بالسيارة خارج البلدة فى الطريق الخالى فاجتزنا أنا ماهو Anamahu
وقلعتها . ووصلنا مفترق الطرق الذى عنده نتجه إلى الشمال حيث الغابة .

والغابة تبدو من الطريق مظلمة فقد كنا فى فصل الجفاف . وعلا أشجارها غبار
الطريق ولم نعد نرى طيور المختلفة الألوان أو أزهارا كما آوت الوحوش التى كانت كثيرة
العدد إلى مناطق منعزلة فى الغابة . وقد كتب جوزيف ديبوى Joseph Dupuis
فى كتابه (يوميات مقيم فى الأشانتى) فى سنة ١٨٢٤ يصف الغابة وهو يسير فى
نفس الطريق الذى نسير فيه الآن يقول: إن كآبة الغابة الشديدة الكثافة قد انتقل
إلى الجو حتى لقد أصبحت المناظر الجانبية أشبه بضوء السحر،ولم تخترق أشعة الشمس
كآبتها فكأننا كنا كيت مدفونة فى أوراق الشجر،واتسع الطريق حتى ليسمح بمرور

مزيد من النور ، لأن الأشجار الطويلة القريبة من الطريق قد سقطت ، ولكن فى
مناطق كثيرة لا يزال الإنسان يرى المناظر التى رآها ديبوى ، حين أشار إلى الغابة
بأنها فخمة لأنها كثيفة وكثيرة المنعطفات . وقد زحفت بعض النباتات المتسلقة من جميع
الأنواع من شجرة إلى أخرى ومن فرع إلى آخر ، فجمعتها كلها فى حزمة واحدة . ومنذ
ثلاثة أشهر حين سافرت فى نفس الطريق مع كوى أمطرت السماء مطراً غزيراً
وتبعته عاصفة رعدية ، وغير بعيد من فومينا ، ولجنا على الطريق الذى كانت تغمره
الأمطار ، وارتفعت السيارة مرتفعاً وكادت تقف على عجلتيها الخلفيتين ، بينما كانت
الأماميتان غائرتين فى التراب الناعم ، فاحتجنا إلى المساعدة فى الوقت الذى كان فيه
الشعور ضد الأجانب بالغاً أشده . وجعلت ألوح لسائقى عربات النقل لتقف
ويساعدنى رجالها . ووقفت أول سيارة نقل مقبلة نحونا ونزل ركابها وعرفوا
ما أطلب فاتجهوا فوراً لرفع السيارة ، وكان عملا شاقاً انحدر فى خلاله المطر على ظهورهم
العارية ، ولكنهم كانوا يضحكون مسرورين . وشعروا بالفخر حين عادت السيارة
إلى وضعها الطبيعى وقبل أن يرحلوا عبروا عن عطفهم على وإن شعروا بالأسف
لاحتياجى أنا المرأة إلى السفر وحدى ، خلال العاصفة فضحكت وأعطيتهم (جرعة)
يشربونها فى المدينة التالية فقبلوها مسرورين وظلوا يلوحون لى بأيديهم حتى اختفوا .

وفى العاشرة وصلنا إلى بيكواى Bekwai ثم إلى كوماسى بعد قليل حيث
استقررت فى الاستراحة وتركت سانتوس يفك حاجياتى . ولأرى إلى أى مدى
أثر الإضراب فى المدينة خرجنا نسير خلال الشوارع ، وكويكى يسوق العربة فذهبنا
أولا إلى مكتب البريد حيث كان الجنود يحرسونه . وأردت أن أزور صديقاً سوريا
لأقف منه على أخبار المدينة ، ولكنى لم أجده فى متجره ، فى كنجزواى ، فتركت
السيارة وتجولت فى الشوارع المهجورة راجلة . وكنت على وشك أن أعود حين
اعترضنى شاب كان يراقبنى من مدة . وكان قد تبين أنى أبحث عن شىء أو شخص ما ،
فتقدم يعرض مساعدته ، فأدهشنى تصرفه ، وعندما ذكرت له أنى أريد السيد (س) ذهب

معى إلى منزله وهو يبعد بضع دقائق سيراً على الأقدام . وسألته كيف لم يخف أن يرى
معى فهناك حرب أو شبه حرب ، فأجاب إنها ليست مع النساء أو الأطفال . نحن
نحارب الحكومة فقط يا سيدتى .

كان صديقى السورى التاجر والمرابى فى المنزل ، وقد سر لرؤيتى إذ إن صداقتنا
تعود إلى سنة ١٩٤٦ عندما قصدته لشراء بعض الحلى الذهبية لأجل المتاحف المزمع
إنشاؤها فى أكرا وكوماسى : أساور وعقود وأقراط ، وصنادل وخواتم وخلاخيل
وما أشبه ، وقد اعتمدت لها حكومة ساحل الذهب خمسمائة جنيه ، ووعدته بالدفع رغم
أن الصفقة ستظل سراً . ولما رغب عن أن أنتقى الحلى بناء على اتفاق معه فإنه سلمنى
(شيكارة) أسمنت ملأها بالحلى إلى ثلاثة أرباعها دون أن يكتب بياناً بمحتوياتها ،
كما طلبت منه . وأخذت الكيس إلى مأمور البوليس الذى بدت الدهشة على وجهه
حين رأى الذهب الذى قدره أحد الناس ، فلنسمه (س) بأربعة آلاف جنيه
وكان المأمور يكره هذا ال(س) لنشاطه المريب . إنه كره طلبه كتمان الصفقة مهما
يكن من شىء فقد انتقيت أفضل القطع ذات القيمة الفنية فى مكتبه ومعى صائغ
الأشانتى هينى[١] ومن بيت(س) عاد كويكى إلى كنجزواى ثم إلى السوق ، ومن هناك
إلى (المرأة الغنية) ملكة السوق ــ ولشدة ما سررت عندما وجدتها فى بيتها وحيتنى
فى انشراح ، فجلست على أحد مقاعدها الحديثة الجميلة الصنع ، وكان أثاث الحجرة كله
أوروبى الطراز . وذكرت لها بعض تجاربى فى السوق وكيف أن النساء جردننى
مما معى ، فضحكت كطبيعتها ولم تندهش ، فجميع النساء الآن مصممات على طلب
الحكم الذاتى . وينصرن قضيته بكل حماس إلى حد أنهن رفضن أن يطبخن لأزواجهن

(١) دفعت الحكومة إلى (س) أقل من ثمن الذهب بكثير على أساس أنى لم أصرف
سوى ٤٠٠ جنيه فكان ذلك أمراً يدعو إلى الشفقة ، لأنه كان من ملكها حلى ذهبية
كثيرة كنت أود أنا شراءها . وهذه القطع معروضة الآن فى متحف كوماسى .

أو أولادهن . وهددتهم بالطرد من المنازل إذا رفضوا الاشتراك فى الإضراب، كما
أنهن رفضن أن يبعن للأوروبين شيئاً وسرعان ما عرفن الطباخين الذين يعملون
لدى الأجانب وأغلبهم نيجيريون ، وكان كل ما أخبرتنى به صحيحاً ، لأن سانتوس
عاد من السوق فى اليوم التالى صفر اليدين . فكان على أن أرسل حارس الاستراحة
لشراء ما يلزمنى .

وفى صباح اليوم التالى من وصولى ذهبت لأرى كبير المفتشين القائم بالعمل فى
أشانتى ، وتصادف أن كنت أعرفه من قبل ، وبذلت جهدى محاولة إقناعه بأن أهل
تكيمان ليسوا بثوار أو عنيدين ولكنى فشلت. ومن مكتب كبير المفتشين اتجهنا إلى
قصر الأشانتى هينى Asantihene إذ كنت أرغب فى أن أرى أوتومفور Otumfor
(جلالة) السيراوزاى أجيمان برمبة الثانى عدو النانا . فعندما وصلنا إلى نقطة المرور
الأخيرة قبل القصر . كان الطريق مقفلا والضوء يواجهنا وكان علينا أن ننتظر .
فنظرت إلى أحد الكتبة العموميين وكان جالساً وراء طاولته أمام منزل يكتب خطاباً
لشابين وقفا أمامه . فنظر إلى الرجل فابتسمت له كما تعودت أن أفعل فى تكيمان .
وكان لهذا نتيجة غير منتظرة فقد قفز الرجل إلى ناحيتى ومعه العميلان ، واتجه
نحوى وذراعاه مفتوحتان صارخاً بشىء ما ، وفجأة فتح الطريق ، وانطلقت
السيارة ، حتى إذا انعطفنا سألت السائق عما قال الرجل ، هل هى إهانات ؟ أأنا
مستعمرة ؟ أومغامرة أو شىء آخر ؟ فنفى السائق ذلك قائلاً : لا ياسيدتى . إنه قال :
كم أنت جميلة وأريد أن أحبك ، ووافق الآخران .

ولحسن حظى كان الملك موجوداً ، لقد عرف كل منا الآخر فى سنة ١٩٣٦
وكلما قدمت إلى كوماسى كنت أذهب لرؤيته ، ولما كان مشغولا فإنه سألنى أن
أعود إليه فى المساء لنتحدث دون أن يزعجنا أحد .

وعدت فى المساء كما وعدته . وكان قصره — الذى بنى على طراز الفيلات

الأوروبية — مظلماً ولكن حين قرعته فتحه لى السكرتير فوراً ، وهو المرحوم
بواتنج Boateng وكان الملك ينتظرنى فى غرفة الاستقبال وفيها علقت بضع صور
فوتوغرافية لشخصيات معروفة . وحيانى فى انشراح وقادنى إلى « كنبة » وجلس هو
إلى يمينى على كرسى كبير (فوتيل) وأخذ بواتنج مقعده مواجهاً لى ، وقدم لى بعض
الشراب ، وبدأنا حديثنا الذى تنقل بين السياسة العامة وعملى وما يجرى فى انجلترا .
وكان الملك كريماً مما أزعجنى كثيراً ، لأنى كنت من ناحيتى دائمة الدفاع عن تكيمان
ضد اعتراضاته . وأخيراً شعرت أنى لا أستطيع أن أقبل صداقته أو ضيافته فى الوقت
الذى أسعى فيه إلى فصل تسع قرى من مملكته ولذا صممت على أن أخبره بالحق .
وشرحت له كيف أنى على وشك أن (أخونه) فأصغى إلى بانتباه . ولما فرغت من
كلامى قال فى حماس: نحن كلنا شعب واحد . وهو نفس التعبير الذى استعمله النانا
حين تكلمت معه عن المغتصب فى توبودوم . وابتسم نانا برمبه حين شاهد يأسى .
فلا بد أنه عرف شيئاً عن نشاطى ولكنه عول على تجاهله . وفجأة سألنى قائلا :
سمعت أن تكيمان هينى قد رفع التماساً إلى ملك انجلترا من أجل استرداد القرى .
هل هذا حقيق ؟ . فنظرت إليه فى دهشة لأنى أعرف أن لديه نسخة من هذا
الالتماس وهذه كانت نسختى،وقد سألنى الدكتور دنكوا أن أعطيه إياها ليرفعها إلى
الأشانتى هينى ليعطيه فرصة دراستها .

وتشعب الحديث بيننا ، وتركته فى نحو العاشرة وقبلت دعوته أن أعود إلى
زيارته عند عودتى إلى كوماسى ، وعلى كل حال لن يحدث ذلك مع الأسف الشديد ،
فالنانا برمبه شخصية جذابة مرحة ، وأنا أقدر صداقته . لكنى هدمتها باعتراف
فالإفريقى كان لا شك أقل جفوة وأقل مما كنت ، وربما كان هدفه أن يحتفظ
بالعلاقات القديمة أطول مدة ممكنة .

وفى اليوم التالى ذهبت لزيارة الملكة الأم فى أشانتى (أشانتى هيما نانا اماسيوا

نياكو (Asantchema Nanna Amae Seiwae Nyaku) ودخلت غرفة الاستقبال وقد فرشت على الطراز الأوروبى . وانتظرت دقيقة حين ظهرت وتبينتها بصعوبة لأنها تغيرت كثيراً إذ لم تعد كما كانت الأميرة البسيطة المظهر السعيدة من أجل اختيارها ملكة أم والكثيرة الضحك بل أصبحت أمرأة شاعرة بقوتها وسلطتها ، وقد سرت برؤيتى مرة أخرى ، وسألت عما إذا كنت لا أزال أعيش عيشتى غير الطبيعية وحين أجبتها أنى ما زلت كذلك حذرتنى ، فأنا امرأة ويجب أن يحيط بى زوج وأولاد ينتفعون بى ، وما زالت تعتقد أن الحكومة قد قست على حين دفعتنى إلى العمل فى منصب يحرمنى المنزل ، وأسوأ من ذلك أنها دفعتنى إلى السفر دائماً بصحبة رجال .

وقد عرفت بصفتها الملكة الأم من الحالات التى أتت أمام محكمتها مبلغ خبث الرجال ، فأكدت لها أنى كنت خلال عملى ولا أزال فى أيد أمينة وأن مترجمى وسائقى وطباخى لم يفكروا فى غير سلامتى وراحتى ، وأنى أستطيع أن أعتمد عليهم فى ذلك ، هذا إلى أنى وجدت رجال شعبها مؤدبين شغوفين بحمايتى بكل الوسائل تواقين إلى بعث السرور فى نفسى . وهزت الملكة الأم رأسها غير مصدقة ثم سألتنى عما إذا كنت لم أشعر بالوحدة بين الرجال، وليس معى امرأة لتعزينى إذا حزنت حتى لأستطيع أن أبكى على كتفها إذا انتابنى اليأس . فمنذ ثلاث سنوات عندما سألتنى نفس السؤال ، كانت مملوءة بالإشفاق على حتى لقد دمعت عيناها ، ولكنها أصبحت تلاحظ أن الأوروبيين غلاظ وغير إنسانيين وقد يئست من فهمهم ، ولما لم أكن عجلة للرجوع إلى تكيمان ما دام الإضراب مستمراً وتكيمان هادئة ، فقد صممت على أن أمكث ثلاثة أيام أو أربعة أخرى لأزور فيها أصدقائى من الأشانتى من ناحية ، ولألتقط بعض المعلومات التى احتاج إليها فى عملى من ناحية أخرى ، وقضيت اليوم الأخير فى شراء مئونتى وصندوقاً من المشروبات : الروم والنبيذ الهولاندى

لأجل القرابين ، والشيرى والفرموت لنفسى ، والنبيذ الجزائرى الأحمر لطعامى ، من أجل أن أتجنب الماء المغلى الذى لا طعم له .

وكنت وكويتى فى روح معنوية عالية ، وللمرة الأولى منذ عودتى من نيجيريا شعرت حقيقة بالصحة . ولكن مما يؤسف أنه كان شعوراً كاذباً وهو عادة شعور يسبق حمى الملاريا . وبينما كنت أشترى بعض الحاجيات من دكان بقال ، شعرت بالإغماء، ولم يكن لدى من فرصة إلا لأرى زكية من البطاطس بجوارى ، ووقعت فوقها ، وفى لحظة اسود كل شىء فى نظرى وأسرع إلى الإفريقيون من وراء (البنك) ليروا ما حدث لى ، ولكنى وقفت وأخذت طريقى بسرعة إلى مقعد وأفقت بعد برهة، وأمرت كويتى الذى شعر بكثير من الثقة فيه أن يعود بى مسرعاً ، إلى الاستراحة . وهناك رقدت عشرة أيام وإذا ما انتهى الإضراب كنت فى طريقى إلى تكيمان .



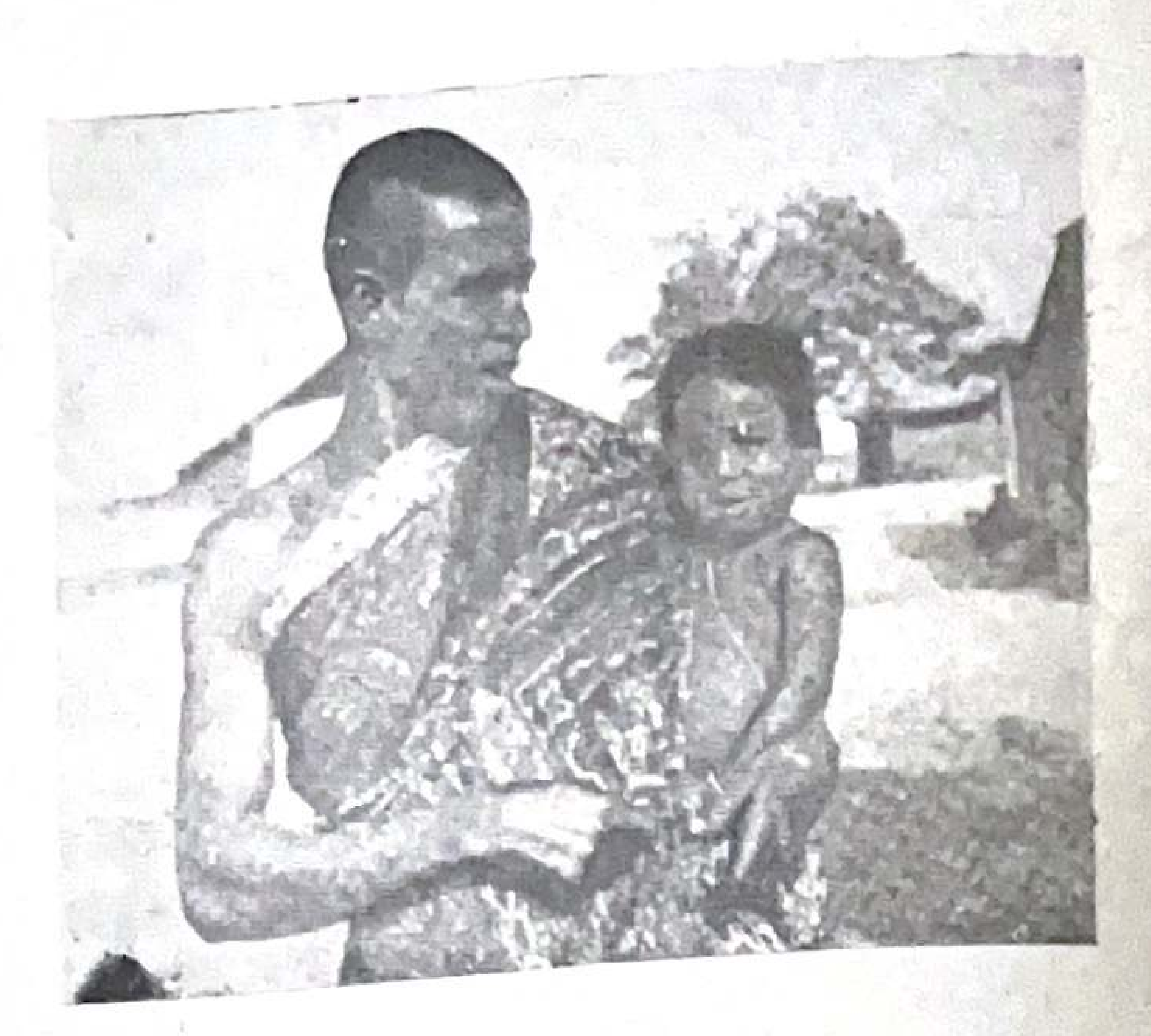
(١) ؛ انا أكومفى إمبياو الثالث ملك بونو تـكيمان



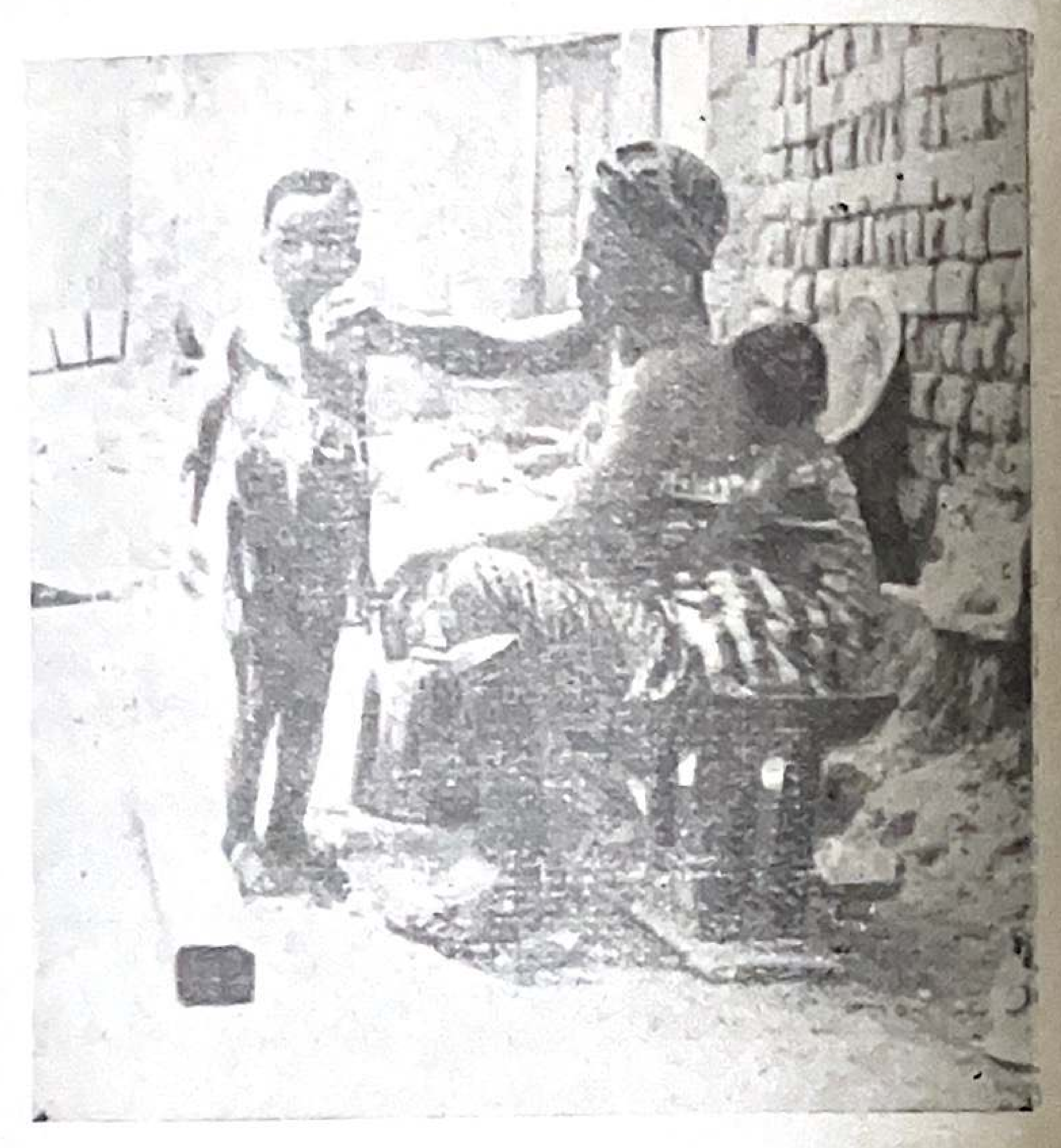
(٢) طريق ونكى وفى وسطه أشارة المرور فى تسكيمان



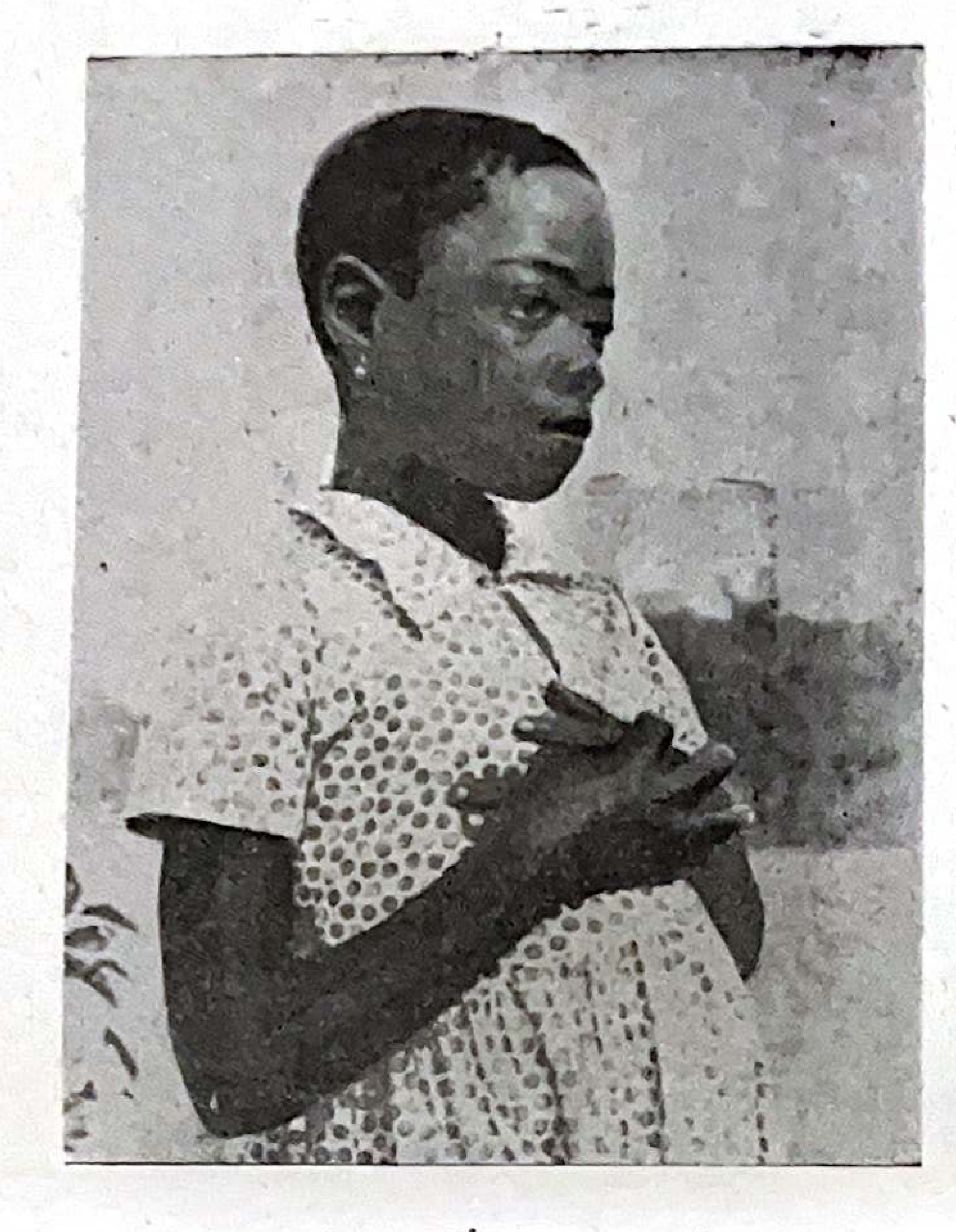
(٣) المنازل على الطراز الوطنى فى تسكيمان



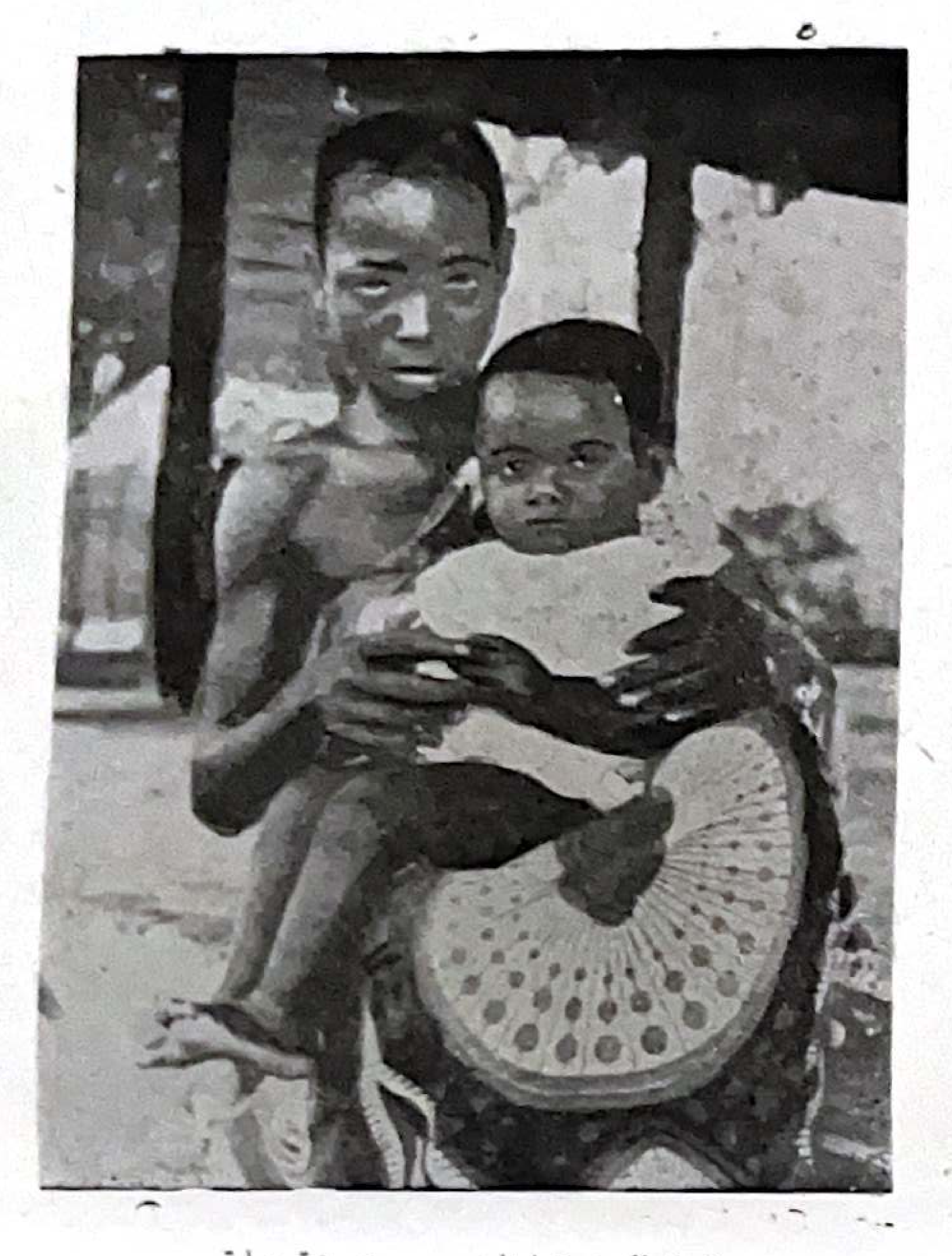
(٤) زوج الملكة الأم نانا كودجو كورى والطفلة أفوا على ذراعه



(٥) الملكة الأم نانا أفوا أبريفى تغسل طفلها كوبينا



(٦) أماسيوا ابنة نانا أكومفي إمبياو



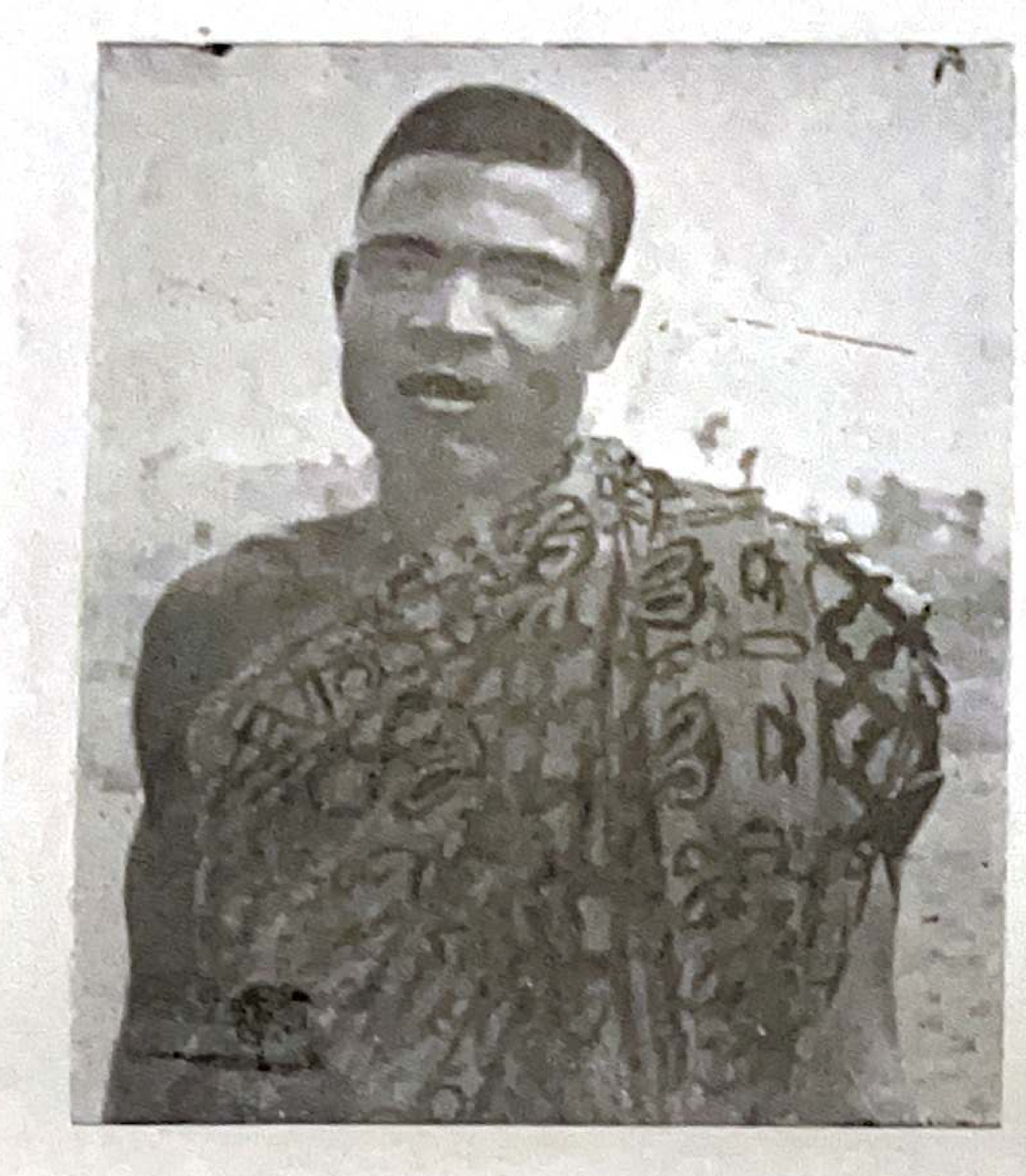
(٧) الصغيرة إيفا فى حجر ممرضة شابة



(٨) نانا ياوملسا ملك تانوسو



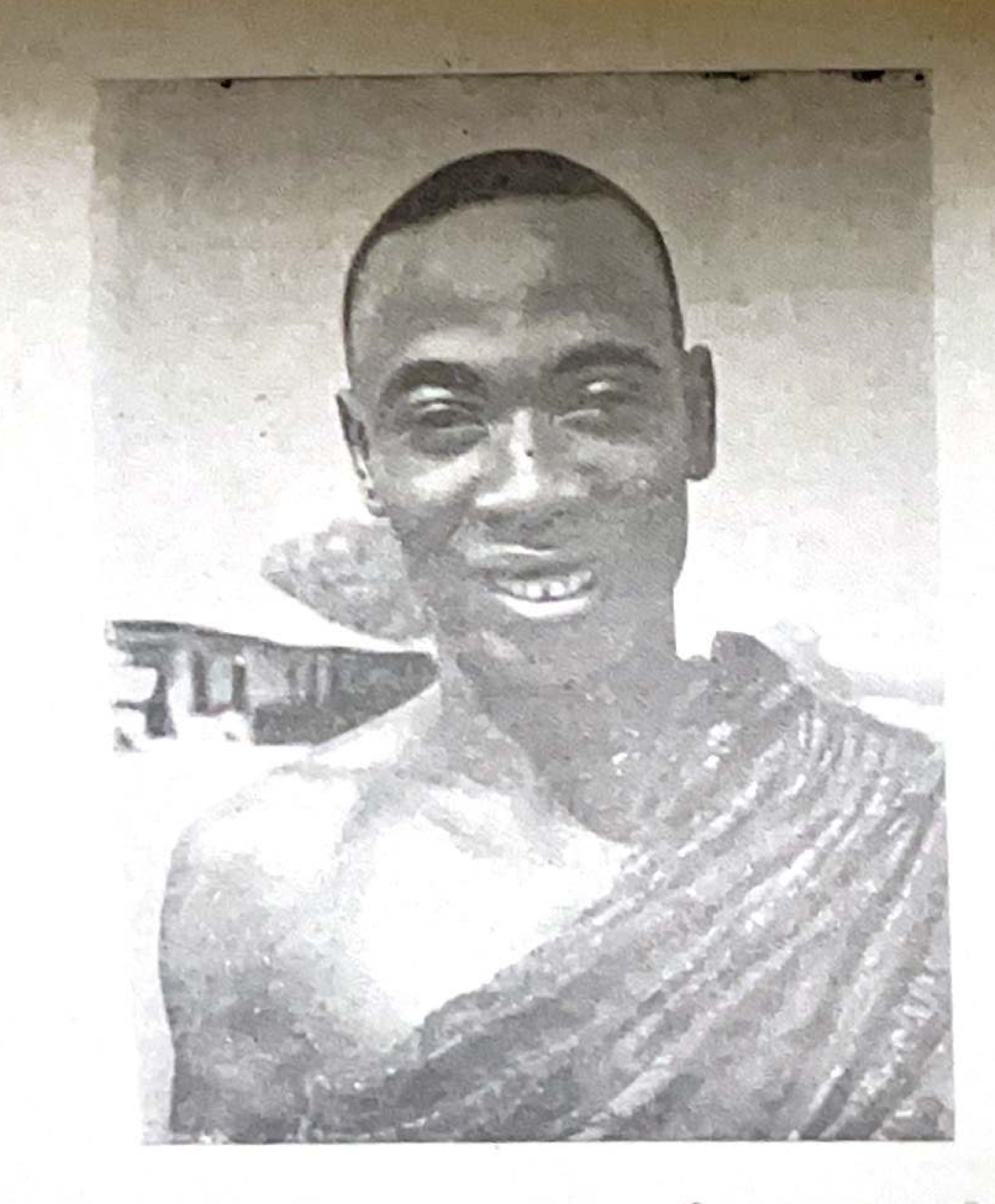
(٩) الجاويش كوسى واقف أمام القصر



(١٠) د.ك. أوسو حفيد عرش تكيمان



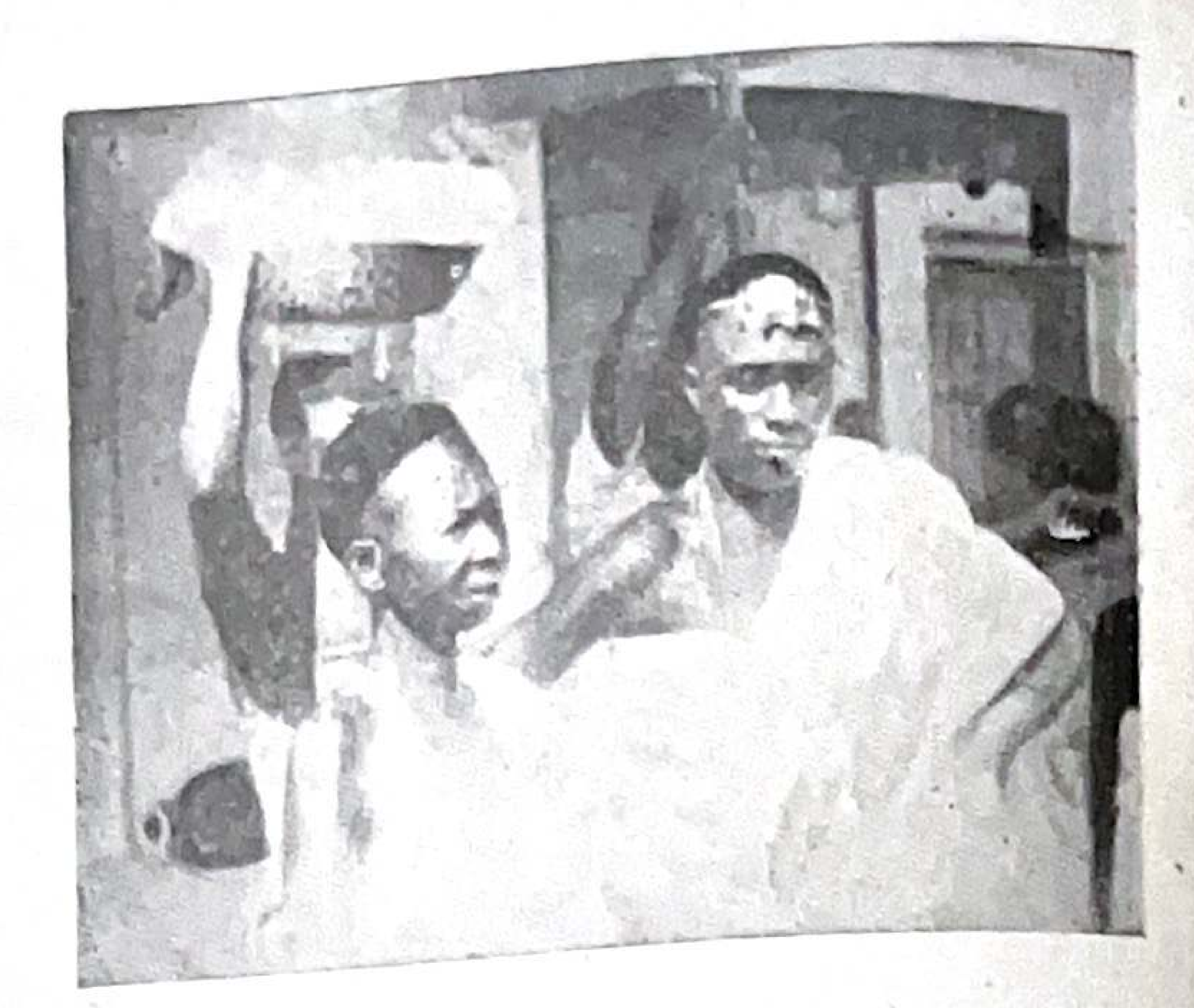
(١١) ج. ك. انكوما مفتش البوليس الوطنى



(١٢) نانا كواى فريمبون ملك توبودوم



(١٣) نانا كواى جيامفى ملك أوفومان

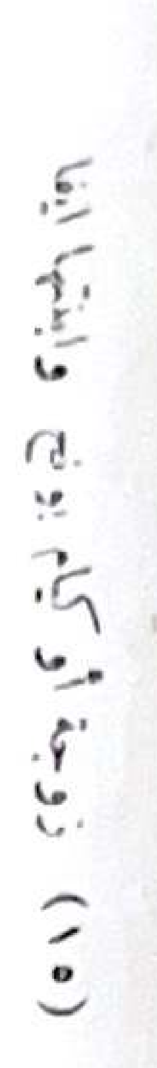


(١٦) الـكاهن الأعظم للاله تا كيسى دانا كوفى موسى ومعه أمه



(١٧) كاهن بوروما فى بونـكوا

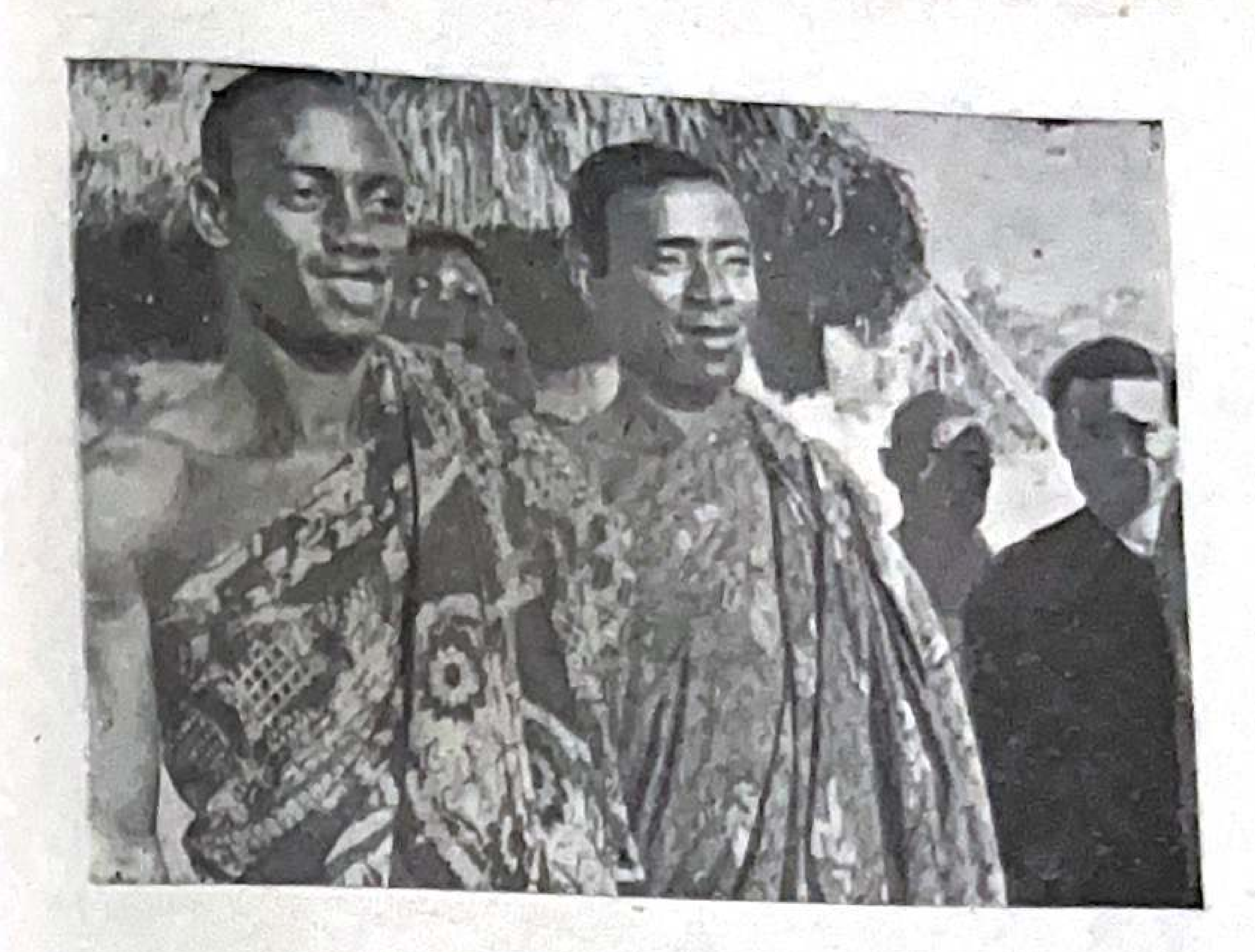




(١٥) زوجة أوكيام بونج وابنتها اپتا



(١٤) أوكيام بونج رئيس الكهنين باسم اللف أكومو إيباو



(١٨) نانا كواكو اجيبون ملك فوريكوروم ومعه أحد أبنائه



(١٩) نانا ياو نويليم ملك نيفا



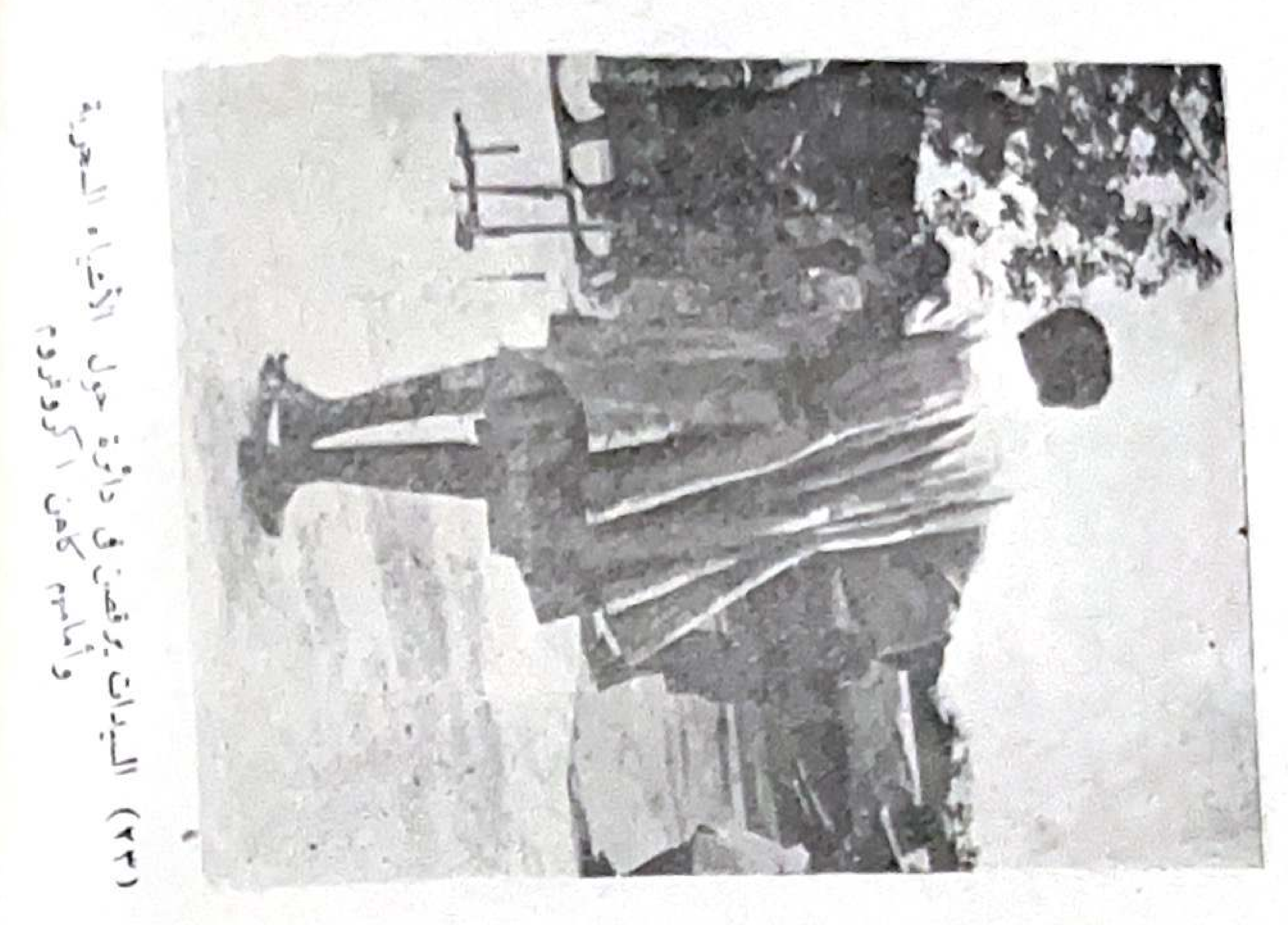
(٢٠) بعض الكاهنات



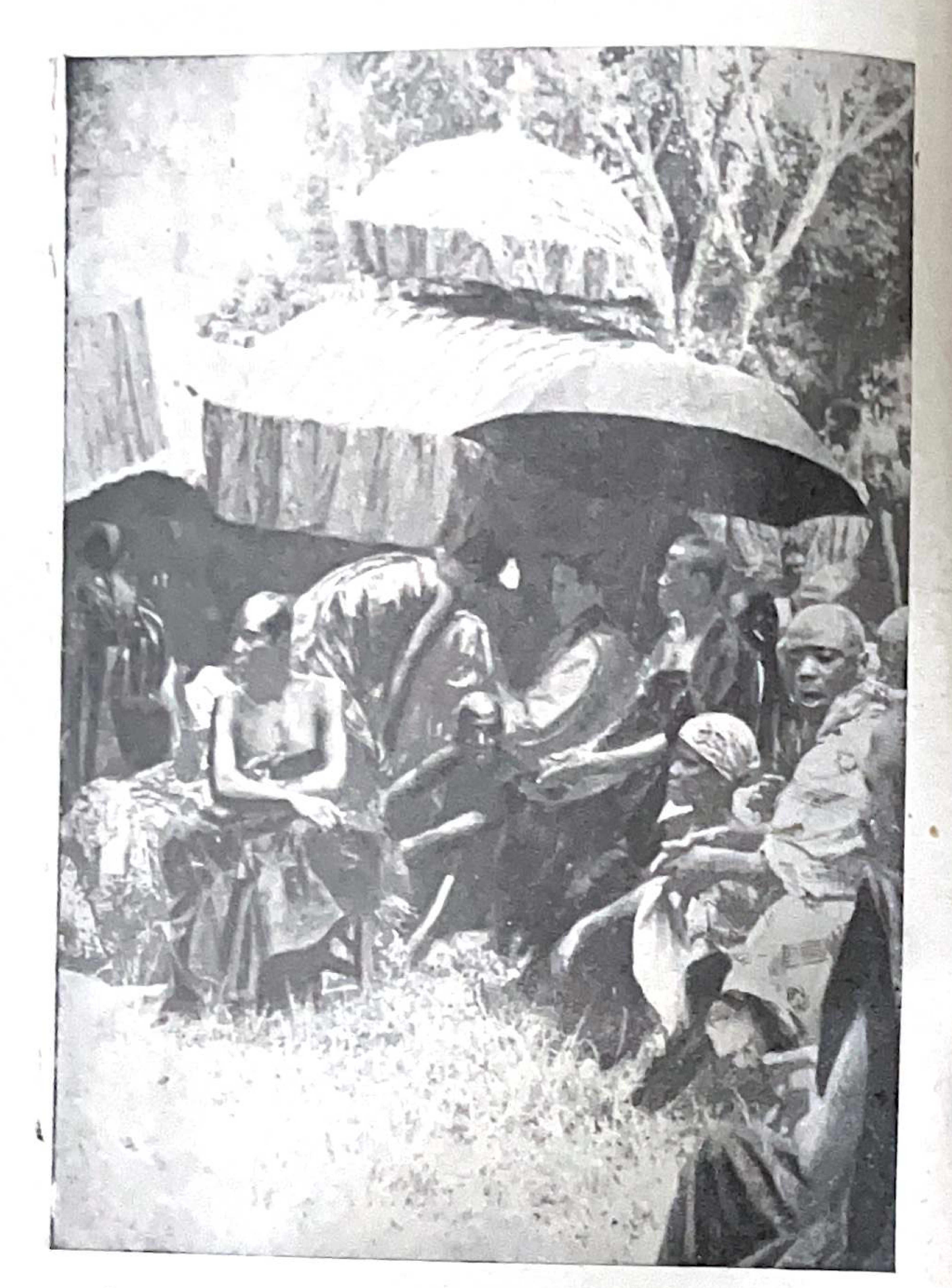
(٢١) كاهنة في حالة غيبوبة ورئيس الاحتفال عاول تهدئتها



(٢٢) الكاهن فى اكروفروم



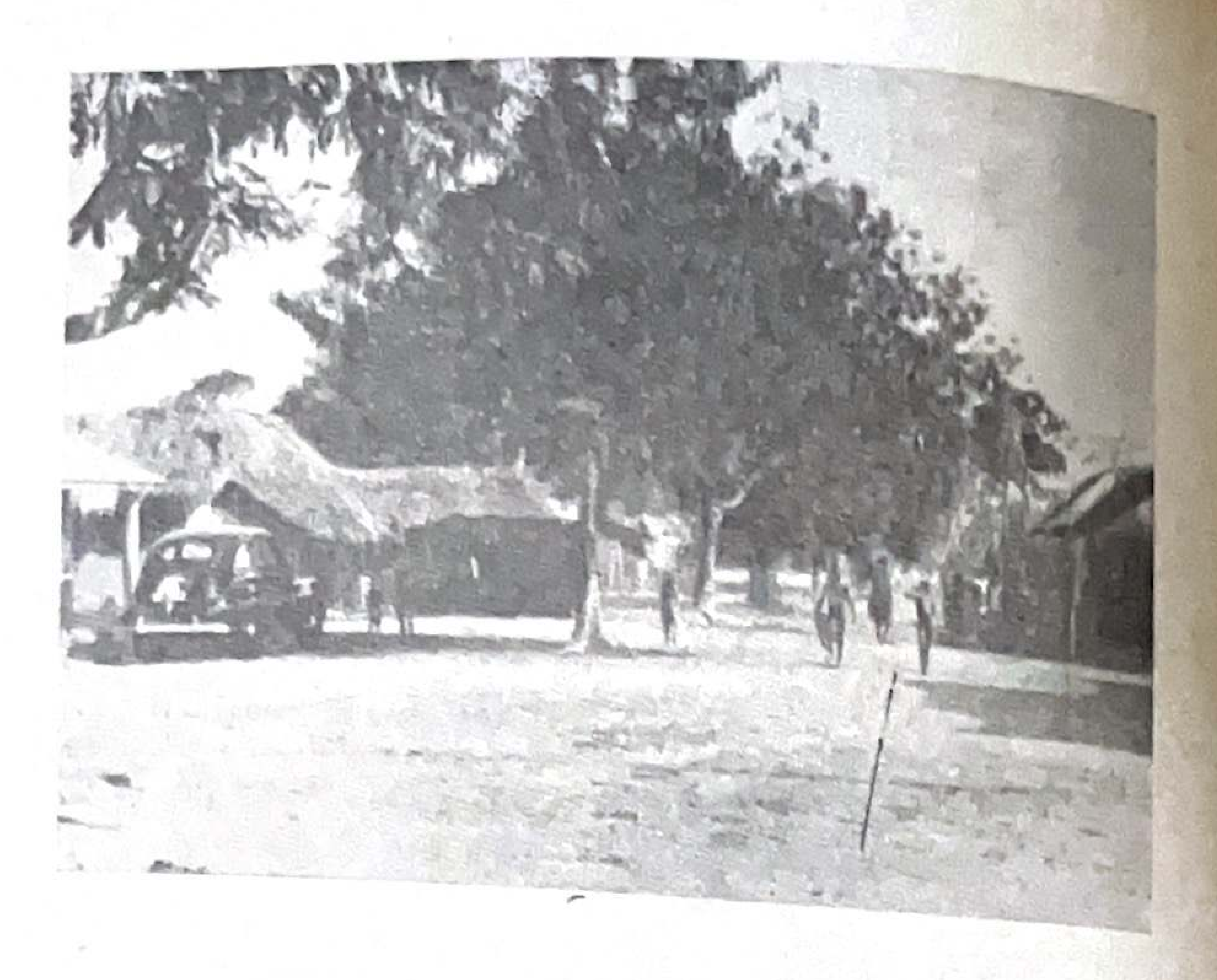
(٢٣) السيدات يرقصن فى دائرة حول الأشياء السحرية
وأمامهم كاهن اكروفروم



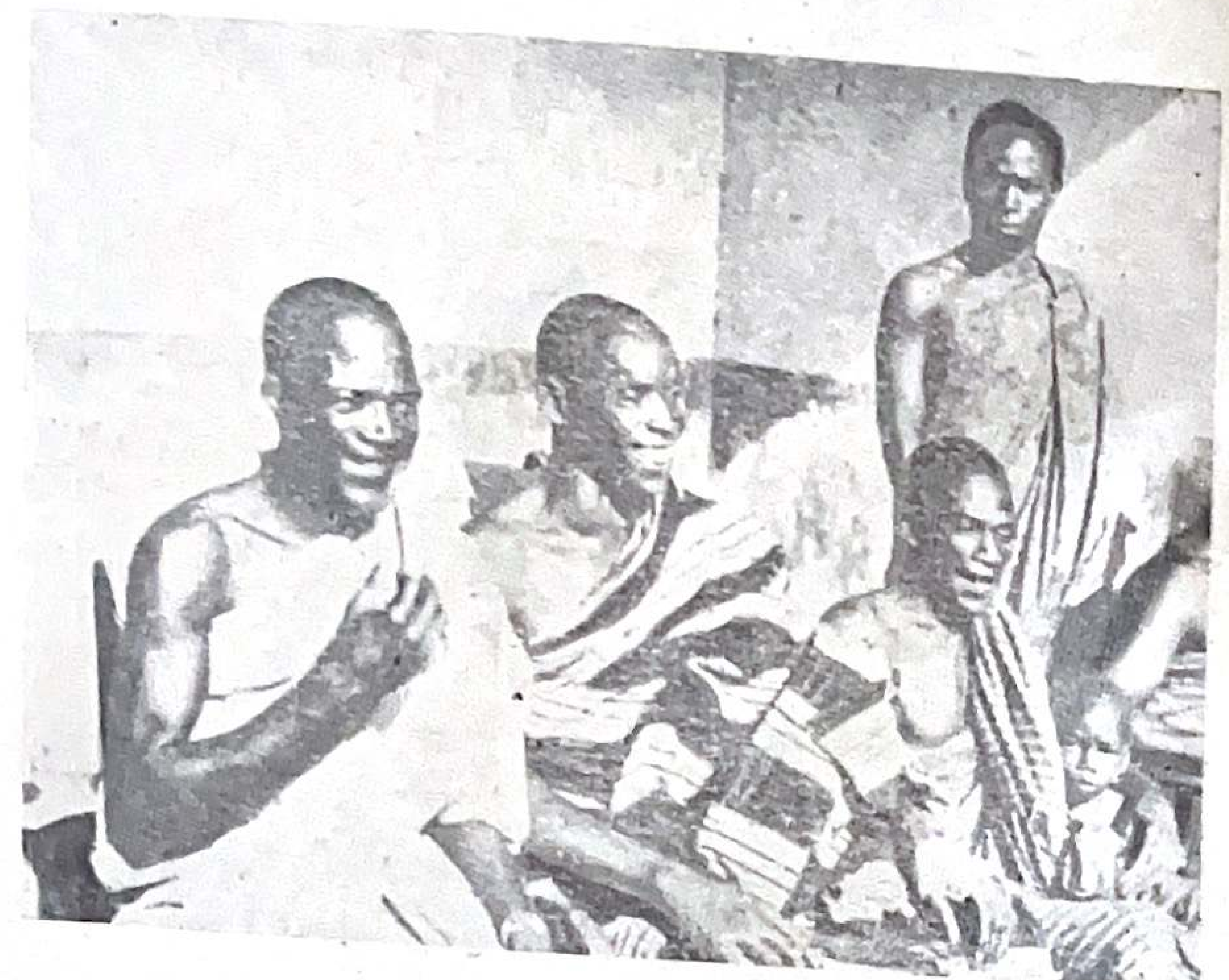
(٢٤) نانا اكومى لمبياو الثالث يختفى تحت مظلة الدولة المزدوجة وهو فى جنازة أخيه



(٢٥) السيرأوزاى أجيمان برمبه الثالث ملك الأشانتى



(٢٦) الطريق الرئيسى إلى توعبا



(٢٧) نانا أوهينا كوابينا عيسى وبعض أخواته وأبنائه



(٢٨) الوصى على عرش جامان نانا أدنكرا



(٢٩) المؤلفة أثناء رحلتها الثانية (١٩٤٥ — ٦) ومعها كوفى انتوبام إلى اليسار (المترجم) وجلبرت فينا كيدوز (الطباخ) وموشى (السائق)

الفصل الخامس

يناير

رجعت إلى تكيمان فى السابع عشر من يناير دون أن أخبر أحداً ، لأتجنب احتفالات الاستقبال وسررت عندما علمت أن النانا غير مشغول ويستطيع أن يستقبلنى فوراً ، ومن ثم انسحبنا إلى غرفة الاستقبال لنتبادل آخر الأنباء . ولم يكن لدى من الأخبار التى تنقصه بينما كان معه من الأخبار ما هزنى هزاً عنيفاً . لقد عزل الكاهن الأعظم لتاكيسى وهو كوفى موسى ، لأنه عرض الدولة للخطر . ولم أصدق ذلك فكيف يحدث ذلك من هذا الرجل الذكى الجذاب الرشيق والذى هو موضع الحب من الشعب . والذى يقوم بعمله أكفأ ما يكون . والذى لا يمكن أن يفعل شيئاً يضعه موضع المسؤلية . ولكن النانا أكد لى ذلك ولم يلبث أن روى لى القصة التى لا تصدق .

لقد وقع المسكين فى حب أميرة من الأشانتى وأرادت هى أن تقضى ليلة معه . ومن أجل ذلك خرج الكاهن ذات ليلة متنكراً من تكيمان سراً فى سيارة نقل إلى الناحية الأخرى من الحدود ، ولسوء حظه لم يكن تنكره بكاف لإخفاء شخصيته إذ سرعان ما عرف شخصه أحد الناس وتبعه إلى حيث ذهب ، وعاد الرجل إلى تكيمان حيث أبلغ النانا . وعندما عاد الكاهن فى الفجر قبض عليه أنكوما ووضع فى السجن وجرت محاكمته ثم عزل بل نفى من مدينة تكيمان . وبدت لى هذه العقوبة حكماً عادلا ، ولكن النانا شرح لى كيف أنه خاف أن تكون الأميرة

عميلة للأشانتى هينى وأنها قد استعملت جاذبيتها لإغرائه على أن يتظاهر بالنبوة فى احتفال الربيع فى تكيمان وهو الاحتفال الذى سوف يقام فى الشهر التالى . وحينئذ يقع الشر على الدولة كلها خلال العام ، إذا أصرت تكيمان على معارضتها لحكومة الأشانتى وحكومة ساحل الذهب. وعلى الرغم من تأكد كل واحد من الشعب من أن الكاهن الأعظم لن يخون تكيمان إلا أنه كان ثمة خطر باد، فهو حين يدخل فى اللاشعور يصبح تحت تأثير عاطفته وحينئذ سوف يقول شيئاً خطراً . ولذا كان من الأفضل تجنب المخاطرة ولا طريق لذلك غير عزله، وأقيم مكانه رجل كبير السن من أسرته رزين إلى مستوى لا يقع منه ضحية امرأة خطرة ، هززت رأسى إذ كنت آسفة من أجل الكاهن الأعظم فسوف نفتقده فى الاحتفالات ، وقد أسف النانا أيضاً على عزله ولكنه ذكرنى أن أول خطوة أدت إلى خراب مملكة بونو كانت على يد امرأة من الأشانتى وهاهى ذى التجربة تتكرر وإن كانت المرأة التى وضعت لتلعب الدور مع الوريث الظاهر والرفيق فى الحكم أميرة. ومن الواجب أن أذكر هنا القصة لأنها تشرح مخاوف شعب تكيمان.

فى سنة ١٧٤٠ ، عندما كان الكاهن الأعظم لتاكيسى فى تكيمان يستشير الإله ذات صباح عرفت إدارة المخابرات أن امرأة صارخة الجمال تحمل خططاً جهنمية للدولة كانت فى طريقها إلى بونو مانسو . فأرسل الكاهن فى الحال رسالة إلى الوريث الظاهر يحذره من هذه الأجنبية الجذابة الخفيفة اللون . وقال إنها لو نجحت فى إغرائه فستكون النتيجة معركة ذات نتائج خطيرة على مملكة بونو . أما إذا سجنت وجرحت فى قدمها فلن يحدث شىء للدولة ، وإذا ماوصلت الرسالة إلى العاصمة استهزأ بويمبريسى Boyemprici ابن الملك المحبوب بالرسالة وضحك من الرؤيا وقال إن بونو أقوى من أن تغلبها دولة أخرى على الأرض . وبعد قليل أرسل الكاهن الأعظم تحذيراً آخر إلى الوريث الظاهر يرجوه أن يكون حذراً فى يوم معين لأن الكاهن عرف أنه اليوم الذى ستصل فيه المرأة ، كما نصحه بأن يقبض عليها وأن يجرحها فى قدمها .

وفى اليوم المحدد جاءت المرأة الجميلة ، وكانت فى الحقيقة الملكة الأم الجديدة فى نكورانزا ، ولم تكن قد قدمت إلى البلاط بعد ، كما كانت أختاً لبافويم الخائن. وجلست فى السوق حيث اكتشف بعض الخدم أمرها . وكانوا قد كلفوا بأن يحضروا إلى القصر أية امرأة جميلة يرونها. وعندما وصلوا أراد المستشارون — وقد تذكروا تحذير الكاهن الأعظم — أن يقبضوا عليها ويجرحوا أقدامها ولكن الوريث الظاهر تدخل وقال إنه لا يسمح أن تضار امرأة جميلة كهذه أو تشوه، وغضب المستشارون ولكن حين نصر بومبريس الوريث الظاهر صمم الثانى على تنفيذ رأيه . واغتصبها فى نفس الليلة ، واختفت المرأة فى اليوم التالى ، ولما عرف الخبر سرى التشاؤم فى المدينة وظن كل إنسان أنها أخذت معها روح بونو ، وأن رؤيا النبوة سوف تتحقق ، ولما عرف الكاهن الأعظم لتاكيسى الخبر أخبر الوريث الظاهر أن بونو سوف تواجه الحرب ، وأن الدولة ستسقط خلال أربعين يوماً ، بل أكثر من ذلك سيأتى ملوك بونو مانسو إلى تكيمان، ولام بويمبريى الوريث الظاهر الذى استهزأ بكل ذلك وقال إنه لا خطر مطلقاً سيحدث .

ولكن للأسف ماتنبأ به الكاهن الأعظم لتاكيسى تحقق كله . إذ خربت بونو بواسطة الأشانتى وهربت أسرة بونو المالكة إلى تكيمان .

خرجت من القصر وأنا أفكر تفكيراً عميقاً ، واتجهت إلى معبد تاكيسى لأحيى التانوهيما أم نانا كوفى موسى، ومن الطبيعى ألا تكون سعيدة بسبب ماحدث لابنها ولكنها ابتسمت قليلا حين أخبرتها أنى قد أحضرت لها (سويتر) ذا أكمام طويلة ليدفئها خلال فصل الهرمتان الذى بدأ ، والهرمتان رياح جافة تهب من الصحراء خلال الفصل الجاف محملة بالرمال التى تغطى الدولة كلها ، وهى باردة جداً خلال الليل .

وبعد الظهر تجولت قليلا وزرت شيوخ المدينة. وفى خلال اليومين التاليين ذهبت إلى الشيوخ والشعب فى القرى المجاورة لتكيمان لأحدد بعض المواعيد لعملي المقبل

كما ذهبت إلى الملكة الأم فى نسوتا Nsuta وهى مدينة حديثة الإنشاء . تبعد ثمانية أميال عن تكيمان حيث ذهبت فى أجازة وكم حزنت حين رأيتها بدون ولديها لأنى اشتريت لهما بعض اللعب وبدلة بحرية لواييتا . وفى طريق عودتى من نسوتا توقفت لحظة فى بنكوا لأحيى أوكيام بونج ولأرى الصغيرة إيفا الثانية وأعطيها هديتها .

ولما عدت من رحلتى هذه إلى تكيمان رأيت جمعاً أمام القصر بينهم الموسيقيون بآلاتهم النحاسية ، وتشوقت أن أعرف مايحدث فتوقفت،وعندما رآنى كومى أخذنى إلى القصرحيث وجدت النانا يحيط به الناس فى فناء الاستقبال فرحب بى وصاح بى أن لديه بعض الأنباء الهامة،وعندما حاولت أن أقترب منه أبلغنى أن حفلة راقصة ستقام الليلة، وقد رتب مع كروبو وقائد الفرقة النحاسيـــة أن يعزفوا فى بيت سانا هينى وهذا الرقص سيقام تكريماً لى بمناسبة قدومى إلى تكيمان . وقدمنى الملك إلى رئيس الفرقة وإلى أهم أعضائها.وسرنى ذلك طبعاً ووعدت بالحضور. ولكننى رغبت فقط فى أن أبلغ عنها مقدماً ، إذ كانت الساعة بلغت الخامسة والنصف، كما كنت مرهقة جداً ، بعد الساعات الطويلة التى قضيتها فى الطريق منذ الصباح الباكر — وخاصة فى هذا الجو الحار — ولم يكن هناك غير ساعتين ونصف لأستحم وآكل وأستريح وهى مدة ليست طويلة كى يمكننى أن أرقص طول الليل كما توقعت .

انتخابى ملكة أما :

أما فى الساعة الثامنة تماماً كنت فى منزل سانا هينى فى ثوب مسائى ، لابسة العقد الذى أعطتنى إياه الملكة الأم . وفى هذه المرة تأكدت من الوقت الذى يجب أن أذهب فيه بسؤال النانا ، كى أتجنب الخطأ الذى وقعت فيه فى المرات السابقة ، وقد عرفت منزل سانا هينى لأنى كنت قد زرت منزل الزعيم تاناكو وجو كيريم عدة مرات خلال الأشهر الماضية . كان بالقرب من مفترق الطرق فى نفس الشارع الذى تقع فيه الاستراحة .

وحين دخلت الفنـاء الذى سيقام فيه الرقص رأيت كثيرين قد اجتمعوا وعزفت الفرقة الموسيقية نشيد (حفظ الله الملك) لتعلن عن حضورى . ولم أكد أجلس حتى تقدم النانا يسبقه كروبو رئيس فرقة الرقص وكان مرتدياً ملابس بيضاء وهو زى ذكرنى بملابس الرهبان ، وكان فى حالة واضحة من السعادة وجلس إلى جانبى بينما كانت فرقة تكيمان تلعب الجزء الأول من لحن (حفظ الله الملك) . ثم بدأت فرقة كروبو تعزف لحن هاى لايف .

وبدأ الرقص حين قفز النانا ورقص منفرداً على الطريقة القديمة على نغمات لحن هاى لايف فكان أن سرى الحماس إلى الفرقة النحاسية حين سمعت دقات الطبول القديمة . وسرعان ما انضم الشبان إلى النانا ، وتكونت حلقة كبيرة حوله وطال رقص النانا وحده وهو يدور حول مصباح منير موضوع وسط المكان .

واندفع النانا إلى فجأة بعد أن اخترق الحلقة التى صنعها الشبان الراقصون حوله. وجذبنى من ذراعى،فرقصنا معاً رقصة(هاى لايف) بينما كان الشبان حولنا يتسللون إلى الفتيات ليجذبوهن إلى الحلقة ، ليرقصن معهم فكانت رقصة طويلة حتى إذا توقف النانا كان الإرهاق قد بلغ بى مبلغه حتى كاد يصيبنى الإغماء . غامت الأشياء من حولى مرتين وأنا أعود إلى مقعدى . ولحسن الحظ جاءت فترة طويلة من الراحة إذ كانت الفرق الموسيقية ، قد تعبت أيضاً ، فأمر لى النانا بالشراب ، فسرنى ذلك عسى أن تعود إلى قوتى،ولكن الملاريا كانت قد عاودتنى لأنى لم آخذ كفايتى من الراحة بعد الإصابة الأولى ، وقد بذلت جهداً كبيراً خلال الأيام الثلاثة التى أعقبت عودتى وقبلت كل شىء بسهولة ولم تكن هذه أول إصابة لى ، ولكنها حمى خفيفة عرفتها من تجاربى الماضية وعلى كل حال لم ألزم السرير .

كان من حسن حظى أن شغل النانا مع المدعوين فاستطعت أن أشرب البيرة وأستريح، كما كان أنكوما مشغولا أيضاً فتركنى فى رعاية فتاة شابة حين تبين تعبى. والحق أنها

انتنات بى وإن رفضت ما قدمته لها من البيرة والسجاير . وظل كثير من الناس يقدمون حتى امتلأ الفناء ولم يعد هناك مكان للرقص .

وفجأة أعلن المذيع الصمت ليتكلم النانا بعد أن أخذ مكانه فى وسط الفناء . يحيط به شبان من الطبقة الراقية، وأخذ أنكوما بذراعى، واخترقنا الجمع حتى وقفت أمام النانا. وساد الصمت وافتتح النانا كلامه بأن أعلن أن هذا الرقص قد أقيم تكريماً لى احتفالاً بعودتى إلى تكيمان . وأنه وجميع شعب تكيمان يشعرون بالسعادة لهذه العودة . لأنى روح (كرا) تكيمان الواهبة للحياة . إنه يعلم أن تكيمان هى موطنى الرئيسى وأنى وعدت بالعودة إليها دائماً من رحلاتى، ثم أشار إلى المساعدة التى قدمتها للدولة خلال السنين السابقة منذ قدومى إلى تكيمان منذ ست سنوات . ومن أجل هذا قرر ومعه شيوخ دولته تعيينى (ملكة أماً فخرية) وسيكون اسمى أمياو هو نفس اسم الملكة الأم الأولى . التى وهبت الحياة لمملكة بونو فى سنة ١٢٩٥ ثم شكر سانا هينى لأنه سمح بإقامة الرقص فى فناء داره . كما شكر الفرقتين لاشتراكها فى الحفلة ، وانفرط عقد الجمع ليكونوا حلقة كبيرة للرقص حول الفناء . وأخذ النانا بذراعى ، وقال إنه سيقدمنى إلى (شعبى) إذ قد يكون هناك من لا يعرفنى . وذهبت معه وهو فخور بى فخر الوالد بابنته المحبوبة فدرنا على الحاضرين جميعاً وهم وقوف حول الفناء ، ومددت يدى إليهم محيية فرداً فرداً . وخيل إلى أن كل فرد فى الدولة قد حضر ماعدا الملكة الأم الشرعية التى كانت كما قيل لى سعيدة حين سمح لها النانا بالمكث فى البيت مع زوجها وأولادها.

وبعد التحيات أعادنى النانا إلى مقعدى . ولكن كان على أن أقوم وألقى خطاباً ، الأمر الذى لم أكن قد استعددت له أو فكرت فى إمكان حدوثه . وأخذنى أنكوما إلى وسط الفناء . ووقف مرة أخرى أمام النانا يحيط بنا الشبان ووجهت الخطاب إلى المجتمعين وشكرت النانا والشيوخ على هذا الشرف الكبير الذى أولونى إياه .

وعبرت عن أملى فى أن أكون دائماً مستحقة ذلك ، وذكرت لهم أنى سعيدة إذ اعتبرونى روح تكيمان وأملت أن أكون دائماً الروح الطيبة لتكيمان . ولكن هذه الروح الطيبة لن يتاح لها أن تعمل عملها إلا إذا عاونها الشعب المحيط بها ، وأكدت هذه الحقيقة لهم ، كما أكدتها فى جميع أحاديثى السابقة ، فالاتحاد قوة ، وشعب تكيمان يجب أن يظل متحداً وراء قائده العظيم النانا فى جهاده من أجل الحرية والعدالة. وكأنما شعرت أن حديثى قصير وفقاً للذوق الأفريقى ، ولكنى لم أجد ما أقوله أكثر من ذلك ، فاستدرت إلى أنكوما ، أطلب مساعدته ، فسألته فى صوت خفيض إذا كنت قد نسيت شيئاً كان يجب أن أقوله . فإذا كان الأمر كذلك فليتكرم هو بقوله ، نيابة عنى . وبدأ أنكوما خطاباً طويلا ، ضايقنى أولاثم أسأمنى ، إذ كنت لا أريد أكثر من كلمات شكر أخرى ، لا هذا السيل من العبارات التى ألقاها فى لهجة عاطفية محمومة . ولكن يبدو أن الناس قد سرهم ذلك . فإذا ما أعادنى إلى مقعدى سألته عما قاله ، فأجابنى أن الأمر لم يتعد كلمة واحدة مجرد نصيحة فكاد يغمى على ، واستطرد يقول إنك الآن ملكة أم، وواجب الملكة الأم بعد انتخابها أن تنصح الملك والشعب، فشعرت بالمرارة فكل ما أكرهه وجدته هنا مظهراً للعظمة مثل التظاهر بمعرفة أشياء لا يعرفها الآخرون وجعل الآخرين يشعرون بذلك . ومما يؤسف له أن هذه العادات تختلف ، والملكة الأم هنا لابد أن تخجل ابنها والملك والشعب .

وكانت الرقصة الثانية (هاى لايف) أيضاً ، ورقصتها مع النانا ، ولكنه سرعان ما سلمنى إلى أحد الأمراء ، وبهذا أصبحت روح كل فرد عالية . وعندما بدأت الرقصة التالية جاء النانا إلى وأخذ بيدى لا لأرقص ولكن لنخترق الفناء خلال الراقصين وعلى الجانب الآخر وقف النانا ودخلنا معا غرفة صغيرة لم تحو غير سرير صغير ، ومصباح بترولى موضوع على مائدة بجواره ، وعجبت لذلك ، ولكن قبل

أن أبدأ التفكير ظهر الخدم ومعهم المشروبات على مائدة أخرى ، وتبعهم توبودوم هينى ، وجلس ثلاثتنا على السرير . ولما كان نانا كوامى فريمبون يتكلم الفرنسية أفضل من الإنجليزية (إذ كان تاجراً فى ساحل العاج قبل أن يصبح زعيماً) . فقد ترجم لى كلمات النانا إلى الفرنسية وأجبت بها أيضاً . وعرفت فى الحال لماذا صحبنى النانا إلى هذه الغرفة : إنه أراد أن يحدثنى عن واجباتى الجديدة كرئيسة للدولة فأوضح له أنه يريد أن يعاملنى الشعب كملكة أم حقيقية . إنه كان أكثر من مجرد لقب أراد هو وشعبه أن يسبغوه على ، فقدأعطانى اسم أمبياو لأنها كانت ملكة أماً عظيمة ،وامرأة عظيمة واهبه للحياة وسره أن أسمها كان اسمه الأمر الذى ربطنا معا . ثم شربنا وأخبرته انى سعيدة بهذا اليوم الذى كان مشهوداً بالنسبة لى وأنه يعنى لى شيئاً كثيراً أن أكون ملكة أماً وأمر النانا كويتى أن يقدم ، فجاء مخمورا بعد الرقص والبيرة . فأخبره أنى الآن قد أصبحت شيئاً ثميناً جداً فواجبه أن يعنى بى وإذا أوقع بى أحد ضرراً — وهذا ما ينهى عنه الإله — فعليه إبلاغه فور ذلك حتى يوقع العقاب على الجانى . ثم تركنا الغرفة لننضم ثانية إلى الراقصين . وسررت حين استطعت أن أجلس من جديد لأنى كنت للمرة الثانية أقاسى من الظلام إذ شعرت إنى على وشك الإغماء . فقد ازدادت ضربات قلبى حتى لقد استدعيت أنكوما وسألته أن يحضر لى بعض الصودا . ولما كان النانا مشغولا عنى فقد استطعت أن أجلس طوال الرقصات الثلاث التالية وكنت قد أفقت حين أرسل لى النانا يطلب منى الذهاب مرة أخرى إلى الغرفة الصغيرة فرفضت ورجوت أنكوما أن يبلغه رغبتى فى مزيد من الراحة لنصف ساعة أخرى ، ولكن رجاء النانا ليس إلا أمراً ، فلم يكن لانكوما أن يبلغه ذلك فاستندت إلى ذراعه ،وشققنا طريقنا خلال الجمع فلم نكد نصل إلى الطرق الأخرى من الفناء حتى كاديعاودنى الإغماء . وتركنى أنكوما واقفة أمام الباب المفتوح واتجه هو ليرى توبودوم هينى الذى سوف يقوم ثانية بالترجمة فاتجهت

فى بطء إلى الغرفة التى كانت سيئة الإضاءة واستندت إلى الحائط بالقرب من الباب وعيناى مغلقتان . وبعد برهة شعرت بالتحسن ففتحت عينى ورأيت النانا أمامى على السرير ، ممسكا برأسه بين كفيه . كان يبدو مضطرب التفكير لأنه لم يحس بوجودى ، ولم يبد منه ما يشعر أنه علم بوجودى ، فعجبت لهذا الذى استولى عليه لابد أن هناك متاعب . هل غزا الأشانتى تكيمان ؟ أو ترغب الحكومة فى القبض عليه مرة أخرى ؟ لم يكن معى مفتاح هذا السر ولا أنا بقادرة على التفكير فأغلقت عينى وظللت مستندة إلى الحائط . ومر الوقت وأصبح الجو حاراً حتى إذا تحسن حالى ،وأردت أن أخاطر لأعبر الغرفة إلى السرير لأجلس عليه بجانبه ، ولكن لم أفعل وظللت واقفة أنظر إلى النانا دون حراك . وأخيراً اقتلعت قدمى اقتلاعاً وجلست على السرير وظل النانا لايبدى إشارة تدل على شعوره بوجودى . ولا أدرى كم من الوقت جلس كلانا دون حراك .

وأخيراً وصل توبودوم هينى وجلس بجانبى ووجه الكلام إلى النانا الذى رفع رأسه وتكلم فى سرعة ونانا كوامى فريمبون يترجم إلى الفرنسية . كانت هناك مشكلة ولكنها ليست ذات طبيعة سياسية . كان يقلقه شىء لم أكن أتوقعه ، كان هذا هو عرض الزواج الذى تقدم به الزعيم فى أكروفروم ووعده لى بأن يمهرنى مائة جنيه يعطيها إلى النانا ليقوم بدور والدى . دهشت إذ علمت أن هذا الأمر التافه كان له هذا الأثر الكبير على النانا . فقد سرنى هذا العرض فى وقته ولم يدر بخلدى أن أعتبره إهانة كما فعل النانا . إلا أنه اعتذر عن الزعيم أكثر من مرة ورجانى أن أنسى ما حدث ، فرجوت النانا ألا ينزعج لهذا الأمر الصغير ، ولكن النانا كان منزعجاً إلى أقصى حد وأكد لى النانا ذلك مراراً فى حديثه ، وأكده هذه الليلة أيضاً ،إننى روح (كرا) روح تكيمان ، والروح طاهرة ، إنها إلهية لأنها تعطى الحياة إلى الإله الأكبر . ولكى تعطى الحياة يجب أن لا تتنجس ، وشعر النانا أن

عرض الزواج من الزعيم ورد انكوما العنيف عليه قد بخس روحى . وبهذا العمل
تعرضت الدولة للخطر إذ لم أعد الآن بقادرة أو راغبة فى أن أهب الحياة لتكيمان .
فأكدت للنانا أن ليس هناك ما يخشى عليه فلم أهن كما يظن وكما لم يحاول أحد أن يفعل
سواء الزعيم أو أنكوما ، ورجوته أن لا يعاقبهما وكانت مناقشة صعبة أرهقتنى
فرجوت توبودوم هينى حين فرغ من الكلام ولم يعد هناك ما يقال بأن يسأل النانا أن
يسمح لى بالرحيل حيث إنى لست فى حالة طيبة ، واعتقدت أن هذا سيزيل أثر كلماتى
ويعيد إليه الهدوء بعد خروجى . ولكن الأمر كان على عكس ذلك ، إلى حد إنى لم
أعد أحتمل مزيداً إذ تبين لتيودوم هينى أنى مريضة حقاً فعمل جهده أن يعلم النانا
الحقيقة وأنى فى احتياج إلى الراحة ليسمح له بالذهاب لتعبى كما أنه تعب أيضاً .
ولكن النانا لم يكن يطيق أن يسمع عن رحيلى ، فإذا كنت تعبة فهو ليس أقل
تعباً ، ماذا يقول لشعبه ؟ وأخيراً حين تبين إصرارى على الذهاب طلب من
توبودوم هينى أن يستدعى أنكوما وكويتى ولما انفردت بالملك أخبرته فى كلمات
محمومة — بعد أن وصفت كل إحساسى فى هذه الكلمات — شدة أسفى لترك
الاحتفال مبكرة مما قد يسبب له ألماً ، وللحفلة فشلا .

ومن أجل أن أجعله يفهم حالتى تماماً وأن المرض هو الذى دفعنى أن أفعل
ذلك ،رجوت كويتى حين قدم ، إن يخبر النانا أن المرض وحده هو الذى اضطرنى إلى
هذا التصرف .

وفى خارج الغرفة كان الحر لافحاً والجماهير تقف كالبنيان المرصوص لا أستطيع له
اختراقاً . ولحسن حظى كان أنكوما إلى جانبى فأفسح لى الطريق ، وفى خارج
المجمع كدت أسقط إعياء لولا أن أمسك بى أنكوما ودفع بى إلى المنزل حتى تحسنت
حالتى من جراء هواء الليل البارد . على عكس ما كان فى الغرفة من حرارة شديدة
والحرارة التى هى أكثر شدة التى كانت فى الفناء والعرق الذى كانت تنضحه الأجسام

انعشنى الهواء بسرعة فاستطعت أن أسير إلى حيث العربة ، ولكن كويتى لم يكن
موجوداً فما إن فتح أنكوما بابها حتى تبينه فى الظلام داخلها وذراعه تلف خصر
فتاة ،وجلس كلاهما دون حركة ،فكانا كفأر قد اقتنص حين نظرنا إليها . كانت الفتاة
تلك التى عنيت بى حين كاد يغمى على أول مرة فى تلك الليلة .

وفى هذه اللحظة تبينت جمالها وعينيها اللتين تشبهان عيون الغزال ، وجسمها
الإسطوانى الرشيق — وصرخ أنكومامعى : إنها أختى ! فقلت : إن ذلك مستحيل ،
إذ تبينت أنهما لا يشبهان بعضهما البعض. فسألته : أهى شقيقتك ، أم أخت لأم أو أب
فقط ، ربما تكون بنت خالة أو أخت فى العشيرة فقط ، لأن كلمة أخت واسعة المدلول عندهم.
ولكنه قال إنها أخته لأبيه فقط . فسألته أين تعيش ؟ فلما عرفت أن بيتها فى الجانب
الآخر من الطريق ، استدرت إلى كويتى وسألته أن يصحب الفتاة إلى البيت مسرعاً ،
فانسل كلاهما خارج السيارة وغابا فى الظلام بينما كنت أتبادل النظر مع أنكوما
فى دهشة .

وجعلت — وأنا راقدة فى سريرى فى الاستراحة — أنصت خلال الليل إلى صوت
الموسيقى الذى لم يتوقف إلا فى الساعة السادسة من الصباح مما حرمنى النوم رغم
شدة تعبى ، فاستعرضت حياتى أمامى فاكتشفت أخيراً أن هذه الليلة قمة وجودى .
وأقنعت نفسى أن هذه الليلة — العشرين من يناير — هى أسعد أيام حياتى فى
أفريقيا بل هى حبى الأكبر . رأيت نفسى بعين خيالى ، وأنا فى العاشرة من
عمرى ، نائمة فى سرير جريحة باكية ، وكانت ليلة ميلاد أخى ، وقد ملأنى غيظاً
حجزى عن المشاركة فى حفلة الأطفال .

وكانت أمى ومربيتى والفتيات فى شغل عنى وقد انهمكن فى الاستعداد للحفلة
واستقبال الزوار ، فلم أملك إلا أن أدعو أمى ، ولكنها لم تأت ، فأرسلت نفسى على
سجيتها ، وتساءلت : ماذا أستطيع أن أفعل لأسلى نفسى ؟ وأخيراً تذكرت أنى

قد حملت معى من مكتبة المدرسة كتاباً،فرأيت أن أقرأ فيه فخجلت من السرير إلى
حيث درج مكتبى . فقرأت عنوانه (رحلات ستانلى فى أفريقيا) وهو مكتوب
لأطفال بين الرابعة عشرة والسادسة عشرة،وعدت إلى السرير وجعلت أتطلع إلى الصور ثم
أقرأ،وعندما دخلت المربية لترى سبب الهدوء السائد صحت بها أن تخرج لأنى أقرأ
ولا أريد أن يزعجنى أحد . ولكن حين أتت أمى وجلست بجانبى أطلعتها على الكتاب
وصوره الجميلة للزنوج وقد حملوا ستانلى ، أو سائرين فى صف طويل خلال الغابة
وبعضهم يحمل قوساً أو سهماً أو حربة ، وقلت لها : إنى أود أن أذهب إلى هناك ،
إلى أفريقيا ، أريد أن أكون ستانلى ، مكتشفة ، لأراضى مجهولة ، فذكرت أمى
أنى سوف أنسى هذا كله حين أكبر ، ولكنى أجبت سلباً .

ولما تركت السرير انكببت ساعات على خريطة أفريقيا محاولة أن أرى إذا
كانت هناك بقعة أخرى فى القارة لم ترسم وبكيت حين أدركت أنى حين أكبر تكون
هذه البقعة الباقية — إذا كان هناك ثمة بقعة باقية — قد استكشفها أحد غيرى .
وفى الخامسة عشرة ، قرأت كثيراً من كتب فروبنيوس عن الثقافات والحضارات
الإفريقية فتجدد اهتمامى بالقارة .

وحين كبرت لم تكن هناك من وسيلة تقود إلى أفريقيا ، فطرحت الفكرة
جانباً شيئاً فشيئاً ، ووجدت أشياء أخرى تثير اهتمامى . وأخيراً تقدم إلى من يخطبنى
ولكن خطبتى فشلت ثلاث مرات لشعورى فى كل مرة أن ليس هذا هو الرجل
الذى أريده ، ولما فشلت خطبتى الأخيرة قال خطيبى فى يأس إنه سيذهب إلى
أفريقيا ، وما إن سمعت ذلك حتى صرخت سأتزوجك ! وتزوجنا وذهبنا إلى أفريقيا ،
إلى جنوب أفريقيا أولا ثم إلى غرب أفريقيا ، وسافرنا كثيراً عبر أجزاء كثيرة
من القارة ومات زوجى فى سنة ١٩٤٥ ، وذهبت إلى تكيمان ، وما إن اكتشفته لم
يكن أرضاً غير معروفة ، بل ماضياً مجهولا ، هو دولة بونو القديمة . وهأنذا قد

منحت لقباً فخرياً واسم « الملكة الأم الأولى » فى بونو ، وأصبحت قارة أفريقيا لى .
بوسيلة لم أتخيلها مطلقاً ، حتى فى أحلامى .

جاء سانتوس فى الساعة السابعة إلى غرفتى ليرفع ملة السرير . ويعطينى شراب
البرتقال وقفزت من السرير وشكرت حظى العظيم مرة أخرى . كم يجب على أن
أكون سعيدة وقد تحققت كل أحلام طفولتى . وتذكرت كيف كان بايرون محقاً
حين كتب « إننا لا ندين بشىء لأنفسنا بل هو الحظ » . ولكنى أسفت إذ شعرت
أنى أضعف من أن أفرح . وكل شىء حولى داكن يدعو إلى اليأس . وعبء
الحياة أثقلنى ، وأقل حركة تكلفنى مجهوداً كبيراً .

وبعد تناول الإفطار عدت إلى السرير دون أن أبدل ملابسى . ولم أدر ماذا أفعل
فإذا لم أذهب إلى النانا لأشكره على « تتويجى » فلا بد أن ألازم الفراش وحينئذ
تأتى كل تكيمان لزيارتى ، وهذا ما أردت أن أتجنبه . وقد علمتنى تجاربى الماضية
أن حرارتى تكون عادية عند الساعة الخامسة وحينئذ أكون فى حالة طيبة . ومن
ناحية أخرى إذا ذهبت لرؤية النانا فسيظن أنى كنت فى الليلة الماضية متمارضة
لا مريضة . وقلبت الأمر على وجوهه المختلفة ولكن عند الظهر تحسنت حالتى وصممت
على أن أذهب إلى القصر .

ناديت انكوما فوجدته لا يزال فى سريره ، ولكن سرعان ما ارتدى ملابسه
وجاء معى لنرى النانا فوجدته جالساً على منصة وسط الفناء . وأخبرنا أنه استقبل عدة
وفود فى هذا الصباح من بينها وفد نساء تكيمان يهنئه على تنصيب ملكة أم جديدة
ولكنهن عبرن عن رغبتهن فى أن يكون اسمى الجديد كروا Krwaa وليس
أمبيا الذى اختاره النانا لى ، لأنهن يشعرن إن لم تعد لهن علاقة ما بالملكة الأم
أمبيا بعد ٦٥٠ سنة تفصل بين أيامها وحاضرهن . ولكنهن مازلن يتذكرن الملكة

الأم كرووا التي حكمت شعب تكيمان في غربتهم في جيامان (١٨٧٠ — ١٨٩٥) وأنها ساستهن بقوة وإيمان لا يتزعزع بالنصر النهائي .

كما فعلت أنا وما زلت أفعل خلال الأزمة الأخيرة . ولهذا فكرت النساء أن ابنها سيكون اختياراً أفضل ، وأسف النانا كما أسفت لهذا التغير ولكنه لم يملك إلا أن ينزل على رغبة النساء ، وهكذا فعل ، وكانت الملكة الأم أمبيا أقرب إلى قلبه كمؤسسة لأسرته ولى لأسباب أخرى . فكرووا كانت أما لشعبها أما أمبيا ، وكانت حاكمة وأقامت الدولة الجديدة على أساس متين . فقد كون دولة بونو المهاجون الذين قدموا من عدة ولايات . وكان هؤلاء في حاجة إلى أحد أمرائهم ليحكمهم بعد موت ملكهم ، الذي كان أخاً لأمبياو ، ومن أجل تجنب الحرب الداخلية ومن أجل أطماعها لصالح أسرتها ، فإنها صادرت الأملاك الملكية ووقفت في وجه إرادة الشعب وأعلنت : إما أن يكون ابنها ملكا أو تحكم هي بلا ملك . وبعد ثلاث سنوات رضخ الشعب وانتخبت ابنها أكومفي أمبيا الذي سمي النانا الحالي على اسمه .

وعدت من القصر إلى الاستراحة فقد انعشني حديثي مع النانا بعض الشيء بينما أنا مازلت أشعر بالمرض ، فعدت إلى سريري بعد عشاء مبكر فنمت نوماً عميقاً . حتى الخامسة صباحاً ، ولما صحوت كانت درجة حرارتي قد أصبحت عادية وصحتي حسنة ، والراحة التي يجربها الإنسان لا تصدق ، فهو لا يصدق إلا بصعوبة أن بضع درجات من الحرارة تضع مثل هذا الفرق .

وسرت في الحديقة قليلا ثم أخذت كتاباً وبدأت أقرأ ، وإذا بزائر يقدم ، فأدهشني هذا إذ لم أحدد ميعاداً لأحد ، كما أن النانا حرص على إعطاء تعليمات بأن لا يزعجني أحد : كان هذا الزائر رجلا هندياً ماراً بتكيمان وهو زعيم الطائفة

الأحمدية المسلمة ، في كوماسي . ولم أكن أعرف أن هناك بعثات تبشيرية إسلامية هندية في ساحل الذهب ، ولذا كنت مشوقة أن أراه ، فتبادلنا التحية باهتمام وجلس خارجاً في البنجالو في الهواء الطلق .

كان الهندي رجلا ضئيل الجسم لا يزيد طوله على خمس أقدام . رقيق البنية وأهم ما يميزه عيناه اللتان كانتا تسيطران على وجه نحيل . حتى لقد خيل إلى أنه روح خالص . وشعرت حين نظرت إليه أنه جرد نفسه من جميع الأطماع الدنيوية بل حتى من شخصيته ليكون مستحقاً لاتحاد روحي مع الله ، كي يملكه الله ملكية كاملة . وأخبرني أن هذا الاتحاد الروحي مع الله هو الهدف الأساسي لطائفته وهم يباشرون شعائرهم عن طريق التأمل الجماعي في المسجد . إذ إن هذه الطائفة تعتقد أن روح المسيح قد تقمصت محمداً [عليهما الصلاة والسلام] وبذلك عبدوا المسيح كسلف لهم . وكان الظلام قد بدأ يخيم عندما تركني بعد أن مكث ساعة ونصف ساعة .

الوثائق المسروقة :

ورحلت إلى ونكي في اليوم التالي . وفقاً للبرنامج . ولم أكد أصل حتى وصلتني رسالة عاجلة أن أعود إلى تكيمان من أجل اجتماع لمجلس الدولة فقد ظهرت حالة عاجلة لم تكن منتظرة . وبعد وجبة سريعة تركت ونكي إلى تكيمان ولكني وصلت متأخرة عن موعد الاجتماع الذي اشترك فيه شيوخ جميع أجزاء تكيمان . وقد اجتمعوا مبكرين عن الميعاد ساعة ، أو لم يرد النانا أن ينتظروني . إذ كان على أكثرهم أن يسير رحلة طويلة كي يعود إلى قريته ، التي كانوا قد تركوها في الساعة الرابعة صباحاً . وشعر النانا بالارتياح حين رآني ، فصحبني إلى غرفة صغيرة مغلقة تحفظ فيها المظلة الملكية والعروش وغيرها من الأشياء ، وقد حرص على أن يتأكد أننا دخلنا الحجرة ومعنا سكرتيره الخاص أفوريج دون أن يلحظنا أحد من رجال القصر

فلا بد أن شيئاً غير عادى قد أحدث هذه الحيطة. ولم يطل انتظارى لأعرف هذا الشيء .

فبعد أن جلسنا نحن الثلاثة متقاربين سلمنى السكرتير أفوريج وثيقة عليها عبارة (سرى جداً) وخيل إلى أنها ورقة رسمية إذ كان عليها كلمتا تكيمان وسرى . فضضت الوثيقة أولا ، كانت أمراً بالنفى مكتوباً باسم النانا ينقصها توقيع الحاكم وكبير المفتشين فى أشانتى ، وكذلك التاريخ . ولا شك أن الوثيقة هامة ، وقد أخبرت النانا بذلك .

ونظرت بإمعان إلى الملف وكنت متأكداً من أنه نفس الملف الذى رأيته منذ ثلاثة أسابيع على مكتب كبير المفتشين حينما تحدثت معه فى كوماسى . لا شك أنها لم تكن خديعة كما أنه ليس من المعقول أن يكلف شخص نفسه مشقة تبييض ملف ضخم قد انتفخ بما احتواه من خطابات حديثة طويلة تصل إلى عدة صفحات تبودلت بين السكرتارية العامة فى أكرا والمحكمة العليا ، لضمان أن نفى النانا إلى خارج ساحل الذهب دون محاكمة لن يناقش على أساس قانونى . كما أن الملف حفظ فى أمان بعيداً عن سكرتير كبير المفتشين فلم يكن غير (الباشكاتب) الإفريقى الذى يستطيع الاطلاع عليه . وسألت النانا عن كيفية وصول هذه الوثيقة السرية جداً إليه . فضحك فى طفولة وقال إنها وصلته مع تحيات (باشكاتب) المفتشين فى كوماسى . إذ فقد هذا الباشكاتب منصبه حين اشترك فى الإضراب من أجل الحكم الذاتى ، فسرق هذا الملف انتقاماً لذلك . وكذلك أمر النفي وأرسل به إلى تكيمان . وإلى الشعب الذى لابد أن يعنيه الأمر أكثر من غيره ، وكان انتقامه ذا أثر. لأنه الملف الوحيد الخاص بتكيمان الذى سرق من بين الملفات الأخرى من السكرتارية خلال الإضراب وقد ظن الباشكاتب أن الملك برمبة يريد أن يعرف ماذا تنوى الحكومة أن تفعل

فيما يختص بقضية تانوسو . فلم يكن هناك غير المكاتبات التى دارت بين مأمور المنطقة وتكيمان ، وهى التى كانت محفوظة فى سنيانى دونكى .

وعجبت ماذا يكون أثر هذا العمل . بعد أن فقدت حكومة ساحل الذهب كثيراً من الأوراق الهامة الخاصة بتكيمان . فأمر نفى النانا قد يكتب مرة أخرى ، ولكن فلنفرض أن أسئلة سئلت فى البرلمان بشأن هذا النفى . ولم تكن الحكومة بقادرة على إعطاء التفاصيل فكيف يستطيع الرسميون أن يجمعوا قصة تكيمان مرة أخرى . فكرت فى الأمر دقيقة أو اثنتين وقد أيقنت أنه من الأفضل أن أعيد الملف إلى الحاكم العام . وفى نفس الوقت سيكون لى معه حديث بشأن نفى النانا . ولكن ماذا سيكون رد الفعل المترتب على سرقة الوثيقة . وأخيراً صممت على ألا أخاطر . واتفقت مع النانا على أن الأفضل إخفاء الملف وأمر النفى فى مكان أمين . ولما شعرت بالهدوء أخذت فى قراءة الملف مبتدأ بمشكلة تانوسو .

لاشك أن حكومة ساحل الذهب تعنى شيئاً. فسيعزل النانا وينفى معه جميع الشيوخ والزعماء الذين ينصرونه . وهذا يعنى طبعاً أن تكيمان لن تعيش كدولة ، بل تصبح مقاطعة من دولة كوماسى فى الأشانتى ، وسوف يحل محل المبعدين زعماء من الأشانتى أو زعماء تكيمان الموالين لهم. وسألت النانا عما قرره مجلس شيوخ دولته فى هذا الشأن ، فأجاب النانا فى فخر إن جميع الشيوخ والزعماء أعلنوا إخلاصهم له . واتفقوا فيما بينهم على أن يعملوا معاً يداً واحدة ، كما فعلوا فى سنة ١٨٧٧ ، أى ينقلون حكومة تكيمان إلى جيامان (وكانت فى سنة ١٩٥٠ تابعة لساحل العاج الفرنسية) وأن يقوموا بتخريب الحكم الأجنبى وعقاب الخونة بحرق جثثهم وجعلهم غير آمنين على حياتهم . وإن هذا الجلاء سيتم حالا فى الوقت الذى يعلمه فيه جواسيسه أن النفى سينفذ وسيتم هذا الانتقال فى ليلة واحدة . وقد أعطيت الأوامر إلى جميع السائقين فى تكيمان

والسيارات التى يملكها أشخاص من رعايا تكيمان أن يكونوا مستعدين للعودة إلى تكيمان دون تأخير ، إذا ما تلقوا إشارة موقعاً عليها من النانا . فتكيمان لا تبعد غير سبعين ميلا عن حدود جيامان . وكبار رجال الدولة هم أول من يرحل يتبعهم الباقون .

وأنصت إلى كلمات النانا المحمومة ، وإلى أفوريج وهو يترجم وكانت فكرتى الوحيدة أن لا يحدث هذ الأمر أبداً ، فأنا لا أستطيع أن أحتمل فكرة انتقال شعب بأسره ، لأنها تكون كارثة لتكيمان ، إذ يفقدون محصولات أراضيهم من الكاكاو،وكذلك جميع مقتنياتهم الخاصة التىيتركونها وراءهم دون حراسة ، وكذلك سيكون الأمر نكبة لحكومة ساحل الذهب لأن شعباً خاضعا لبريطانيا يخرج لاجئاً إلى مستعمرة فرنسية بسبب تعذر حصوله على العدل سيخلق دوياً هائلا فى صحافة العالم[1] لا شك أيضاً أن الدكتور دنكوا سيحاول أن يرفع الأمر إلى هيئة الأمم المتحدة ولذلك صممت على أن أمنع إخلاء تكيمان مهما كان الثمن . لا بد أن أحصل على إذن من النانا يبيح لى العمل فى هذا الأمر كما أرى ، فهناك متسع من الوقت بسبب استمرار الإضراب . وقد قدرت أنه لا بد أن يمضى شهران أو ثلاثة قبل أن تعمل الحكومة فى ساحل الذهب شيئاً يختص بتكيمان هذا إلى أن الحكومة لن تبدأ العمل قبل أن تتلقى إجابة على عريضة تكيمان إلى ملك انجلترا .

فى خلال شهرين ونصف سأعود إلى لندن، ويمكننى أن أرى وزير المستعمرات وأحادثه فى الأمر . ولكن لكى أمنع إبعاد النانا فلا بد من أن أصرفه عن فكرة ترك البلاد ، ولذا أخبرت النانا أنه يجب أن تكون لى سلطة استغلال هذه المعلومات

---

(١) وهكذا نظرت المؤلفة إلى مصلحة انجلترا قبل أن تنظر إلى مصلحة هذا الشعب المظلوم . (المترجم)

وإلا استحال على مساعدته ومساعدة شعبه، ونظر إلى النانا نظرة طويلة وتعلقت بنظرته فأنا أعرف تماما أنه لا يستطيع أن يعطينى سلطة العمل كما أريد ، دون اتفاق مجلس شيوخ دولته وأعضاء هذا المجلس قد يتفرقون ولا يمكن جمعهم مرة أخرى. إنها مسئولية مخيفة لا يستطاع تحملها . وطالما لا يستطيع النانا التصرف فيجب أن أكون حازمة . وكنت أدرك صعوبة موقفه فى اتخاذ قرار قد يكلفه عرشه ، إذ انحرف سير الأمور .

ولكن تساوت الأمور فيجب أن أحصل على إذنه بعمل أراه مناسباً من أجل الشعب الذى سوف يصبح شريداً لاجئاً فى دولة أجنبية ، فلا بد لى أن أذكر النانا أنه منذ يومين فقط أقامنى ملكة أماً لتكيمان ، ولكنى لا أميل إلى أن أفعل ذلك . وأخيراً قال النانا إنه يضع الدولة بين يدى ، وأجبته إن دولته آمنة بين يدى. وانطلقت الكلمات من فمى وسرعان ما تبينت ضخامة ما نطقت به فلا بد أن أخفف من وقع ما قلت ولكنى لم أجد ما أقول .

ومهما كان الأمر فقد شعرت فى داخلى أن الأمور ستسير إلى أفضل . وحاولت أن أشجع النانا الذى شعر بالراحة بعد قليل لأنه رأى أنى كنت متأكدة من أن الحظ سيحالفنى . وفى الساعة السادسة عدت إلى ونكى لأنه كان يتحتم على أن أسافر فى اليوم التالى قرابة مائة ميل إلى لونجيرو Longero على نهر فولتا الأسود وقدرت التعب الذى سوف ألقاه ، فذهبت تواً إلى سريرى ، وسرنى كثيراً أن رأيت حلماً — كان على شكل صورة احتوت ألواناً زاهية براقة ، وفى وسط الصورة رأيت نفسى أقود سيارة سوداء محطمة ، فى طريق معبد فى لون معدن البنادق . ومن اليسار واليمين مياه سوداء تحاول الوصول إلى السيارة وبحر فى لون الفيروز من ورائى . ولكن على اليمين وعلى مسافة بعيدة فنار يبعث بنور براق أحمر وكان فى مقدم الصورة وجه (وهو وجهى) يقف على شرفة يلوح لى بمنديل أبيض وأنا أقود السيارة السوداء فى هذا الطريق الخطر . وكان الوجه الواقف فى الشرفة رشيقاً

لابسا ملابس تعود إلى العصر الفكتورى من الساتان الأبيض فى تناقض صارخ مع الجاكتة السوداء المصنوعة من الجلد التى ألبسها وأنا أقود السيارة . ولاشك أن المسئولية التى أخذتها على عاتقى عكست نفسها فى هذا الحلم القريب . فالسيارة السوداء التى أقودها فى هذا الطريق الخطر تمثل دولة تكيمان بينما كنت واقفة على الشرفة تتجسم فى الملكة فكتوريا أعد نفسى بالنصر والنتائج السعيدة من خلال الخطر والمصاعب .

زيارة خرائب بونومانسو :

وفى اليوم التالى ذهبت إلى نكورانزا وتركتها إلى لانجيرو عاصمة مو ، بالقرب من نهر فولتا الأسود ، والتى تجاور الحدود الشمالية لتكيمان ، ونكورانزا . وعلى قدر ما استطعت عدت إلى نكورانزا لأخذ انكوما كى نذهب إلى خرائب بونو مانسو العاصمة القديمة لدولة بونو . وتبدأ الخرائب عند مانسو وهى قرية نشأت على أطلال المدينة القديمة . على بعد ١٧ ميلا شمال نكورانزا . وكان يعتقد أنها امتدت نحو الجنوب لمسافة عشرة أميال . وفى مانسو استدعيت مانسو هينى الذى يحكم جانباً من القرية ، وكذلك أدياكا هينى زعيم عشيرة أدياكا ويحكم الجانب الآخر . لم يكن أحد منهما فى المنزل ، إنه لشىء مؤسف وخاصة بالنسبة لأدياكا هينى كوامى كرا إذا كنت أحمل إليه تحيات النانا . فعلى الرغم من أنه أحد رعايا نكورانزا فهو موظف من موظفى القصر فى تكيمان . ومركزه المرموق يعود إلى عوامل تاريخية وإلا دياكا هينى من نسل ملوك موا أدياكا .

وآخرهم أدوكودجو Adukodjo الذى كان قد قدم هو وأتباعه لاجئين إلى بونو مانسو وأعطى وظيفة فى البلاد بواسطة بونو هينى اكومفى امياو الأول (١٣٢٨ — ٦٣) وما زال خلفاؤه يشغلونها حتى الآن . وخاتم ملوك أدياكامو التى تغيرت

إلى أدياكا بومو ومعناها شعب أدياكا : طويل سميك كذراع رجل . وقيل إنه من الخشب وربما كان فرع شجرة مقدسة مغلف بالذهب. وعند موت كل ملك من ملوك بونو ثم تكيمان من بعد ، تربط إليه قطعة من كفن الملك المتوفى حتى أصبح الختم حالياً مغطى بثلاثين قطعة من القماش (إذا لم تكن القطع القديمة قد بليت) وكنت أومل أن أراه عندما سمعت أدياكا هينى كان فى يفرى Yefri (وهى قرية قريبة) للاشتراك فى جنازة هناك . وذهبت وقدمت نفسى إليه ولما كان قد سمع كل شىء عنى من النانا ، فقد رغب فى أن يخبرنى بتاريخ قومه ، هناك وهنا ، وأصر صاحب المنزل — وهو الذى مات ابنه — على أن أشرب بعض البيرة . وكم كان لطيفاً حين وضع تحت تصرفنا غرفة اتجهنا إليها . أدياكا هينى وجميع الشيوخ الذين صحبوه إلى يفرى ، وأنكوما وأنا .

أعطانى أدياكاهينى كوامى كرا معلومات كثيرة مفيدة ولكنه لم يستطع أن يرينى أدياكا بومو (الختم) لأنه كان قد أخرج من مكانه فى المعبد . فى ظروف خاصة .

ومن يفرى عدت إلى مانسو وفى هذه المرة وجدت مانسو هينى بمنزله واتفق معى على أن يرينى مرة أخرى حوض ماء المطر ، فى بونو مانسو ، وهو حوض نحاسى كبير إلى درجة غير عادية مقام الآن فى نهاية القرية يحيط به سور ، وهو يقام عادة فى بيت الملكة الأم فى بونو لأن الملكة الأم مسئولة كصانعة المطر عن إنزال المطر وقت الجفاف، أو فى معبد نتوا الذى هو المعبود الأول لدولة بونو . ونتوا إله السماء وهو إله الطقس أيضاً كما هو إله المطر والعواصف والبرق وأشعة الشمس والحربة ذات الشعبتين التى كانت تستعمل فى احتفالات صنع المطر تخص الملكة : الأم أو الإله .

ثم جلست لأتحدث مع شيوخ القرية دون الزعيم الذى اعتذر عن نفسه . وبعد الحديث سألت عما إذا كنت أستطيع أن أرى ثانية الأجزاء التى سبق أن رأيتها عام ١٩٤٦ من المدينة القديمة . أعرف أن ليس هناك ما يرى ، إذ إن المنازل التى بنيت من اللبن قد أحرقها سكانها حين قدم الأشانتى . وما نجا من الحريق جرفته الأمطار منذ مدة طويلة. ولا يوجد الآن سوى أشجار كثيفة نمت فى الموقع. ولكنى تذكرت أن ما تسوهينى كان قد أرانى شجرة التقطت من تحتها بعض الأوستراكا . وأنا الآن أريد إذاً لآخذ بعضا منها معى . وهى شجرة متوسطة الحجم وليست عملاقة قاومت الكارثة وقسمت الطريق الرئيسى إلى طريقين .

وكنت على وشك أن أذهب مع الشيوخ إلى الشجرة حين عوقنا حارس الاستراحة فى نكورانزا . وكنت قد أخذته معى — على الرغم من إرادتى — وقد شككت فى أمره فيه ،وشاركنى أنكوما فى شكى فيحتمل أن يكون جاسوساً فى خدمة نكورا نزاهينى أدكور ونق هينى وكلاهما لا يثق بى . ولا شك أنه قد أعطيت إليه تعليمات ليكشف عما إذا كنت أمارس نشاطاً سياسياً . وإذا كان الأمر كذلك فعليه أن يحول دونه مهما كان الثمن. ويحتمل أن يكون قد ظن أني سأحاول أن أثير فى شعب بونو فى نكورانزا اهتماماً بمملكتهم القديمة أو أخلق فيهم الرغبة فى أن يحكمهم مرة أخرى ملك من أسرتهم القديمة أى النانا . ولست فى حاجة إلى أن أذكر أنه لم تكن عندى مطلقاً رغبة فى إثارة المتاعب فى دولة نكورانزا . فنظرت إلى حارس الاستراحة ولاحظت القلق الذى بدا فى عينيه ولكنى غضبت حين أصر فى هذه المرة الأخيرة على أن لا أذهب . لقد ذهبت فى المرة السابقة مع مانسو هينى لأرى الشجرة ولأرى بقايا الأوستراكا . ولا شك أنه خاف أن أتحدث مع واحد أو أكثر من الشيوخ حديثاً لا يستطيع هو أن يستمع إليه . وقد ندبر معاً مؤامرة يقع اللوم عليه من أجلها . ولم أدر كيف أتصرف . إنى أستطيع ولا شك أن

أتجاهله ، ولكنى لم أرغب أيضاً فى أن أضع الشيوخ فى مصاعب ، هذا إلى أن الشجرة تبدو بعيدة . والبرد يتملكنى ولم أكن لأتحمل السير طويلا فى الشمس . ولذا فضلت العودة فاستراح كل إنسان لذلك ، لأنهم جميعاً كانوا يرغبون فى الراحة والشراب ، ولم يبد شىء من الانتصار فى عينى حارس الاستراحة لأن شيئاً قد حجبنى عنه .

كانت الساعة الرابعة حين عدت من مدينة نكورانزا وأنا أكاد يغمى على من فرط التعب ، فذهبت تواً إلى سريرى بعد أن ودعت أنكوما الذى كان لا بد أن يعود إلى تكيمان ووعدنى أن يعود فى اليوم التالى ولكن حين استيقظ كوبنى وجد حرارته مرتفعة . بينما كان ارتفاع حرارتى قليلا بالنسبة إليه ، فأرسلت إلى أنكوما رسالة أدعوه فيها إلى الحضور حين يشعر بالتحسن .

الفصل السادس

فبراير

مرض النانا

بعد أربعة أيام عاد انكوما إلى نكورانزا يحمل أخباراً بأن النانا مريض فتشاورنا فى عيادته بعد الظهر . وكان من رأى انكوما أن أنتظر حتى يطلب منى ذلك . وكنت على وشك أن أبرح الاستراحة فى صباح اليوم التالى حين قدم رسول من مكتب البريد يحمل إلى رسالة أن أتصل تليفونياً بالقصر فى تكيمان بسرعة . فاتجهت إلى مكتب البريد ، وكان على بعد دقيقتين فقط ومعى انكوما لحاجتى إليه ليشغل موظف المكتب عنى — وهو شقيق نكورانزاهينى — حتى أنتهى من مكالمتى فلا يتسمع إليها .

وكان المستر اوزو على الطرف الثانى من الخط ، وهو الذى كان يعمل مندوباً للنانا عندما وصلت للمرة الأولى إلى كوماسى فى شهر أكتوبر . وأخبرنى أن النانا مريض ويرغب فى أن أذهب إليه لأراه . واعتذرت بموعد بينى وبين نكورانزاهينى — لسوء الحظ — هذا الصباح كى أشهد بدء احتفالات آبو . فى سسيمان Seseman ووعدته بأن سأذهب إليه بعد الظهر قبل الخامسة ، ووافق أوزو على ذلك ، ولكن لما كان النانا لا يرغب فى أن يعمل شيئاً دون استشارتى ، سألنى أوزو عما إذا كنت أرى أن يستدعى الدكتور ارماتو Armatto من كوماسى ، إذ رفض النانا أن يستدعى طبيباً من مستشفى سنيانى الذى عولج فيه أخوه المتوفى . وكنت أعرف الدكتور أرماتو جيداً فهو ايوى ، من توجولاند ولم يكن طبيباً ذا تجربة طويلة

فحسب ، إذ مرن مدة طويلة فى أيرلنده ، بل كان مؤلفاً لعدة كتب ومؤسساً لمركز أبحاث لوميسى Lomeshie لعلم السلالات فى لندندرى ، فأوصيت به بحرارة ولكن لما كان وصوله من كوماسى متعذراً قبل الظهر أوصيت أن يظل النانا هادئاً على أن يتناول بعض الأسبرين والكينين على أن أصل مبكرة ما استطعت .

وعندما عدت إلى الاستراحة بعد زيارة نكورانزاهينى وجدت رسالة أخرى من أوزو يرجو فيها أن أذهب فوراً إلى تكيمان فرحلت تواً مع انكوما ، ووصلت إلى باب القصر بعد أربعين دقيقة حيث وجدت العريف كو ـــ سى ينتظرنى ، فصحبنى ومعى انكوما إلى غرفة نوم النانا وكان الوصول إليها عن طريق فناء صغير يؤدى إليه فناء الاستقبال ، وكان هناك ناس كثيرون ، كما جلس كثير من نساء النانا حوله دون نظام ، بينهن أم الصغيرة إيفا والصغيرة بين ذراعيها بينما وقف الأمراء والشيوخ جماعات صامتين والحزن باد على وجوههم . وانتظرت حتى أخبر كوسى النانا بوصولى . فدخلت ثقيلة القلب .

كانت الغرفة ضيقة سيئة التهوية مطلية باللون الأبيض أقرب إلى أن تكون صومعة راهب من أن تكون غرفة نوم ملك ، جلس فيها كثيرون ، فأومأت إلى الشيوخ برأسى وحييت الملكة الأم . والأميرات وكبار السن وقد جلسن على كراسى منخفضة حول سرير النانا وقد أثقلهن الحزن جميعاً . وكان المنظر شبيهاً بمنظر ميت . كان النانا مستلقياً على السرير ، وعلى فمه ابتسامة باهتة عندما سلمت عليه بالتحية بلغة توى وسألته عن حاله فشكرنى بحرارة لمجيئى . وجلست على المقعد الذى قدموه لى . وتقدمت أقيس حرارته ، وساد الصمت الغرفة وتتبع كل منهم حركاتى باهتمام كبير .

كانت حرارته ١٠٢ درجة فهرنهيتية ، وهى ليست مرتفعة فظننت أنها الملاريا . فسألته ـــ كما يفعل الطبيب الماهر ـــ عن موضع الألم ، واطمأننت حين أخبرنى أنه لا يشكو

غير الصداع وآلام الظهر ، وهى عوارض الملاريا . ولم يبد على الملك مرض إذ كان بياض عينيه لا يشوبه اصفرار ، وربما كان مرضه ناتجاً عن أمر الإبعاد وقرار شعبه بالهجرة تاركين الأرض ، والمسئولية التى حملها على عاتقه بمنحى حرية العمل ، كل هذا كان كثيراً عليه .

ولما أخبرونى أنهم لم يستدعوا الدكتور أرماتو إذ صمم الشيوخ على أن يحفظوا أمر مرضه سراً ، وعلى ترك أمر علاجه لى ، كانت هذه مسئولية جديدة ألقيت على . ولكنى لم أجد بداً من قبولها ، فعدت ونصحت بالراحة وإعطائه جرعات من الكينين وتركت لهم بعض (الفيجانين) الذى أحضرته معى ، لتناوله إذا عاوده الصداع وآلام الظهر . وكنت على وشك أن أذهب عندما أخبرنى أوزو أن الملك أخذ تسعة أقراص من م . ب ٦٩٣ اشتراها من السوق السوداء بسعر شلن للقرص الواحد . ليقضى على كل ميكروب عنده . وكنت أعرف هذه الأقراص فقد جربتها بنفسى فى بعض أدوار الملاريا . كانت تسعة أقراص جرعة قوية فانصب علاجى على تخليصه من آثار هذه الجرعة الكبيرة . فقلت لأوزو إنه من الأصوب أن يتناول كميات كثيرة من الماء ، ليتخلص من هذا الدواء . وحاولت أن أطمئن من بالغرفة فأخبرتهم أنه سيعود إلى حالته الطبيعية قريباً وعدت مسرعة إلى نكورانزا .

وعدت فى اليوم التالى إلى تكيمان . وأقمت فى الاستراحة ثانية ،ثم ذهبت لأرى النانا ولكنى علمت من كوسى أنه ترك المدينة فدهشت وذهبت لأرى أوزو الذى همس لى بآخر الأنباء ، فقد أراد كثيرون أن يطمئنوا على أن النانا حى أو على الأقل ليس مرضه خطيراً ، فقلق الشيوخ وانزعجوا فقرروا أن يخفوه ما دمت قد أكدت ضرورة راحته . فنقله جياز هينى فى الليلة السابقة إلى منزله فى اكروفروم . وأخبرنى أوزو أن مأمور المنطقة سمع بمرض النانا وأنه قدم ليراه ومعه أحد رجال الدين من البعثة الكاثوليكية لمعالجته . ولكنه حين رأى أنه لا يريد أن يعالجه أحد غيرى .

أخبر الأمور أن ليس هناك من مرض نزل بالنانا ولكنه خرج للعمل . لم يسرني هذا لأنى أعرف أن الأب كان عارفا الطب أكثر منى . وكم كان يسرني أن أتخلص من مسئولية علاجه . وقلت لنفسى إنه إذا ساءت صحة النانا فإنى أستطيع أن أصمم على استدعاء الطبيب ، ولكن سرعان ما أدركت أن شقيقه المتوفى ، قد مات بسبب تأخر عرضه على الطبيب ،عولت على أن أذهب إلى أكروفروم وسرنى أن كان أوزو خالياً من العمل يستطيع أن يصحبنى .

ولما وصلت إلى حيث كان النانا يرقد كان علينا أن ننتظر حتى يقدم من يفتح لنا الباب الكبير المغلق ، كما كان علينا أن ننتظر بضع دقائق أخرى فى الفناء حتى يعلن الخدم وصولنا إلى النانا . وأخيراً دخلنا إلى غرفة مشمسة جيدة التهوية مؤثثة بسرير مريح ، وبدا النانا تعباً ، ولكنه أخبرنى أنه نام نوماً عميقاً ، وأنه الآن يشعر بالتحسن . ووجدت حرارته ١٠٠°ف فارتحت لذلك . فلم أرد أن أعطيه دواء آخر سوى الكينين ،ولكن هذا أزعج أوزو وطلب إعطاءه الفاكهة المسهلة ، فوافقت لأنها لا تضر . ولكنى رجوتهم أن تكون الكمية قليلة جداً . وأكدت ما طلبته قبل ذلك بيوم من ضرورة شربه كميات كبيرة من الماء . ولابد أنه أخذ عدة جالونات لأن كومي أخبرنى أن النانا كان يتبول طول الليل. كما أصررت ـ كأنى طبيب عظيم ـ على وجوب الراحة وأضفت أنه لن يكون احتفال النكيفى Nkyifie ويقام أول يوم من احتفال أبو فى تكيمان وكان موعده فى اليوم الثانى ، وكانت طقوسه تتم بحضور النانا ، وله دور فيه ، لأنه يجدد شباب روحه الواهبة للحياة (كرا) وأرواح أجداده ، ولذا أصررت على أن تركه السرير مضر به ، وأخبرته بذلك فضحك وقال إنه سيؤجل الطقوس أربعين يوماً . وحين وصلت الملكة الأم ومعها حاشيتها أردت أن أذهب ولكن النانا رجانى أن أمكث قليلا لأنه يريد أن يخبرنى بشىء عن احتفال نكيفى . فهززت رأسى رافضة لأنه كان قد تكلم كثيراً وأولى به أن يحتفظ بقوته ، فوافق ، ومن ثم استدعى أحد

أتباعه من الغرفة المجاورة المتصلة بغرفة نومه وهمس فى أذنه بشىء وبعد ثانيتين أحضرت زجاجة من روم مانجوستان وسلمها النانا إلى ، وظننت أنه يعنى بذلك مصاريف العلاج ولكنها كانت هدية لأشربها فى احتفال النكيفى .

وبعد الظهر ، بينما كنت أكتب مذكراتى فى الاستراحة جاء لى فى الاستراحة على غير موعد سابق — أوزو — وفى صحبة أمبوما كاتب الخزانة فى سيارة أجرة حاملين رسالة أحضرها أحد أتباع النانا من أكرا ، وقد وجه أوزو إلى الخطاب باسم الملكة الأم (نانا كرووا) وأن أفتحها وأقرأها ، وإذا ما فعلت وجدت محتوياتها هامة فأخبرته أنه إذا شعرت النانا بتحسن فلا بد من إطلاعه عليها . ووافق أوزو. واقترح فى هذه الحالة أن أذهب إلى أكروفروم وآخذ معى نوبودوم هينى ما دامت الأخبار خاصة به ، ثم أضاف أنه سيتصل به فى هذا الشأن ، فكانت فكرة جميلة .

ولما وصلنا فى الصباح التالى إلى أكروفروم ارتحت كثيراً حين وجدت صحة النانا قد تحسنت وكان يرقد فى سرير فى الفناء يتمتع بالصباح المنعش وكانت درجة حرارته طبيعية ، وحين سمع أن هناك بعض الأمور الهامة ليناقشها أمر بأن يعاد إلى غرفة نومه ، فساعده بعض الخدم على ذلك بينما كنت أتحدث مع نيفاهينى وتانو سوهينى اللذين اتفق وجودهما فى هذه اللحظة وذهبنا جميعاً إلى غرفة نوم النانا . ولم يطل الوقت حتى ناقشنا مسألة حضور الدكتور دنكوا الذى كان مستشاراً للملك فى الأمور السياسية ليتخذ الخطوات الضرورية .

احتفال النكيفى فى الدغل المقدس فى تكيمان

بعد ظهر ذلك اليوم شغلنا فى الكتابة فى الاستراحة وامتلأت المائدة الكبيرة

فى غرفة الجلوس بالأوراق ، والمذكرات . وفى الساعة الخامسة انزعجت حين ظهر أمامى أنكوما يصحبه كاتب الخزانة يسألنى أن أذهب حالا إلى الدغل المقدس فقد بدأت احتفالات النكيفى ، فأزعجنى ذلك فقد ذكر لى النانا أمس فقط أنه سيؤجل احتفال أبو ولم أفهم لماذا غير رأيه . ولم يعطنى أنكوما أية إيضاحات بل قال إن الوقت قصير ولن يسمح لى بأن أبحث فى الأسئلة التى جهزتها بشأن نكيفى . فنزلت إلى عربة التعاون التى حضرا بها ووصلنا بعد دقائق إلى مزرعة الكاكاو بالقرب من مفترق الطرق ، فترجلنا ثم نزلنا وسرنا خلال زراعة الكاكاو إلى الدغل الذى تمت أشجاره حول خرائب مدينة تكيمان القديمة . وعند ما وصلت إلى مدخل الدغل وهو فتحة ضيقة فتحت خلال أشجار الغابة . قابلنا كورنق هينى يتبعه صف طويل من الأتباع يحاصره شعب بانمو Banmu وهو الموكل بحراسة الدغل والاعتناء به طالبين ثلاثين شلناً لأجل النذور وهى من حقهم . وذهب كورونق هينى وشعبه ودخلت ومعى أنكوما متسماً مستديراً وسط الدغل حيث كان الناس مجتمعين .

وفى وسط المتسع كان هناك كثيب على هيئة القبر وهو يمثل قبر آخر ملوك بونو نانا أمياو كواكى الذى يقال إنه انتحر فى هذه المنطقة . بعد أن هزم فى حربه مع الأشانتى (١٧٤٠) وفى طقوس نيكيفى يكرم بصفة السلف العظيم الذى ورث منه الملك ملكه الإلهى .

وفى العادة يقام على الكثيب — وهو مخروطى الشكل مقبب ، سقيفة من الحشائش الطويلة تعتمد على سبعة أعمدة مزينة أجمل زينة برموز مقدسة . وقد زينت نفس النقوش الحائط المنخفض الذى يربط الأعمدة بعضها ببعض فى أسفل ويبلغ ارتفاعه ثلاثة أقدام فقط . وفى هذا الحائط فتحة تؤدى إلى الداخل وكان هذا الحائط مستطيل الشكل وعليه كلمة هيروغليفية معناها منزل . ثم فى سنة ١٩٥٠

استبدل بالسقف الذى كان من الحشائش الجافة آخر من الصاج المضلع يعتمد على أعمدة خشبية مكان الأعمدة العادية كما صنع الحائط المنخفض من الخشب ووضع بمحاذاته من الداخل مقاعد خشبية وعلى هذه المقاعد المتلاصقة جلست الملكة الأم . وجياز هينى الذى كان يمثل النانا ، فى الطقوس وبافوهينى الذى عهد إليه بالنذور والهدايا التى ستقدم إلى آخر ملوك بونو . وهو الذى سيرحب بالنانا باسم الملك المتوفى . وإلى جانبه جلس رئيس حاملى العرش وحارس معبد العروش . وهو يمثل الأسلاف الملكيين ثم سانا هينى الذى فى عهدته البودو Pudao أو الحلى التى تمثل الروح (كرا) روح الأسلاف الملكيين واهبة الحياة . وقد سرنى أن وجدت أوكيام بونج رئيس المتكلمين باسم النانا وكذلك اكوامو هينى وتوامو هينى (كواسى دوزو) واثنين من شيوخ النانا اللذين لهما حق الجلوس لكونهما من شيوخ العشائر الملكية .

ذهبت لأحيى هؤلاء الذين جلسوا على عروشهم أمام (المنزل) وهم توبودوم هينى وأدفومان هينى ونانو سوهينى وأبو كوهينى الذين مثلوا سلالة الملك . والمتكلم باسم الملكة الأم . وغير بعيد عنهم جلس تيفاهينى تحت مظلة يحيط به أتباعه وكيودوم هينى الذى شغل أسلافه وظائف قواد الجيش تحت مظلة أخرى فى وسط أتباعه . ثم الكاهن الأعظم لتا كيسى كوفى موسى يحيط به بعض كهنة تانو وأخيراً كورونق هينى ومعه شعبه أيضاً يكونون مجموعة لقرى بعيدة .

وقبل أن أقدم تحياتى إلى هؤلاء البعيدين وإلى جمهور الشعب الذى اكتظ حول حافة الرحبة ، طلب إلى أن أتجه إلى (المنزل) وقدم لى وأنكوما مقعدين لنجلس عليهما وأخبرونى أن الطقوس ستبدأ فجعلت أتلفت حولى بانتباه . وقد جلس كل منهم ناظراً إلى الأرض . وأتى بجفنة ملئت بخمر النخيل ، من آنية كبيرة من الفخار. وأعطيت الجفنة إلى وطلب منى أن أسكب القربان الأول . فترددت أولا ونظرت

إلى المليكة الأم ثم إلى انكوما . إذا أردت ألا يسبغ هذا الشرف الكبير على .
وأخبر أن بانكوما تمتمت بالصلاة التى تنتظر منى وسكبت القربان لآخر ملوك
بونو (نانا أمياو كواكى) ثم أخذت منه جرعة ، وأخذ منى باتموهينى الجفنة وملأ
كؤوس القربان للجالسين حول القبر . وأديرت الجفنة ليشرب منها كل واحد من
الحاضرين ، بينما كان المنشدون يتغنون بمدح الملك الميت وأسلافه الملكيين عامة
وكان على أن أقدم هبة ، فأخرجت زجاجة الجن التى أحضرتها لهذا الغرض .
وسكبت بعضها فى الجفنة الفارغة الجديدة . وفى هذه المرة سكب بانوم هينى القربان
وصلى طالباً لى العمر الطويل ، والتوفيق فى عملى ، ثم صب بعض الجن فى كؤوس
القربان حول القبر وأديرت الجفنة مرة أخرى ، وأخذت فى جرعة كما فعل الآخرون
وسكبت بعضها على الأرض من أجل الأسلاف الملكيين .

وبعد ذلك قدم ناس آخرون كانوا قد تأخروا وتقدموا إلى (المنزل) ليحيوا
من كان جالساً هناك وكان بينهم كاهن كونتنسو وصديقتى القديمة تأنوسوهما تتبعها
خمس أوست كاهنات وانحنت الكاهنات أمام كل فرد وكان منظرهن وهن يتحركن
أشبه بفراشات . وعندما تركن (المنزل) بدأن الرقص وبعد دقيقة من بدء الرقص
دخلن فى حالة اللاشعور . وكان علينا بعد ذلك أن ننتظر حتى تطبخ رئيسة سيدات
باتمو ونساؤها القربان بينما كنا نحن الذين جلسنا فى (المنزل) نتحادث فى مختلف
الموضوعات ، فسألونى عن تجاربى فى نكورانزا ، وسألتهم جملة أسئلة عن آبو فكنا
أشبه (بشلة) ولكن سرعان ما صعبت المناقشة ، بسبب عدم وجود موضوعات نتحدث
بشأنها فقد سألت عن أشياء كثيرة ولكن دفترمذكراتى لم يكن معى فكانت الأسئلة
دون فائدة .

وبعد برهة طبخت القرابين وأحضرت فى آنية كبيرة من الفخار وقام باتموهينى
وأخذ الملعقة الذهبية الخاصة بمنصبه وغمسها فى الإناء وملأ أربع أوان صغيرة

(بالابيتو) وهو من اليام المهروس، و (الفوفو) وهو من اليام المضروب. وتلا صلاة
قصيرة للملك المتوفى ، ووضع الأوانى الأربع حول القبر بحيث تكون صليباً، ثم أحضر
كبش أبيض وذبح قرباناً أمام المخروط المقبب . قام بذلك اثنان من حاملى العروش بحيث
يجرى دمه عليها ، وإلى كئوس الهبة والقربان وأوانى الهبات ، وسحبت الذبيحة إلى
الخارج ، وأحضر كبش آخر مماثل للأول وضحى به بنفس الطريقة وقطعت الذبيحتان،
وأعطيت بعض الأجزاء الداخلية التى لها ميزات خاصة إلى رئيسة السيدات باتمو
لتطبخها ، أما بقية اللحم فقطع إلى الأجزاء التقليدية المعروفة ووزعت على منازل
الشيوخ حتى تشارك أسرهم فى الأكلة المقدسة . وكان علينا أن ننتظر طبخ هذه
الأكلة المقدسة التى سوف يتقاسمها الأحياء والملك المتوفى من أجل تجديد العلاقة
بينهما ، وهى تتكون — علاوة على لحم الشاتين — من بعض البقول والخضراوات
وعش الغراب والطماطم ، والفول السوداني ، وقد قدرت أن تستغرق عملية الطبخ
زهاء الساعة إن لم يكن أكثر .

ولذا رغبت عن الجلوس هناك ، غير قادرة على التحرك لا أدرى ماذا أقول .
فنظرت إلى الشمس ، التى كانت على وشك الغروب ، فتملكنى الخوف وظللت طول
الوقت الذى جلسته هناك أفكر فى الملك المتوفى . فقد أخبرت أن هناك فتحة فى
أعلى المخروط تؤدى إلى داخل القبر حتى يستطيع المتوفى الإصغاء إلى ما يجرى من
فوق ، كما عرفت أنه لابد أن يكون بالمخروط هيكل عظمى على الأقل ، وتصورته
كهلا يتهيأ للإنصات . وحاولت أن أتغلب على قلقى المتزايد ، فإذا لم أتركهم
الآن فسوف يستحيل على الرحيل ، ولكن يتحتم على أن أستمر حتى النهاية فالظلام
سوف يخيم وحينئذ لن أستطيع أن أسير وحدى خلال الغابة ، والخرائب تحت
أقدامي .

وظللت مترددة أفكر فيما يلى ذلك من طقوس ، فالطعام سوف يحضر، ثم يقوم

جياز هيني مثلا للنانا ليتلو صلاة لأجل صالح الدولة ثم آ كل الثلاث لقمات التقليدية
ثم يأتي بانمو هيني ويملأ الثلاث أوان ليهب الطعام للملك المتوفى ، وبعد ذلك يأتي
دور الملكة الأم وكل المجتمعين فى (المنزل) ، كل بدوره يتناوبون الصلاة لصالح
عشيرتهم ، ويأخذ كل منهم ثلاث لقمات من الإناء الكبير الذى كان مصنوعاً فى الماضى
من الذهب . ثم تحمل الآنية الفخارية وبها الايتو والفوفو إلى الخارج ليوزع بعض
ما بها على المجتمعين فى الدغل وبينهم عامة الشعب الواقف حول الفناء ، حتى يساهم
كل منهم فى الأكلة المقدسة . وبينمايدور ذلك يقوم كل واحد من الجالسين فى (المنزل)
قربانه إلى أسلافه . ويختم الحفل بالصلاة التى يقولها اكيام هينى رئيس المتكلمين
باسم الملك . وهى صلاة الختام . ثم تعطى الملكة الأم إشارة بدء البرنامج الترفيهى
لأن الأسلاف قد قبلوا الهبات ليكون هناك محصول طيب وسعادة للدولة (١)
وينصرف الحاضرون .

ونظرت إلى الجماعة المجتمعة فى (المنزل) وإلى القبر الملطخ بالدم وكئوس
القربان وأوانى الطعام ولم أشعر بشىء من الهدوء والتفت إلى أنكوما أسأله
بصوت منخفض عما إذا كانوا يعتبرونها إهانة للملك المتوفى إذا تركت المكان قبل
انتهاء الطقوس، فهز أنكوما كتفيه وقال إننى أستطيع أن أنصرف كما يتراءى لى لأنى
ملكة أم ، وبعد لحظة من التفكير رجوت أنكوما أن يخبر الجمع عن رغبتى فى
الانصراف، وسادت الدهشة لحظة ، ولكن لم يسألنى أحد عن السبب، أو يطلب منى
أن أطيل مكثى .

فالمرأة عند الأكان،لا الملكة الأم فقط،تستطيع أن تترك الاجتماع أو الحفل دون
أن يسألها أحد. ودرت حول الدائرة مسلمة على الحاضرين جميعاً . وتركت (المنزل)

(١) للطقوس الكاملة ووصفها انظر The Divine Kingship, ص ١٤٦ — ٤٩

كما حييت الواقفين فى الخارج . وشعرت بالراحة حين اجتزت المدخل ووقفت مرة
أخرى على خرائب المدينة القديمة . وكأننى شككت فيما أشعر به من الراحة فسألت
أنكوما مرة أخرى عما إذا كنت قد ارتكبت ذنبا يوجب على أن أعود ، وكنت
مستعدة لذلك . ولكنه لم يقل شيئاً ، فوضعت ذراعى فى ذراعه لأتعجله لأن الظلام
كان قد أقبل .

وقطعنا ثلاثة أرباع الطريق خلال الأشجار المظلمة ، حين اعترضنا رجلان لم أفهم
لماذا يصرخان ، ولكن من ملامح وجهيهما ظننت أنهما يقولان (كيس تقودك
يا سيدتى) إذ التقطت أذنى كلمة سيكا suka ومعناها ذهب . أو نقود . فشعرت بأنى
أريد أن أضربهما ولكنى ضبطت نفسى وأنصت بصبر ، ومضت مدة دون أن يبدو
على أنكوما أنه يريد أن يخبرنى الحقيقة فودعتهما وهممت بالانصراف حين سادت
الدهشة ثلاثتهم . وأخيراً أخبرنى أنكوما أن الشابين يريدان أن يخبرانى أنى أقف
على أرض مقدسة ، وأن مدينة الموتى تحت أقدامى . وحتى هذا اليوم توجد فى الأرض
أوانٍ صغيرة دفنها الأهالى حين هاجم الأشانتى المدينة فشكرتهما ، وسحبت أنكوما
وانصرفنا مسرعين قدر استطاعتنا لنصل إلى الطريق الرئيسى .

كان كل شىء هادئا فى الطريق الرئيسى والليل مقبل ، وذهبت سيارة التعاون
وكان كويتى فى المدينة بعد أن أعفيته من العمل بعد الظهر ، فسرنا صامتين . وعند
مدخل الاستراحة سألت أنكوما عما إذاكان يرغب فى شراب فيدخل ولكنه رفض
شاكراً ، وجعلت أرقبه حتى اختفى فى الظلام . ونظرت إلى الاستراحة وهى كامنة
فى ظل تل الإله بوتين Botene الحارس . وكان سانتوس جالسا والمصباح عند قدميه
وعلى ضوئه الخافت ينسج لنفسه شبكة صيد كان يريد أن يهديها إلى أسرته ، فهو
ككل إيجاوى Ijaws من دلتا النيجر يعمل فى الصيد ، وقد عمل فترة من حياته
طباخاً وخادماً . وقد بدأ نسيج الشبكة وهو فى كوماسى عند ما كنت مريضة

ووصلت الآن إلى ساحة كبيرة فأومأت إليه ودخلت إلى غرفة الجلوس بينما كان
منهمكاً فى عمله . وفى غرفة الجلوس تناولت شيئاً من الشراب ولما كنت أشعر
بالتعب خرجت إلى الحديقة . وعندما رأيت سانتوس منهمكاً فى عمله ولا يراقبنى
تسللت خارجة لأمشى فى طريق نكورانزا ، لأنى لم أكن أحتمل فى هذه الساعة
أن يغلق على باب غرفة .

كانت ليلة حالكة الظلمة لم يبد فيها القمر إلا لماما . وبدت التلال عن يسارى
سوداء بينما بدت الغابة عن يمينى مهددة . والطريق كشريط أبيض ملىء بالتراب
فسرت فيه ميلا بعد ميل بسرعة ، سعيدة بالصمت حولى . ولكن أتت الساعة التى
أصبحت فيها متعبة ولا بد أن أقف ، وتمددت لحظة بين الأشجار ولكنى خشيت أن
يكتشف سانتوس غيابى فيعطى إشارة الخطر ويخرج الناس للبحث عنى ففضلت
العودة، حتى إذا وصلت إلى حديقة الاستراحة كان سانتوس عاكفاً على نسج شبكته ،
فتسللت إلى الحجرة ودعوت سانتوس ليعد لى العشاء ، فبدأ يعمل دون أن يلحظ
تأخيره عن موعده . وعندما وصل كوسى حارس الليل ، (كان هناك ستة من
الحراس يتناوبون الحراسة) انسحبت إلى غرفة النوم ، بينما وضع سانتوس وكويتى
حصيرتيهما أمام الغرفة وجلس كوسى على سرير قديم من الخيزران أمام المدخل،
وسرعان ما استغرق سانتوس وكويتى فى النوم ، وأصبحت أقل حركة مسموعة فى
الاستراحة ، وجميع النوافذ عدا تلك التى فى غرفة الجلوس مفتوحة. وكذلك
البابان اللذان يفصلان بينى وبينهم مصراعاهما مفتوحان . واستيقظت قرب الصباح
على جلبة فتطلعت من النافذة وناديت سانتوس وكويتى وكنت أسمع صوتهما، لكنهما لم
يلتفتا إلى . ثم اندفع سانتوس إلى من الجراج ليخبرنى القصة. لقد وجد رجلا غريباً فى
السيارة (لم يكن الجراج أكثر من عريش) وأنه حاول قيادتها ، ولحسن الحظ سمعه
كويتى ، وبعد صراع يسير معه صرعه بضربة وقيد يديه وساقيه وساقه إلى سجن تكيمان

وجاء أنكوما ليخبرنى أن السجين رجل معتوه ، من بلدة قريبة فى طريق
نكورانزا كان يلقى أحياناً متجولا هنا وهناك . وعندما كان يجىء إلى تكيمان كانوا
يقبضون عليه يوما أو يومين حتى يهدأ. ثم يعيدونه إلى أسرته ، وفى المرة الأخيرة نبه
على أسرته بأن تحبسه عندها حتى أرحل ، وتصادف أنه لم يستطع قيادة السيارة وكان
طبيعياً أن أكافىء كوسى لانتباهه لاسيما وقد نالته ضربة ازرقت لها عينه . ولم أكن
أعرف قبل ذلك كيف يكون الزنجى أزرق وكافأه النانا أيضاً حين سمع بالقصة ، وفى
لحظة أصبح بطلا .

زيارة النانا فى اكروفروم :

ومكثت اليوم التالى فى الاستراحة إذ لم تكن بى رغبة فى أن أرى أحداً حتى
النانا بعد أن هربت من الدغل المقدس فى اليوم السابق ، ولكن كان لا بد لى
أن أذهب فى اليوم التالى إلى أكروفروم . ذهبت كعادتى أبحث عن أنكوما ،
إلا أنه لم يكن موجوداً ، فكانت عقبة ليس من السهل التغلب عليها وزاد انزعاجى
أننى لم أهتد إلى أحد يعرف مكانه . وأخيراً وجدت من يهمس فى أذنى أن أنكوما
قد اختفى ، ولكن يمكن العثور عليه فى مكان معين ، فذهبت لتوى إلى هذا المنزل الذى
لم يكن بعيداً فوجدته راقداً على حصيره ومشتركاً فى حديث وراء ستار من الخرز
مع فتاة تجهز طعاماً له . فاعتذر ولكنه رفض أن يتحرك . ولم أدر كيف أتصرف
معه . وظننت أنه كان له شأن فى تركى الدغل المقدس ليصبح هو المسئول عن ذلك .
ولكنه أنكر بشدة، وعندما أخبرته عن رغبتى فى الذهاب إلى أكروفروم لأشكر
النانا على دعوته لى للاحتفال ، وسألت عن عذر أبديه لغيابه رضى أن يخرج
من خبائه .

وما أن وصلنا إلى أكروفروم حتى أدخلونا الفناء حيث كان النانا راقداً
على كرسى من القماش ، تغطيه السجاجيد . وسررت لحسن صحته ووجدت

درجة حرارته طبيعية ، وهو يشعر بتحسن صحته ؛ فأخبرته عن تكيفى وكيف أننى أحسست بغيابه ولكننى لم أقل إنى تركت الاحتفال مبكرة . وبدا لى أنه لا يعرف . وبينما كنا نتحادث ، وصل بعض شيوخ كان من بينهم أوفومان هينى المتكلم باسم الملكة الأم . ومكثت مدة أطول حين طلب النانا منى ذلك . ثم تركته لأزور الكاهن الذى ولد الإله الجديد . فوجدته — ومعى أنكوما يرقص أمام المحراب وقد طلى نفسه بالبياض من رأس إلى قدم — قابضاً على سيفه مستغرقاً فى غيبوبته . وسرعان ما تبيننى وقدم يسلم على ، ولكنه كان يرتعش فى قوة ولا يستطيع أن يركز عينيه فألقى بالجفنة المملوءة بالجير الأبيض على ليطهرنى ويباركنى ، ثم ألقى ببيضة على الأرض ليقرأ بعض الصلاة ، وأومأ راضياً ثم أعلن للجمع ، وكان جمعاً كبيراً قد التف حولنا ، إن روحاً طيبة قد تقمصتنى .

واتجهنا إلى سيارتى فتبعنى بعض النسوة اللائى صحبن الكاهن فى رقصه بالأغانى وضرب الطبول . وأخيراً جمعن شجاعتهن ليسألننى أن أرقص لهن ، إذ إنهن سمعن أنى راقصة مجيدة . ولما كنت لا أحب الرقص غير المصحوب بالموسيقى، لم أسر لعرض رقصى، ولكن أنكوما أفهمنى أن طلبهن هذا إكرام لى ، فيجدر بى ألا أعتذر . فأخذت من النساء قطعتين استعملهما كالصاجات وبدأت أرقص شيئاً يمكن وصفه بأنه أسبانى ، وكانت الأرض رملية ولم يكن لى فيها حرية الاختيار . وللمرة الأولى فهمت لماذا يدقون أرجلهم كثيراً فى الرقص الأسبانى .

وحين انتهيت هلل لى رجل عجوز مهلهل الثياب كأنه متسول ، يلبس قميصاً ممزقاً وسراويل طويلة قذرة تملأها الثقوب ، وتمنطق بحبل وجعل يتحسس قطعة من ذات ستة البنسات ، حتى وجدها وأخرجها ورماها لى . ولا بد أنها كانت ثروة له . وأمسكت بالقطعة فى يدى وأريتها للجميع . ودفعتها إلى فمى كأنى أقبلها . وفى الوقت الذى توجهت فيه إلى الرجل وانحنيت له . وكأن الرجل قد شعر بزهو فاندفعت

الدموع إلى عينه وكرر شكرى بحرارة . وكانت النساء أقل حماساً وكنت أشعر وكأنى قد خيبت ظنهن فشكرتنى ببرود . وكان على بعد ذلك أن أعطيهن أربعة شلنات تعبيراً عن شكرى على دعوتهن لى للرقص . وعندما عدت إلى السيارة قال كويتى وقد انضم إلى أنكوما خلال رقصى — إنى رقصت رقصاً جميلاً . فشعرت وكأنى قد أخذت ، ولم أدر بماذا أجيب . وهز أنكوما رأسه مدققاً وقال (نعم جميلا جداً) وعدنا إلى تكيمان وأوقفنا العربة بجانب رجل طويل أنيق بدا يناقش أنكوما بشدة . ورفض أنكوما أن يخبرنى بموضوع المناقشة فأشرت إلى أوزو وقد وقف يتكلم مع أحد الناس على الرصيف المقابل ، أن يذكر لى ما يحدث ، وبذلك تسنى لى أن أعرف القصة . وكان أنكوما قد ضمن شخصاً معروفا فى المدينة فى دين عليه لهذا الشخص الطويل ، ولم يستطع المدين الوفاء بالدين فأتى صاحب الدين يسأل أنكوما دفع الدين عنه وكان بضعة جنيهات ولم يكن أنكوما يملك شيئاً ، كما لم يشعر بواجبه أن يدفع دينا لم يستدنه ، وأخذ يتهرب منه ولكنه قد وقع . وكنت فى هذا الوقت أحمل ثلاثة جنيهات أعطيتها لأنكوما ليمنع صاحب الدين من الذهاب إلى النانا . وأنبت أنكوما لأنه لم يصارحنى بمشاكله، وكان يستطيع أن يطلب منى المال لا سيما وأنه يستحق مرتبه أول الشهر . وسرنى أنى عرفت سبب معاملته الجافة وأنها ليست بسببى .

عيد ميلاد تاكيسى اله الدولة :

وفى صباح عيد ميلاد تاكيسى أخبرنى أوزو أن خطاباً جديداً قد وصل من أكرا وأن كلا من كورتنى هينى ونيفاهينى ينتظراننى فى مكتب النانا لمناقشة ما جاء به فاتجهنا إلى هناك وبعد المقابلة اتجه الشيخان إلى أكروفروم ليخبرا النانا عنه . بينما ذهبت مع أنكوما إلى هنسوا Hanswa حيث كنت على موعد مع من كان روح نانا كوازى تاكيا Kwasi Takyia وكنت فى حاجة إلى بعض التفاصيل الخاصة

بطقوس لروح ملك (معنى الروح هو نفس المعنى الذى كان عند قدماء المصريين لكلمة كا) وبعد الظهر كنت أعمل فى الاستراحة مع شيخ عجوز هو كوامى نيامى kwaame Nyame الذى كان إلى جانب النانا يعرف كثيراً عن تاريخ مملكة بونو . فى الساعة السادسة اتجهت إلى المدينة وإلى معبد تانو . إذ وجهت إلى الدعوة لاشتراك فى الاحتفال بتاكيسى تانو الكبير إله دولة تكيمان الذى يحتفل بعيد ميلاده .

واجتمع جميع الشيوخ والملكة الأم أمام المعبد وجلسوا كما اعتادوا أن يجلسوا فى نصف دائرة حول منصة الإله ، الذى يرتفع ثلاث درجات ؛ وكان القربان موضوعا عليه ومغطى لأن ولادة تاكيسى الثانية لم تحدث بعد ، إذ سوف يحتفل بها يوم رأس السنة وهو يوم الاثنين القادم . وبعد أن حييت جميع الشيوخ والملكة الأم ، جلست على مقعد خصص لى بجانبها . وأتى كبير كهنة تانو الجديد وانحنى أمامى وكان رجلا عجوزاً يبدو عليه الحزن على عكس الكاهن السابق كوفى موسى الشاب الجميل ذى الشخصية الجذابة . وتمتم الكاهن الأعظم بصلاة وصب القربان فى جفنة مملوءة بزيت النخيل ومرت الجفنة علينا ليرتشف كل منا جرعة . وصعد كل واحد الينا ليحيينا ووقفوا حولنا . وبعد برهة رقصت الكاهنات فى الضوء الخافت الذى كان ينبعث من المصباح وتكلمت الملكة الأم والشيوخ ، وكان الجو مرحا . وكأنما كان كل واحد يتمتع بهذا الليل الدافئ فى هذا الاجتماع ، وأخيراً رقص الكاهن الأعظم لتكريمهن . وكان طول الليل يحاول أن ينفرد بى ليخبرنى عن الإله . وسمح لى أن أقدم وأنظر إلى الذخيرة وطلب من الناس أن يحيونى . وفى الساعة التاسعة انتهى الاحتفال وعاد كل واحد إلى منزله . وفى المدينة كان الاحتفال بآبو يجرى كل يوم بالغناء والرقص بعد يومين من عيد ميلاد تاكيسى وأسبوع من النكيفى.

كان يوم الجمعة (اليوم الكبير للاساءة) الذى يقال إنه يوم نشاط الحزن والرغبات الشريرة التى يخفيها الإنسان فى نفسه سراً ويقاوم ظهورها بطريقة سحرية . ولتجنب ذلك يسمح لكل شخص بأن يقول فى صراحة ما يظن أنه يفكر فيه فى جيرانه وحينئذ يستطيع إهانتهم دون عقاب على ذلك بل يستطيع إهانة النانا والملكة الأم . ففى هذا اليوم يجب على النانا إذا كان حاضراً أن يخوض معركة فى الشوارع مع كورونتى هينى وكل منهما محمول على أكتاف رجاله . يعاونه رجاله وكل منهم لابس ملابس الحرب التاريخية ومسلح بالعصى ، والمخالب . فهذه المعركة يقال إنها تطرد الشعور القديم بالعداء . وهو الشعور الذى ظهر حين جاء أشراف بونوماتشو ليحكموا فى تكيمان . بعد أن تحطمت مملكة بونو مجردين من كل قوة أسرة الأمير تاكى النانتية مؤسس المدينة والجد الأكبر لكورونتى هينى والمعركة تخليد لهذه الحادثة التاريخية .

ولما لم يكن النانا مستطيعاً الحضور ، فقد عقد اجتماع فى منزل جياز هينى. وعندما وصلت كان الفناء مكتظاً بالناس وقد وقفوا جماعات يتكلمون ويشربون . وكانت الملكة الأم قد صحبت الصغير كوابينا . ولما رآنى جرى إلى وأخذ بيدى ومكث معى. وجعل يخبر كل من رآه أننى زوجته . وقد سرنى أن رأيته قد شفى وأن جسمه أكبر من سنه . وبعد نصف ساعة قدم أوز وليخبرنى أن رسولا من قبل النانا يريد أن يرانى وهو ينتظرنى فى المكتب وذهب كوابينا لحظة إلى أمه التى أرادت أن تعطيه شراباً لأنه كان يظن أنى سأعود بعد لحظة وتركت الجماعة دون أن أحييهم كانت رسالة النانا تنطوى على دعوتى للذهاب إلى أكروفروم حالا لأن خطاباً عاجلا وصله من الدكتور دنكوا فى أكرا وقد أخبرنى اوزو عنه ولكنى فشلت فى أن أرى كورونتى هينى الذى حمل الخطاب إلى النانا فرحلت إلى كروفروم ومعى أوزو .

وعند عودتي وقفت السيارة أمام القصر لينزل منها أوزو فأعطيت رسالة بأن الملكة الأم ترغب في رؤيتي العاجلة . فاستدعيت أنكوما من المكتب وذهبنا إلى منزلها . واعتذرت الملكة عن إزعاجي ولكنها ضحكت حين أخبرتني أن كوابينا قد أزعجه اختفائي المفاجيء من منزل جياز هيني ، فأخذ ينتقل من شخص إلى شخص سائلا عن زوجته وما زال حتى الآن قلقاً . ولذا رأت السيدة أن تستدعيني ليراني . وهي تشكرني لو سمحت له برؤيتي ، فمس ذلك نفسي . فإذا ما استدعى الطفل جرى إلى صارخاً : زوجتي زوجتي . فاعتذرت له عن تركي إياه دون أن أودعه . ولكنه لم يسمع إذ ظل محتفظاً بيدي بين يديه مما اضطرني إلى أن أطيل المكث معه .

وفي مساء اليوم التالي ، اجتمع رجال القصر كلهم تترأسهم الملكة الأم . في نصف الدائرة التقليدية أمام القصر ، وجاء القوم في صف طويل لتحيتها ومعها الشيوخ وجلست إلى جانب الملكة الأم ، وبيننا كوابينا الذي سمح له بالحضور . ورقصت الكاهنات لتسلية الناس . وقد بالغت إحدى الكاهنات الصغيرات في تحيتي ولم ترد أن تتركني حين دخلت حال اللاشعور فظلت راقدة أمامي ممسكة بساقي بين ذراعيها حتى إذ قامت أتت الكاهنة الأخرى التي كانت أمسكت بي محيية في اكروفروم عند ميلاد الإله لتحيتي بطريقة جديدة . فكان علي أن أقف فأخذت يدي اليمنى بين يديها ورفعتها إلى أعلى ، ثم دارت في رشاقة حول نفسها . وجعلت رأسها يستند لحظة إلى صدري ، وعرفت أنها طريقة قديمة للتحية ذات مغزى خاص . ولكني لم أستطع أن أفسرها .

وكان اليوم التالي هو يوم الأحد الذي أقيمت فيه آخر طقوس احتفال أبو ، في شكل فخم أمام القصر . وعلى طول الطريق الرئيسي ، ولكن غياب النانا جعل الحاضرين من الشيوخ قلة ،ورقص بعض كهنة تانو بين الناس،وفي يوم الاثنين ذهبت

إلى اكروفروم لأحيي النانا وأتمنى له حظاً سعيداً ، في العام الجديد ، الذي بدأ هذه الليلة .وأبدى سعادته لرؤيتي وأخبرني أن لديه مفاجأة لي سيخبرني أخيراً عن أسماء وأعمال أسلافه من الملوك الذين عاشوا قبل أسامان Assaman الذي أسس مملكة بونوما سنة ١٢٩٨ فكانت تلك مفاجاءة حقيقية لي ، لأن هذا كان ذا أهمية عظمى لعملي ، فقد وعدني بذلك عدة مرات من قبل ولكن شيئاً كان يمنعه . ولما كان ضروريا أن لا يستمع أحد إلى مايقال، فمثل هذه الأساطير يجب أن تظل سراً، أخلى النانا المنزل المقابل من الناس وسألني أن أذهب إلى هناك ومعي أنكوما وسيلحق بي بعد أن يتناول فطوره ، وكان ذلك أمراً غير عادي ، ولكني فعلت كما أمر ، وجلست مع أنكوما إلى مائدة في غرفة مفتوحة الجدران أمام الفناء ننتظر ، وبعد قليل قدم خادم وفرش غطاء على المائد ووضع صحنين وسكيناً وإناء كبيراً مملوءاً بالأناناس والبرتقال والموز . وبعد أن فرغنا من الطعام نظف الخادم المائدة وجلس معي أنكوما تنتظر قدوم النانا . ومضت ساعة وبدأ القلق يستبد بي فطلبت من أنكوما أن يذهب ليرى الأمر ، فربما يكون النانا قد نسي . وجعلت خلال ذلك أجوس حجرات المنزل المهجور . وبعد عشر دقائق أو نحو ذلك عاد انكوما يبدو عليه الانزعاج إذ لم يفتح له أحد الباب رغم قرعه عدة مرات ، فعدنا معاً إلى منزل النانا وتابعنا قرع الباب ، ولكن لم يفتحه أحد . فنظر كل منا إلى الآخر فلا بد أن شيئاً مزعجاً قد حدث ، للنانا .

ولا بد أن كل من حوله كان مشغولا معه . لقد قدم جياز هيني ليراه بعد تركي أياه مباشرة ، فأي أخبار يحملها ؟ فكل الأخبار السياسية يجب أن تمر بي . فأي شيء جديد أزعج النانا . وظننت نفسي قد عرفت السر حين ظننت أن جياز هيني قد أخبر النانا بهربي من الدغل المقدس حين سمع أنه سيخبرني عن أسلافه الملكيين ، فألح على النانا أني لست أهلا لهذه المعلومات . ولكن أنكوما استبعد هذا (حين

كاشفته به) بينما كنت متأكدة من هذا الظن . أليس من المفروض أن يخبر جياز هينى النانا بكل شيء ؟ وفكرت فى حفلة الرقص الذى حدث فى منزل سانا هينى والذى أعلن النانا فى نهايته تعيينى ملكة أماً ، وكيف أخبروه بعرض الزواج الذى تقدم لى والذى أساء النانا به الظن . فظننت أن لا بد أن يكون جياز هينى عدواً له . فتساءلت هل هو ضدى أو ضد النانا حتى أنه لا يحمل له هذه الأنباء إلا فى أوقات معينة . وانزعج أنكوما من جرأة ما افترضته . وشعرت وأنا واقفة فى الشارع المهجور مع أنكوما مثل شعور أدم وحواء حين طردوا من الفردوس . ولم أدر ماذا أفعل ، هل أعود ؟ وبينما كنا نتناقش . فتح الباب وظهر خادم وشرح له أنكوما الموقف فأجاب الخادم أن النانا قد أوى إلى سريره . ودخل ليستطلع الأمر بينما ظللنا واقفين وبعد دقائق عاد الخادم ليحمل رغبة النانا فى أن نعود إلى المنزل .

وعدنا إلى المنزل نفكر . وجلسنا أمام المائدة مرة أخرى . حيث كنا منذ ساعة فى غاية السعادة . وعاد الخادم مرة أخرى ومعه زجاجتان من البيرة أرسلهما النانا ترضية لنا عن انتظارنا رسالة منه تقول إنه ليس فى حالة تسمح له بالعمل الليلة .

ليلة رأس السنة عند نهر تانو

وبعد ظهر أول أيام السنة الجديدة اجتمع كهنة الإله الذين يعتبرون أبناء لتاكيسى مع قرابين آلهتهم فى معبد إله الدولة . وبعد إجراء طقس قصير حملت ذخيرة تاكيسى إلى الفناء على رأس كاهن إلى حيث كان صف طويل من الكهنة يحمل أغلبهم ذخائر آلهتهم . وجاء الكاهن الذى يحمل ذخيرة تاكيسى ماشياً تحت مظلة الدولة لأن تاكيسى كان ابنامو تانو إلى دولة تكيمان .

وسار صف الكهنة فى الطريق الرئيسى ذاهبين آيبين ثلاث مرات وجماهير الشعب تتبعهم بينما اصطفت بقيتهم على جانبى الطريق تراقب الموكب . وعندما قدم الظلام استدار كاهنان لتانو إلى الميدان العام أمام القصر لتحية الملكة الأم ، والشيوخ ولتحيتى . وكنا مجتمعين وجالسين على شكل نصف الدائرة ، وصلى الكهنة الصلوات المختلفة وسكبوا القرابين التى تقدم للسنة الجديدة وغاب كاهن الإله آتى كوسى Atikosi عن وعيه ، وهو أحد كهنة تانو من تانوسو . وقال : إن الدولة إذا وقفت موقف الحزم وحافظت على وحدتها فستجرى الأمور على أحسن حال . ثم حث الناس على وضع ثقتهم فى شخصى لأنى سأخلص تكيمان التى ستنتصر فى النهاية . وحينئذٍ انتظم جميع الكهنة فى موكب ليذهبوا إلى احتفال التطهير ، عند الدغل المقدس على ضفتى نهر تانو . غير بعيد عن المكان الذى يعبر فيه النهر طريق سنيانى ولم يكن يسمح لأحد بالذهاب معهم سوى الملكة الأم . وهى طبقاً للطقوس الآلهة الأم المتجسدة للقمر ، قد أشرقت على بعث تاكيسى وأبنائه . ولكنها لم تذهب وطلبت منى أن أقوم مقامها وكان ذلك شرفاً كبيراً لى . فقبلته بسرور .

وكان على الكهنة الذين حملوا ذخائر الآلهة والآخرين الذين فى خدمة تانو ، أن يتقدموا أولا فإذا ما اختفوا عن الأنظار تكون موكب آخر من كهنة آلهة تكيمان الأخرى - إذا كانوا قد قدموا زائرين - وانضم انكوما إليهم . وكانت ليلة حالكة الظلام غاب قمرها . وسرنا خلال ممر ضيق فى الغابة مليىء بالحفر وأعجاز الأشجار المقطوعة ، وسار إلى جانبى أحد حملة المشاعل . ولم يكن المشعل غير حزمة من أوراق النخيل . ولذا كان الضوء خافتاً ، ولكنى كنت قد حملت بطاريتى من العربة وقد سرنى ذلك فأمسكت بها أمامى . وبالرغم من ذلك تعثرت أكثر من مرة لأنه كان علينا أن نسير على مهل مع الآخرين .

وبعد مسيرة ربع ساعة ، وصلنا إلى مدخل الدغل المقدس ، حيث قادنا ابرافوهينى

رئيس احتفالات تاكيسى ومساعدوه . وكانوا راقدين عبر الطريق . وقد أمسك
ابرافو هينى فى يده سكينا من حجر الصوان Fliot يغطيها دم الضحية . كما أمسك
مساعده سكينا حديدية قديمة قد غرست فى قطعة من السيام الحديث الطبخ وإلى
جانبهم نار تحترق وإلى جانبها الإناء الذى طبخ فيه السيام . وأبقانى ابرافو هينى فى
الخلف ليشرح لى لماذا كان هدرافوا هناك ولكنى لم أكن أستطيع أن أفهم كل شىء .
وعرفت أن السكين الصوانية ترمز إلى الضحية (١) ، والسيام إلى الهبة التى
كانت قديما فى الدغل ولكنها تقدم الآن فى معبـد تاكيسى (٢) وحينئذ أخبرنى
ابرافو هينى لماذا أصبحت هذه البقعة من الغاب مقدسة ففيها أظهر تاكيسى نفسه
إلى الأمير الفانتى أفيا وابن ملك بونو سنة ١٦٦٠ وأخبره أنه يريد أن يعبده أهل
تكيمان .

وحينما دخلت ومعى أنكوما الرحبة التى فى وسط الدغل على ضفة النهر كان جميع
الكهنة قد جلسوا على الأرض مع كل منهم ذخيره إلهه . ورسموا فى جلستهم شكل U
رمز الحمل لأن تاكيسى وأولاده سيولدون من جديد للقمر الإلهة الأم ، وقد أعطيت
مكاناً فى مواجهتهم وبجانبى أنكوما الذى جلس على الأرض كالآخرين . فى مواجهة
الكاهن الذى يقود الطقوس مكان كاهن تاكيسى الأعظم الذى لم يكن قد نصب بعد
على الرغم من انتخابه (٣) .

وكان كل شىء معداً لبدء الطقوس حين شعرت أن شيئا ما يعضنى عضا مؤلما .

---

(١) من المعروف من طقوس مماثلة تتصل بالآلهة كنتوا مثلا أن الحيوان الطوطم للمعبود يضحى به بسكين حادة .

(٢) فى العادة ليس للآلهة معابد فى المدن . ولكنها تعبد فقط فى دغلها .

(٣) لم يكن كاهن تاكيسى الجديد قد نصب فى المعبد ولذا لم يكن له الحق أن يترأس هذا الطقس الهام .

وحين تضايقت أخبرت أنكوما لأن الحشرات المدارية قد تكون سامة . فأخبر هذا
رئيس الكهنة دون أن يجيبنى فأوقف من فوره الطقوس حتى استتر وأتخلص من
الحشرة فشكرته أبلغ الشكر ، وذهبت مع أنكوما إلى مخبأ عند مدخل الدغل وهناك
اكتشفت نملة محاربة ذات حجم كبير ورأيت أخريات سائرات على حذائى الطويل
الذى ألبسه لتجنب لسعات الناموس . فكان على المسكين أنكوما أن يركع أمامى ليقتلها
واحدة واحدة بينما أمسك بالبطارية . وعندما عدنا وجلسنا نظف المكان من النمل .
وسرد أنكوما ماحدث باختصار ، وعندما سمعت كلمة (نكران) N'Kran التى
أعرف أن معناها نملة انفجرت قائلة (نملة هائلة) فما عندنا فى النمل فى إنجلترا صغير
طيب، فضحك جميع الكهنة ولكن رئيسهم قطع ضحكه وأعطى شارة الابتداء.

فقام كاهن من فوره وذهب إلى ضفة النهر ، وهناك تلا صلاة فى صوت مرتفع
(أن السنة قد استدارت ، فلتكن السنة الجديدة مليئة بالخير) وتبعه بقية الكهنة ونزلوا
إلى النهر يغتسلون ليتطهروا ، بينما اكتفى آخرون ببل وجوههم وأيديهم . وبينما كان ذلك
يجرى فى تانوكوا Tanokwa جاء كاهن مساعد من كهنة تانو وملأ حوضا كبيراً بماء
النهر، ومنه ملئت أوان صغيرة بها جير أبيض وأوراق من نبات (الأوديرا) لأجل
التقديس . فأخذ كل واحد من الكهنة أحد الأوانى الصغيرة وحملها إلى حيث كانت
ذخيرته . وكشفوا جميعاً عن ذخائرهم ومسحوها من الخارج بهذا المزيج . كل واحد
بثلاث خطوط أفقية وثلاث خطوط رأسية متقاطعة معها . ليظهروا أنها قدست
حديثا . ووضع بعض الكهنة من المزيج على وجوههم بخط يبدأ على جباههم من منبت
الشعر حتى قنطرة الأنف . وحينئذ أخذ المتكلم باسم تاكيسى مكانه بجوار النهر ليتلو
الصلاة الرئيسية من أجل صالح الدولة وشعبها كما صلى ليهلك أعداء تكيمان . وحينئذ
اقتلع تانوكوا نبات السدم وأعطاه إلى الكاهن الذى يقوم بالصلاة فغمسه فى ماء النهر
ورش الحاضرين بالماء المقدس . ولابد أنى حصلت على كثير من البركة لأن كثيراً

من الماء أصابنى يجرى على وجهى وملابسى . وكذلك رشت جميع الذخائر : بالماء بينما كان كل كاهن يصلى صلاة لإلهه . ثم غطوا الذخائر ثانية .

وكنت وانكوما آخر من رحل . فإذا ما خرجنا من الدغل أوقد ابرافوهينى ثلاث نيران : واحدة تكريما للملكة تا كيسى ، والأخرى تكريماً للملكة الأم التى تملك الدولة كما تملك الأم ولدها ، والثالثة تكريماً للنانا وعندما رآنى أوقد ناراً رابعة تكريما لى فتأثرت من ذلك أبلغ التأثر حين رأيت نارى قد أصبحت تشترك مع نار الآلهة ، كما تشترك مع نار الدولة ونار النانا . وتطاير الشرر من حولنا واحترقت الحشائش الجافة بسهولة وحاول أنكوما أن يسحبنى إلى الخارج ، ولكنى وقفت أحدق فيها إذ إنى أحب منظر النار . وحينئذ بدأ الشجر الذى وراءنا يحترق ، وأصبح الوقوف خطراً فسحبنى ابرافوهينى من ذراعى ، وجرينا إلى حيث الأمان من خلال الفتحة . ثم وقفت ثانية وتلفت ورائى ورأيت نارى تمتد فى الغابة عبر الشجيرات الصغيرة أصبحت العودة مستحيلة فقد أغلق مدخل الدغل . فاستحال علينا أن نعود من الطريق الذى جئنا منه فتبعنا الكهنة فى سيرهم إلى طريق آخر يؤدى إلى الطريق الرئيسى إلى سينانى .

وكانت ليلة مجيدة فقد ظهر القمر بازغا بينما كانت النجوم ترصع صفحة السماء ، فكان سيراً جميلا خلال الليل الدافئ ، ولم تكن هناك من حاجة الآن لنسير فى موكب أوصف مادام الطريق واسعا فسرنا جماعات والكهنة يتحدثون معا فى أصوات عذبة ، منهم من يتوقف بين الفينة والأخرى ليحدث من وراء ، وفجأة انفجر أحدهم ضاحكا ، إذ قال كوفى ووزو Kofi Wusui كاهن كروبو الذى أعرفه جيداً ، قصة لابد أن تكون قد استدعت الضحك . فسألت انكوما أى نكتة هذه ولكنه لم يخبرنى . إلا أن الكاهن الصغير حضه على أن يقولها لى ، فشعر انكوما بالإحراج فكان أن بدأ يقول : فى هذا الصباح قابل الكاهن كوفى ووزو مسيحيين يقولان إن نانا قد أصبح تقليداً قديما

(دقة قديمة) ، وعليه أن يوقف كل هذه الأعمال مع الأسلاف ، كما يوقف جميع العادات الوثنية مثل أبو . إن ذلك عار على ساحل الذهب الحديث . فغضب كوفى ووزو وبوسيها وذكر أنه سيخبر النانا عنها .

فسألت عن السبب فى الضحك من هذه القصة فقال انكوما : إنه لا يستطيع أن يترجم السباب ، إذ أن الكاهن الصغير قد نطق بسلسلة عن عبارات السباب كانت سبب انفجارهم ضاحكين . وسمعنا بعد ذلك من بعيد من يقــول أفرى هيا باو Afori hyia. pao أى سنة سعيدة لكم ، وأخذنا نغذ السير نحو المدينة .

وفى فناء المعبد كانت تانو هيما وبعض الكاهنات ينتظرن فى صف واحد ، فاجتزنا الهبات التى كانت الفانوهيما قد أعدتها ، وهى جفان كبيرة قد ملئت باليام المهروس ، ومعها زيت النخيل أو بدونه (فوفو) وثلاث أنواع من البقول والخضروات الأخرى . ودخلنا الغرفة الرئيسية فى المعبد وكانت عارية وقد رصت فيها ذخائر الآلهة بجوار الجدار . وأقيمت إلى اليمين ذخيرة تا كيسى فى منتصف الجدار على مذبح ذى أربع درجات من الطين مستند إلى عرش ذى خمس أرجل ، وعروش الكهنة العظام السابقين وقد سودت مثل ذخيرة أولاد تا كيسى ، وأقيمت على مكان مرتفع قليلا عن الأرض ؛ وكشف عن جميع الذخائر ، وجعلت مستعدة للتقديم ، وحينئذ نادى ابرافوهينى بأسماء وألقاب تا كيسى ، بينما كانت الطبول تقرع والفانكوا يملأون الأحواض الصغيرة بالقرابين ويضعونها أمام الذخائر . وتليت الصلوات وسكبت القرابين ولكن لم تقدم تضحيات ، ولولا مرض النانا لكان من الواجب أن تذبح الخراف فى صباح اليوم التالى .

وبعد قليل تركت الحفل ومعى أنكوما ، وكنا على وشك أن نخطو إلى الطريق الرئيسى حين أوقفنا نيفاهينى والمتكلم باسم الملكة الأم ، ومعهما آنية فضية مما يدل

على أنهما كانا فى مهمة رسمية . لشد ما دهشت عندما عرفت أنى المعنية بهذه المهمة فقد أعلن أن نملة قد لسعتنى، فأرادوا أن يعبروا باسم الدولة عن عميق عطفهم . ولم أدر ماذا أقول ، وشعرت بالخجل ، وظننت فى أول الأمر أنهم يتفكهون ولكنى رأيتهم جادين ، فشكرتهم فى لطف على قدر ما استطعت .

وسرت إلى سيارتى حين قلت لأنكوما فى مرارة : غداً ستتكلم المدينة كلها عن قصتى ، ويؤلفون عنها الأغانى ، فانزعج أنكوما من هذه الفكرة ، ففى ذلك ما يشيننى . ففى الأيام السابقة لم يكن يحدث ذلك ، وكان القتل من نصيب من يجرؤ على ذلك .

وعندما رآنى كوينى قادمة قفز من السيارة وفتح بابها وقال : سيدتى ، سمعت أن نملة لسعتك . هل أستطيع أن أهديك مرهم المنتول ؟ وبدأ يبحث عنه فى جيوبه .

وفى الاستراحة فكرت فيما كنت أستطيع أن أفعله فى هذا الموقف أفضل من ذلك ، فلم يكن هناك غير طريقين : إما أن أقاسى صامتة وأنا أرى طوابير النمل تزحف إلى حذائى . وإما أن أفعل ما فعلت . وأسوأ من هذا كله أن يحدث هذا وأنا أمثل دور الملكة الأم .

الفصل السابع

مارس

تويميا : القرية الملكية

كان على أن أذهب مرة أخرى إلى ونكى ونكورانزا لأسبوع . كم شعرت بالسعادة حين عدت إلى تكيمان والاستراحة التى أصبحت بيتاً لى ، ولكن سعادتى كانت قصيرة الأجل ، فبعد ظهر اليوم التالى أرسل إلى مأمور المنطقة رسالة يطلب فيها الاستراحة لينزل فيها مطران أكرا ، فذهبت إلى اكروفروم لأخبر النانا ، فلم يستطع أن يفهم معنى هذه الرسالة ، إذ من عادة المطران أن يقيم فى مبنى البعثة الكاثوليكية . وظن النانا أن المأمور يريد منى الخروج من تكيمان ، فربما أرادت الحكومة أن تعاقب تكيمان من أجل معركة تانوسو ، وليمنعنى المأمور من التدخل اقترح إخراجى من الاستراحة ؛ فصمم النانا على رفض ذلك ، ولكن بعد أن فكر لحظة دعانى لأن أقيم بضعة أيام فى بيت ابن عمه فى نويميا ، فأدهشنى ذلك ، فإن نويميا هى القرية الملكية التى لا يسكنها غير أعضاء الأسرة المالكة وقد قبلت الدعوة بكل سرور .

وفى اليوم التالى حزم سانتوس وكويتى كل حاجياتى ، وذهبنا بالسيارة ومعنا أنكوما إلى نويميا فى روح عالية ، فتتبعنا أولا طريق سنيانى لثمانية أو تسعة أميال ، ثم انعطفنا إلى اليمين فى طريق فى الغابة يقودنا إلى القرية ، وبعد ميل ونصف الميل خلال الغابة وصلنا إلى نويميا . ونويميا التى لم أكن أعرفها ، تختلف كثيراً عن القرى الأفريقية ، فلا شك أنها المقام الملكى. وكان بها خمسة عشر منزلا قد بنيت أحسن بناء

على أنهما كانا فى مهمة رسمية . لشد ما دهشت عندما عرفت أنى المعنية بهذه المهمة فقد أعلن أن نملة قد لسعتنى، فأرادوا أن يعبروا باسم الدولة عن عميق عطفهم . ولم أدر ماذا أقول ، وشعرت بالخجل ، وظننت فى أول الأمر أنهم يتفكهون ولكنى رأيتهم جادين ، فشكرتهم فى لطف على قدر ما استطعت .

وسرت إلى سيارتى حين قلت لأنكوما فى مرارة : غداً ستتكلم المدينة كلها عن قصتى ، ويؤلفون عنها الأغانى ، فانزعج أنكوما من هذه الفكرة ، ففى ذلك ما يشيننى . ففى الأيام السابقة لم يكن يحدث ذلك ، وكان القتل من نصيب من يجرؤ على ذلك .

وعندما رآنى كوينى قادمة قفز من السيارة وفتح بابها وقال : سيدتى ، سمعت أن نملة لسعتك . هل أستطيع أن أهديك مرهم المنتول ؟ وبدأ يبحث عنه فى جيوبه .

وفى الاستراحة فكرت فيما كنت أستطيع أن أفعله فى هذا الموقف أفضل من ذلك ، فلم يكن هناك غير طريقين : إما أن أقاسى صامتة وأنا أرى طوابير النمل تزحف إلى حذائى . وإما أن أفعل ما فعلت . وأسوأ من هذا كله أن يحدث هذا وأنا أمثل دور الملكة الأم .

الفصل السابع

مارس

تويميا : القرية الملكية

كان على أن أذهب مرة أخرى إلى ونكى ونكورانزا لأسبوع .

كم شعرت بالسعادة حين عدت إلى تكيمان والاستراحة التى أصبحت بيتاً لى ، ولكن سعادتى كانت قصيرة الأجل ، فبعد ظهر اليوم التالى أرسل إلى مأمور المنطقة رسالة يطلب فيها الاستراحة لينزل فيها مطران أكرا ، فذهبت إلى اكروفروم لأخبر النانا ، فلم يستطع أن يفهم معنى هذه الرسالة ، إذ من عادة المطران أن يقيم فى مبنى البعثة الكاثوليكية . وظن النانا أن المأمور يريد منى الخروج من تكيمان ، فربما أرادت الحكومة أن تعاقب تكيمان من أجل معركة تانوسو ، وليمنعنى المأمور من التدخل اقترح إخراجى من الاستراحة ؛ فصمم النانا على رفض ذلك ، ولكن بعد أن فكر لحظة دعانى لأن أقيم بضعة أيام فى بيت ابن عمه فى نويميا ، فأدهشنى ذلك ، فإن نويميا هى القرية الملكية التى لا يسكنها غير أعضاء الأسرة المالكة وقد قبلت الدعوة بكل سرور .

وفى اليوم التالى حزم سانتوس وكويتى كل حاجياتى ، وذهبنا بالسيارة ومعنا أنكوما إلى نويميا فى روح عالية ، فتتبعنا أولا طريق سنيانى لثمانية أوتسعة أميال ، ثم انعطفنا إلى اليمين فى طريق فى الغابة يقودنا إلى القرية، وبعد ميل ونصف الميل خلال الغابة وصلنا إلى نويميا . ونويميا التى لم أكن أعرفها ، تختلف كثيراً عن القرى الأفريقية ، فلا شك أنها المقام الملكى. وكان بها خمسة عشر منزلا قد بنيت أحسن بناء

على جانبى طريق رئيسى، ولم يكن بها دكاكين أو مخازن، ولا أولاد يلعبون فى الطرقات
أو دواجن أو ماعز وكانت هناك فى نهاية البلدة سوق تقام مرتين كل أسبوع
وكان على أن أقيم مع أوهينيا (ابن الملك) كوابينا ايزى Kwaben Esi الذى كان
يملك آخر منزل على يمين الطريق الرئيسى من تكيمان ، وكان جالساً مع أفراد
أسرته الكبيرة فى فناء منزله ينتظرنى ، فرحب بى بحرارة وقدم لى مقعداً إلى جواره،
ودعا بقية أسرته لتحيتى ومعظمهم من النساء، بين زوجاته وبناته الكبيرات، وأيضاً
بعض شقيقاته ، ومن بين الذكور أبناؤه الكبار وبعض إخوته الصغار ، فأحدث
وجودى شعوراً غريباً بين الأطفال إذ لم يكونوا قد رأوا أوروبية من قبل ، فخاف
بعضهم وجهى الأبيض ، وبدأوا يبكون ، فكان ذلك مصدر سرور للجميع . وإذا
ما انتهت الدهشة، وقامت معظم النساء والأطفال، أعرب اهينيا عن أسفه فقد ماتت
ابنته فى اكروفروم منذ ثلاثة أيام بعد أن اعترفت أمام الكاهن أنها كانت ساحرة
وأنها ارتكبت جرماً إذ تمنت موت شخص ، ومات هذا الشخص لسوء حظها .
وقد انتهت الجنازة إذ لابد من دفن السحرة بسرعة . وبالرغم من ذلك قدم
الناس ليعبروا عن عطفهم مما سبب سعادته ثم استمر يحدثنى عن ابنته التى تركت
وراءها طفلة عمرها تسعة أشهر هى التى كانت تصرخ حين رأتنى. فكانت هذه الطفلة
عزاء له . إن أحداً لن يحدث الطفلة عن أمها ولحسن الحظ لن يصل إلى الطفلة
شئ من العار .

وبعد قليل أخذنى اهينيا إلى المنزل المقابل . الذى يخص الملكة الأم . لأحيى
أوديكرو Odikro (الرئيس) كواكو أداى Kwaku Adae وأصحاب المنازل
الأخرى وآخرين كانوا مشوقين لرؤيتى.

وعدنا ثانية حيث أرونى غرفتى وسررت منها . إذ كان لها نافذة ذات قضبان
تطل على حارة وعلى عكس الاستراحة، أستطيع هنا أن أغلق الباب . وكان بالغرفة

سرير ومائدة و (فوتيل) ذو وسائد وكرسى للزوار . بل كان بها حوض غسيل
على قاعدة ودولاب صغير ، وقد زينت الجدران ببضع صور فى إطارات لأصدقاء
رب البيت الذى أعطانى غرفته ، وبالقرب من النافذة وضعت صور لمناظر الحرب
انتزعت من مجلة (Sphere) مشبوكة بالدبابيس ، واحدة منها لجندى يضع يده
حول خصر فتاة شقراء فى ثوب صيفى ، وكان وجه الجندى ممزقاً ووضع مكانه وجه
شاب أسود ، كما كان هناك صفحة كاملة من نفس المجلة ، وفيها بدت النساء الألمانيات
فى صحبة جنود الحلفاء على شواطئ [بحيرة] فانسى Wannsee الرملية [قرب برلين]
ولم يكد سانتوس يضع سرير السفرى الذى أفضله -- لسهولة وضع كلة عليه ،
على سرير صاحب البيت — حتى قرع الباب ودخل أصحاب المنازل ليردوا زيارتى
وكان على أن أخرج لأثرثر وأشرب معهم فى الفناء ، وعدت إلى غرفتى لأقرأ قليلا
قبل الغذاء . وكان الغذاء قد تأخر لأنه لم يكن هناك مطبخ أو موقد أو مائدة
لسانتوس ، هذا إلي أن النساء قد تضايقن من وجود رجل أجنبى بينهن ، وأخيراً
أعطى ركناً وكانوناً ليطبخ عليه . وبعد أن انتهيت من تناول الغذاء دخل كويتى
الغرفة منزعجاً ، وقال : « نسيت السيدة أن تسأل عن دورة المياه » . فقلت : إنى لم
أفعل لأنه لم تسنح فرصة لذلك، ولابد أنهم سيروننى إياها دون أن أسأل عنها، ورجانى
كويتى ـــ وقد ارتفعت حواجبه من فرط الدهشة ـــ أن أترك له فرصة خدمتى فى أمر يشعر
أنه على جانب كبير من الأهمية فوافقت وارتاح . وعاد بعد برهة مع أنكوما
وشقيق أو هينيا وشخص آخر من أفراد الأسرة ، وسألونى أن أصحبهم ليرونى
مكانه، فتبعتهم وقد أكدوا أهمية الأمر : وسرنا خلال المجمع ، والفناء المحاط بالغرف
التى كانت غرفتى إحداها ، ثم إلى فناء آخر يستخدم كمطبخ ، وإلى آخر فيه غرف
الخدم ، حتى وصلنا إلى المدخل الخلفى ، واجتزناه إلى الغابة الخارجية . وسرنا
طويلا خلال الأشجار فى أرض غير ممهدة حتى وصلنا كوخاً صغيراً لا يزيد عن مساحة

بيت الكلب مبنى من سعف النخل وليس له باب ، ولكنه محجوب بمهارة
وأشار كويكى إلى حفرة عميقة فى وسطه وقال (هذا هو ياسيدتى) فشكرت شقيق
اهينيبا لهذا التقدير الذى أبداه لى ، وسألته أن يحمل شكرى وسرورى إلى اهينيبا
وأبديت إعجابى بالطريقة التى بنى بها ، مما أراح كل إنسان !

وحين عدت مجتازة الفناء قابلت كاهن تانو وكان من رجال الجيش السابقين ،
وكنت لطيفة معه لأنى حدست أن يكون هو الذى أقام دورة المياه ، فهو الشخص
الوحيد الذى يستطيع ذلك ، والفضل فى ذلك لمرانه فى الجيش . وكان لدهشتى
بادى الصحة ، فقد رأيته منذ اسبوعين خلال رقصه . وقد غاب عن وعيه وارتمى
دون حراك على الأرض بذراع متصلبة مرفوعة إلى السماء ، وظل كذلك حتى حمل
فى غيبوبة إلى منزل داخل المجمع .

وسألنى اهينيبا أن أعالج ذراعه ، ووعدته أن أفعل ، دون رغبته فى ذلك .
فقد أصابت شوكة كفه اليسرى ، وسببت تسمما فى الدم ، وتورم ذراعه حتى كتفه ،
فنصحته بالذهاب إلى المستشفى فى سنيانى . وكانت حالته تدعو إلى ذلك ، ولكنه
كان لا يطيق سماع ذلك، فطلبت ماء ساخناً وأحاط بى جميع أفراد العائلة وأنا أفك
الأربطة وكانت من أوراق أشجار الموز القذرة وقد ربطت بخيط قذر كذلك .
ووضعت ذراعه حتى المرفق فى الماء الساخن نصف ساعة وبعد أن أضفت إلى الماء بعض
« الديتول » كما كنت أضيف ماء ساخناً من حين إلى آخر . وعالجت الجرح بصبغة
اليود . وربطته وحرقت أوراق الشجر القذرة والخيط ، وكان ذلك موضع دهشة
العائلة .

وبعد قليل وصل رسول من نيفا هينى يسأل عما إذا كنت قد وصلت فى سلام، وهل
أنا مسرورة بغرفتى ومضيفى ؛ وكان على الرسول أن يعود من فوره ليخبر سيده الذى

عليه أن يبلغ النانا . ولما كان من الضرورى للرسول أن يرى كل شىء ، فقد أريته
غرفتى وما بها من سرير وكرسى والمائدة التى أستطيع أن أعمل عليها كما أريته المطبخ
وقدمته إلى سانتوس وقد عهد إليه بما أهدى إلى من الدواجن واليام والبيض
والطماطم والموز ، وكان هذا كافياً ليوم واحد إذ تعهد مضيفى بالغذاء يومياً وذكر لى
بصراحة إنى ضيفته .

وانصرف الرسول فذهبت لأستريح ساعة أو نحو ذلك ، ثم أردت أن أصطحب
سانتوس لنسير قليلا خلال المدينة ، وكان سانتوس يشعر بنفسه غريباً إذ رأيت عينيه
— حين أحضر لى الشاى — أكثر حزناً من المعتاد ، وأكثر من هذا أنه يشعر
بحنين إلى زوجاته وأولاده وإلى ما اعتاده من الصيد فى نهر النيجر وإلى وطنه ،
وواسيته بأن أكدت له أنه فى خلال شهرين سيبدأ رحلة إلى قريته . وشعرت
أنه من الواجب أن أواسى كويكى أيضاً وأخذته معى فى جولتى الثانية إذ كان هو
الآخر يشعر بحنين إلى بيته بعد شهرين قضاهما معى متجولا ، وأخبار منزله
غير سارة إذ قبل ذلك بأسبوع جاءه خطاب من زوجته فذهب إلى اكرا ليراها ،
مخافة أن تكون قد وقعت فى حب أحد . ويؤسفنى إذ لم احتفظ بخطابها
أو أنسخ صورة منه لأنه كان قد كتب بواسطة أحد الكتبة فى لغة انجليزية شاعرية ،
أخبرته فيه تفصيلا كيف أن جاراً لها حاول أن يلعب معها دور المحب وكيف أنها
قاومت محاولته حتى الآن ، ولكنها تخاف أن تخذلها المقاومة وتضعف أمام
كلماته المعسولة ، ولذا دعت زوجها المحبوب إلى العودة سريعاً ليدركها قبل أن تقع .
وقد عملت جهدى لأهدئه ، ولم أرد أن أتركه يذهب إلى أكرا ، ونصحته أن يرسل لها
برقية يخبرها فيها أن تذهب إلى والديه لتقيم معهما حتى يأتى إليها ، وقد وعدته فى برقية
خالصة الرد أن تفعل ذلك ، ولكنه ظل منزعجاً لئلا يتبعها الرجل ، أو أن تجد أيضاً

في مستشفى سنياني فأردت أن أرى استمارة المستشفى ، ولـكن كان كل ما عرفته
منها أنها كانت تتردد على العيادة الخارجية ، وكشف عليها الطبيب مرة واحدة .
فأدركت من ذلك أن حالتها — مهما كانت — ليست سيئة ، وربما كان مرد آلامها
طبيعة هسترية ، فسألت كويكى أن يحضر لى الدواء الفرنسى الذى كنت قد اشتريته
من سوق نكورانزا ، وزجاجة من الماء وقطعة من الصابون .

وصببت بعض النعناع على بعض الماء وأعطيته للمرأة لتشربه ، فهدأت بعد لحظة
ثم بدأت تصرخ وتتأوه مرة أخرى ، فركعت إلى جانبها أضرب ظهرها العارى
بيدى وأنا أكرر بصوت أقرب إلى الغناء : إنك ستكونين أحسن حالا قريباً ،
أحسن حالا ، أحسن حالا . وأخيراً هدأت واستلقت ساكنة ، وجعلت أربت على
ظهرها بيدى و أنا أقول : نامى نامى ، حتى أغلقت عينيها ونامت بعد أن استرخت
تماماً . وتوقفت لحظة أريح فيها يدى ، ولـكنى لاحظت فى رعب أننى استعملت يدى
اليسرى، اليد الشريرة — اليد التى تستعمل فى السحر الأسود — فجعلت أتلفت حولى
لأرى ما إذا كان أحد قد لاحظ ذلك ، ولـكن الناس وقفوا دون حراك كالتماثيل
يحملقون بعيون فارغة إلى بعيد . ثم عدت أنظر إلى المرأة المستلقية عند قدمى ، وقد
بدت راضية ، فوجدتها قد تحركت قليلا لتستريح فى نومها ، فانحنيت عليها فوجدتها
قد نامت ، فتلفت حولى .. ولم أعد قادرة على أرى هؤلاء الذين لا يبصرون .

وسألت كويكى أن يخبرهم بعد أن أذهب أن المرأة بخير ، وتركتهم بسرعة ، وبعد
دقائق كان كويكى يسرع إلى غرفتى ليخبرنى أن الناس قد حملوا المرأة إلى منزلها
وأرقدوها على السرير ، وأنها استيقظت لحظة وابتسمت فى سعادة، وإنها الآن نائمة.
ولم أكد أنتهى من فطورى حتى قدم وفد يمثل زوج الملكة الأم ليشكرنى على
علاجى العجيب .

وكان على أن أزور النانا لعلى آتى منه بخبر وكذلك نانا يا أما Nana Yaa
Amaa إحدى عجائز الملكة الأم ، لمزيد من المعلومات عن طقوس الجنازات .
فى الساعة الرابعة عدت إلى تويميا Twimea وكنت على وشك أن أتناول غذائى
عندما أخبرونى أن هناك سيدة تريد أن ترانى ، فاتجهت إلى الباب حيث وجدت شابة
رقيقة تحيينى فى خجل ، وقدمت لى سلة مملوءة بالبيض ، وقالت شيئاً لم أفهمه ، فدعوت
كويكى الذى ذكر لى وهو مندهش أن السيدة اهى (الميتة) التى عالجتها أمس فى
الطريق ، وأنها جاءت لتشكرنى ، فنظرت إليها فى دهشة إذ لم أستطع أن أتبينها
فالوجه الذى رأيته بالأمس كان منتفخاً من البكاء والألم ، ثم عرفت بعد ذلك أنها
الزوجة الأولى لزوج الملكة الأم وأن لها منه ثلاثة أبناء ، وقد أنجبت رابعاً منذ
ثلاثة أسابيع . ولما كانت الملكة الأم قد استحوذت على زوجها ، فلم تترك له فرصة يتحول
عنها ، شعرت الزوجة الأولى بهذا الإهمال شعوراً قوياً . فـكأن مرضها هذا
ـ كما تبينت ـ لم يكن غير احتجاج صارخ على ما هى فيه . فوعدتها بأن أراجع زوجها ،
لأنه لابد سيصل فى اليوم التالى ، بعد أن أبلغ بما حدث فى الصباح ، كما أنى فى نفس
الوقت أعطيتها زجاجة (نعناع) لتعالج نفسها إذا ما عاودتها النوبة .

وخرجت المرأة وجاء دور اهينيا ليعالج يده ، وكان الماء الحار معداً ، ولشدة
دهشتى وجدت ذراعه وقد عادت إلى حالتها الطبيعية ، فقد ذهب الورم تماماً ، والجرح
يكاد يختفى ، وإذا كانت هناك معجزة فهذه . فلم أفعل سوى أن استبدلت الضمادات ،
وأخبرته أن يغير على الجرح كل يومين لأنه من الضرورى حماية الجلد حتى يتجدد .

وكان اليوم التالى هو الأحد ، فاستيقظت مبكرة لأن بعض المارة كانوا يغنون أغنية
حزينة كانت تنتهى بكلمة كواى Kwae ومعناها تذكر . وانضم إليهم آخرون
خرجوا من منازلهم . حتى إذا وصلوا إلى كنيسة الميثودست لأجل قداس الأحد خفتت
أصواتهم فلم تعد تصل إلى .

وفى الساعة التاسعة ذهبت إلى تكيمان ، فقابلنى أوزو الذى أبلغنى أن لديه بعض الخطابات الهامة من كوماسى ، ولا بد أن أراها ، فاتجهنا معاً إلى أكروفروم لتسليمها إلى النانا ومناقشة ما فيها معه ، وكانت الساعة قد بلغت الرابعة حين تناولت غذائى فى تزيميا .

وفى صباح اليوم التالى، تركت القرية الملكية على أن لا أعود إليها ، إذ كان على أن اذهب إلى نكورنزا لأشهد اليوم الأخير من احتفالات أبو فى سيسمان ، فعندما مررت بالاستراحة رأيتها خالية وعلمت من النانا أن المطران لم يمكث غير ليلة واحدة قضاها فى مبنى البعثة مع الآباء ثم غير خطته .

عودتى الى تكيمان

وعدت إلى تكيمان مرة أخرى . فقصدت أولا مكتب البريد لأبحث عن خطابات لى ، ولكن قبل أن أسأل الموظف ، جذبنى أحد الناس من ذراعى برفق فاستدرت إليه فوجدته يقول (إنك المسيح — أخى مريض. ويمكنك مساعدته)[1] فاحتججت وأفهمته أنه أخطأ شخصيتى ولكنه لم يبال ، فلم أجد بداً من أسأله عن مكان أخيه ، فأشار إلى شاب شبه مغمى عليه يعتمد بجسمه على حائط مكتب البريد ، فرأيت أنه من الضرورى أن أعمل له شيئاً ، فتحسست جبهته بيدى ، وكانت حارة فلا شك أن حمى أصابته ولكنى لاأستطيع أن أقول إن كانت ملاريا أو التهاباً رئوياً ، فسألته عما إذا كان المريض قد تناول الكينين ولما كانت الإجابة سلباً ، استدرت إلى موظف البريد لأحصل منه على بعض منها ، إذ كان فى الإمكان الحصول على الكينين بالمجان من أى مكتب بريد ، ولكنى لسوء الحظ لم أجد منه شيئاً . وتذكرت

---

(١) هكذا يراد تصوير الرجل الأبيض والمرأة البيضاء وصرف النظر عن مخازى الاستعمار. ومشكلة هذا الكتاب الكبرى هى الفكرة الرئيسية التى على أساسها اختارت ما ذكرته من أحداث لنكون منها الصورة الكاية لنظرتها إلى إفريقية . (المراجع)

(صيدلياً) منزله على بعض خطوات من الطريق ، فسألت الرجل أن يأتى معى ، ولحسن الحظ رأيت محله مفتوحاً ولديه أربعون حبة .

وكان المعنى الواضح لذلك أنه أخذ كينين مكتب البريد مجاناً وأخذ يبيعه للناس القرص ثمنه شلن . فغضبت لذلك ورفضت أن أدفع الثمن ، وأخيراً اتفقنا على نصف شلن ، وفتحت كيس نقودى فوجدت فيه قطعة من ذات عشرة البنسات . فأعطيتها إياه ، وأبدى استعداده لإحضار الكينين ودرت بعينى فى أرجاء الدكان ، فوجدت بعض الأدوية على رف بينما احتوى الآخر على بعض الصابون والبودرة والمراهم وبدا لى أن هذا الصيدلى لا يربح كثيراً ، وكان استنتاجى صحيحاً لأن الرجل لم يشكرنى . وكان المريض وأخوه يتابعان مناقشاتى ويستحثانى بقلق . ولما كان مايعرفه من الإنجليزية محدوداً فأغلب الظن أنه لم يفهم كثيراً منها ، وإذا فهمها فلم يكن معه من مال قط فاعطيته الكينين وتناوله مسروراً ، ونظرت إلى الصيدلى أرجوه أن يخبر الرجل فى لغته أن يتناول المريض ثلاث حبات كل يوم فى الصباح والظهر والمساء ولا يزيد . فمنذ أيام يسيرة أصيب أوكيام والد إيفا بالملاريا وأعطيته أنبوبة كاملة من كينين مكتب البريد ، وأكدت عليه وعلى أسرته أن لا يتناول غير ثلاث حبات كل يوم وفهم كل فرد فى الأسرة شيئاً غير ما فهمه الآخر . وكان أن أخذ المريض ٦٠ حبة فى جرعة واحدة فكاد يغمى على حين سمعت . وظل الرجل يومين كما قال أوكيام بونج أصماً وقلبه يدق فى سرعة هائلة كأنه فى سباق . ولكنه قاوم هذه الأعراض وانتهت الملاريا .

وعدت إلى مكتب البريد أبحث عن رسائلى وجرائدى هناك ، فاندفع إلى رجل وكان يلبس لباساً قطنياً رخيصاً ، وقد رفع أحد طرفيه على رأسه فصنع لها غطاء حجب معظم وجهه ، فإذا ما نظرت إليه رفع عن وجهه الغطاء ودهشت حين تبينت

أنه الكاهن الأعظم لتاكيـى المبعد (كوفى موسى) ، فحييته بحرارة إذ كنت مسرورة حقاً لرؤيته ، فكانت حرارة اللقاء مبعثاً لتغيره ، إذ عادت إليه ثقته فى نفسه ورشاقته التى ذهبت عنه . لقد عاد سراً إلى تكيمان ، ليزور أمه العجوز وليرى مرة أخرى معبد الإله الذى كان بمثابة حياته . وأخذت مرة أخرى بجماله الذى لم يكن دائماً ظاهراً ، إذ كان يبدو فى بعض الأحيان وخاصة حين كان ينظر إلى أسفل قبيحاً ، وكثيراً ما تعجبت أى نوع من الرجال هو ، إذ لم يبد منه يوماً أنه كان متديناً كغيره من الكهنة العظام ، الذين أعرفهم ، حتى ليستطيع الإنسان بأن يصفه أنه أحد أمراء الكنيسة إذ كان دائماً فخوراً بأجداده وبملكة الخطابة التى يملكها ، وبشعوره بجاذبيته الشخصية . وعندما تركنى نظرت وراءه إذ كان وهو ذاهب إلى منفاه ، مرفوع الرأس ، شخصية فريدة فى طريق واسع خال .

ومن مكتب البريد ذهبت إلى مكتب النانا لأحصل على آخر الأنباء ، وفرح أوزو للقائى ، وقدمنى إلى رسول وصل لتوه من أكرا ومعه حقيبة ملأى بخطابات ، هى صور من الملفات السرية للحكومة صنعها كاتب اشتبه فى أن النانا قد استأجره لذلك. فنظرت فيها باهتمام . وتثبت من أن الحكومة لم تستقر بعد على رأى فى شأن إبعاد النانا وتاريخه ، فصممت على أن أذهب إلى أكروفروم لأعطيها للنانا وسررت حين علمت أن أوزو سيصحبنى .

وإذا ما وصلنا وجدنا النانا فى الغرفة الأمامية ، وفى خلال حديثه ألح على أعضاء مجلس دولته أن يضبطوا أعصابهم ، فلا تؤثر عليهم دعاية الناصرين للأشانتى فى يوبودوم. حيث احتدم الشعور السياسى على أثر موت المغتصب. وطلب منى النانا أن انتظره فى الفناء حتى ينتهى من عمله إذ ما زالت أمامه مناقشة بعض أمور محلية مع المجلس ، وبقى أوزو مع النانا .

وفى الفناء أحضر لى خادم كرسياً ، ولما لم يستطع أن يحضر وسادة له ، اتجه بكل بساطة إلى غرفة نوم النانا ، وأحضر وسادته لأجلس عليها ، فاعترضت على ذلك ولكن الخادم واسمه انتو Anto أفهمنى أن لا حرج فى ذلك. وآنتو هذا خادم يبلغ السابعة عشر من عمره ، وهو زوج اخت بجيم هينى Bogm hene زعيم إحدى القرى التسع ، وكان قد تنازع مع تكيمانهينى كوازى توى Kwasi Twi فهرب أهلها إلى الأشانتى فى سنة ١٩٣٥ ، وعندما كنت فى بويم فى سنة ١٩٤٦ أبدى الأهالى أسفهم على تصرفهم السريع ورجونى أن أبلغ النانا أنهم يودون الرجوع إلى تكيمان . إذا سنحت فرصة ، الأمر الذى لم يحدث بعد . هذا فى الوقت الذى عاد فيه انتو وهو مرشح للعرش إلى تكيمان ، وأعلن صراحة ولاءه للنانا ، فأدخل النانا الرجل فى خدمته وجعله صديقه فلازمه فى النهار وجعله ينام فى الغرفة الخارجية وظل أنتو يخدم النانا بإخلاص ، ولكن الشيوخ لم يوافقوا لأنهم اشتبهوا فى أن يكون جاسوساً. ولما كان النانا أمياً فكان أنتو يقرأ له خطاباته لا سيما السرية ، ويخيل إلى أن عمل أنتو كحارس ليس بذى أهمية لأنه من الصعب أن تحتفظ بسرية شىء ما فى تكيمان ، فكل واحد يعرف ما يجرى ، وكل ما فى الأمر أن النانا وجد من يعتنى به ويحيطه بالحب .

وعندما ذهب أنتو تاركا إياى ، ومعى أوراق الحكومة لقراءتها ، أشعلت سيجارة وأنا أراقب آنتو من بعيد وهو يحادث بعض زوجات النانا . ولا بد أنى لم ألاحظ عود الثقاب حين ألقيت به . إذ سقط على الوسادة فاشتعلت فيها النار قبل أن تعلق بملابسى ، ولكن أحرقت جزءاً من الوسادة ، فاريتها لأوزو حين قدم ليبلغنى أن الشيوخ قد ذهبوا وأن النانا يطلبنى ، فرجوته أن يخبر النانا انى سأحضر له وسادة جديدة فكانت فكرة شراء وسادة للقصر مضحكة للنانا . وبعد ظهر اليوم التالى ، وذهبت مع أوزو إلى قرية باميرى Bamiri على بعد ميلين من تكيمان ولم أكن

قد زرتها من قبل ، وقد دعانى زعيمها أوديكرو كوارى أسارى Odikro Kwaski Asare فى نوفمبر الماضى ، ولم أحتفل بزيارتها ، وهناك رحب بى أهلها . هاتفين . وعندما انتهى هذا الهتاف رحب بى الزعيم فى حديث طويل شكرنى فيه على الزيارة وما أديته لتكيمان ، وكيف أنى شاركت الدولة فى كل متاعبها مع الأشانتى وحكومة ساحل الذهب ، وعبر عن اعتقاده الذى هو اعتقاد الشعب فى أنى الملكة الأم نانا كروا المتجسدة ، إذ بذلت مابذلت هى فى الحرب القاسية التى دارت ضد الأشانتى فى القرن الماضى ، فكان من العدل أن أمنح اسمها . ورجانى فى النهاية أن أعتبر شعب باميرى كشعبى وأن أخلصه من الفناء ، وعندئذ قام الشيوخ واحداً بعد الآخر ومروا أمامى وسلم كل واحد منهم على والدموع تملأ عينيه راجياً أن أواصل خدماتى لتكيمان ، وأنهم من جانبهم سيصلون من أجل نجاح عملى ، وكان منظراً مؤثراً فوعدتهم أن أبذل ما أستطيع من قوة لمساعدتهم حين أعود إلى إنجلترا . وكانوا يعلمون أنى سأترك تكيمان بعد يومين على أن لا أعود سوى ساعة واحدة خلال عودتى من جيامان .

وفى اليوم التالى ، كان لى تجربة مماثلة فى بويدام Bioedam وفى كل هذه المناسبات كنت الدارسة المتممة لعملها ، وبعد الظهر وجه لى الزعيم وشيوخه مثل نانا كروا لأول مرة حديثاً اعترفوا فيه بى أما لنانا تكيمان ، كملكة أم له ، وأخيراً طلب منى الأهالى مساعدتهم لأخلصهم مما هم فيه .

وكان جميع أهالى تكيمان قد عرفوا أن الحكومة قد صممت على نفى النانا وعزل جميع الشيوخ الذين ظلوا مخلصين له ، وكان هذا الأمر لهم بمثابة النهاية ، وشعروا أننى الوحيدة القادرة على منع هذه الكارثه ، فذهبت فى اليوم التالى إلى هانسو قرية بانموهيني ثم إلى كونتنسو وبنكوا حيث ودعت جميع أصدقائى ثم إلى تويمبا لنفس الغرض ، وبعد الظهر صحبنى أوزوز لأن أنكوما كان مشغولا إلى أسيوى وكروبو وأكروفروم .

وفى أكروفروم تحادثت مع النانا محادثتى الأخيرة ، وكان قد استرد صحته تماماً ، إذ ظل معتزلا فى أكروفروم متجنباً رؤية مأمور المنطقة أوزيارته فى ونكى ، وفى نهاية المحادثة أشرت عرضاً إلى أنى لم أستطع الحصول على وقود فى تكيمان ، الأمر الذى سيترتب عليه أن لا أتمكن من السفر فى اليوم التالى ، وأخبرته أنى أردت أن أرسل كويتى إلى ونكى ليحصل على الوقود من تاجر سورى ولكن لسوء الحظ لم تكن صحة كويتى تمكنه على الذهاب ، وقد أردت أن أريحه عندما وصلنا إلى الإستراحة وقد سبب هذا لى بعض الاضطراب لأنى كنت أود أن أتبع البرنامج الذى وضعته .
ودهش النانا من ذلك ، فأى فرق بين أن أسافر هذا اليوم أو ذاك ؟ ولكنه حين عرف ماسيترتب على ذلك وعدنى أن يدبر أمر الوقود ، فالملك يستطيع أن يأمر كل الشعب فى حالة الضرورة . وقد يأمر كل فرد رجالا ونساء أن يصطفوا فى الطريق من ونكى إلى تكيمان وهى مسافة ١٨ ميلا ليحملوا صفيحة الوقود التى أريدها يداً بيد فهكذا كانت الأمور تسير فى الأيام القديمة ، فنظرت إلى النانا وعرفت أنه يفكر فى الحوض الذهبى المملوء بالماء المقدس والمعد لتطهير الملك ، فى حفلة رأس السنة ، فقد تداوله زعماء مملكة بونو يداً بيد على ظهور الجياد من منبع نانو إلى الملك فى قصره ووجدت النانا تراوده فكرة نقل صفيحة الوقود بنفس الطريقة ، فنظر كل منا أمامه كأنه يحلم ، ولكن بعد برهة عجبت من الموضوع الذى قد يريد النانا أن يتكلم فيه فاقترحت فى استحياء أن تذهب سيارة النقل إلى ونكى بعد الظهر ، فتأخذ معها صفيحتى الفارغة ، ثم يحضرها أحد أهالى تكيمان فى السيارة التى يتبرع ونكى إلى تكيمان فى صباح اليوم التالى ، ولكن النانا بالرغم من أنه تقدمي لم يستطع أن يسمع هذا بل أراد أن يقدم لى الوقود بطريقة عظيمة . إنه لشىء جدير بأن يسجل فى تاريخ تكيمان . وعلى كل حال وصلت سيارة النقل فى المساء فحلت الإشكال .

وسمح النانا لأنكوما أن يذهب معى إلى جيامان . وشكرته على ذلك . وكان

أول توقفنا فى كيرا Kyiraa وهى قرية صغيرة فى طريق سنياني حيث ذهبنا
لنرى نانا كوفى. ادوما Nana Kofi adomah أحد أعمام النانا وهوعجوز مرح
قابلته عدة مرات فى تكيمان فحملت إليه تحيات النانا . فقـــدمنى إلى كيرا هينى
Kyiraahene وبعض شيوخه الذين أعطونى معلومات قيمة عن تاريخ المدينة .
وكانت وقفتنا الثانية فى سنيانى أكبر مدن المنطقة وهى أوروبية بكل ماتعنى هذه
الكلمة فهى مقر رئيس مفتشى منطقة برونج أهافو Brong-ahafa التى تتبعها تكيمان
وقد عرفته من قبل حين زارنى فى تكيمان ، وقد سرنى أن وجدته ، إذ كنت أريد
أن أحادثه ، حيث كانت قـــوة البوليس الوطنى فى تكيمان قد حلت بأمر
من الحكومة ، وأردت أن أعرف ماوراء هذه الحركة ، وماذا تقصد الحكومة بترك
تكيمان بدون قوة من الشرطة . ونظر كبير المفتشين — وكان يعطف على تكيمان
ومتاعبها — إلى المسألة من نفس الزاوية التى نظرت بها إليها ، لكنه قال إنه لايستطيع
أن يفعل شيئاً ، إذ أن هناك نقطة قانونية ليست من صنع الحكومة قد أثيرت ، وقد
لام الدكتور دنكوا لأنه خلق سابقة فى بامو pamu عاصمة دوما وشرح لى بصبر
بواطن المسألة وظاهرها (لقد نسيتها الآن) وعلى كل حال فقد ترك أنكوما
ومفتش القوة العريف [الأومباشى] كوسى والآخرون الذين كانوا يحرسوننى
خلال الليل مناصبهم، وكان ذلك ضربة، وخاصة لأنكوما الذى شعر أنه لم يفقد الأمن
المالى فقط بل لن يحصل على عمل إن لم يترك تكيمان .

بوندوجو Bundugu :

وقد أثارتنى عودتى مرة أخرى إلى بوندوجو عاصمة جيامان لأنها المدينة الجديرة
بالرؤية ، فكثير من بيوتها بنيت على الطريقة السودانية القديمة الثقيلة وأسقفها
مسطحة وحوائطها عديمة النوافذ تشرف على الحارات الضيقة ، ولذا يستطيع الإنسان
أن يتجول فيها ، وهو يظن نفسه قد عاد إلى العصور الوسطى ، ليس فيها أى أثر

٢٤٢

لأوروبى ، ويكاد المسلمون يسيطرون على شوارعها وأسواقها على الرغم من أن الطبقة
الحاكمة من الدوما ، فقد فتحوا جيامان وعاصمتها فى القرن السابع عشر بعد أن
طردوا من أراضى الأشانتى الواقعة جنوب كوماسى ، وأسسوا المدينة ، وتعاقبت عليها
ثلاثة أجيال على أرض وهبها لهم ملك بونو ، وما زال دوما جيامان يعتبرون أنفسهم
من البونو (البرونج) ولا ينسى حكامها قرابتهم القديمة . وفى سنة ١٨٧٧ حين
نشبت الحرب بين الأشانتى وتكيمان رحب ملوك جيامان بملك تكيمان نانا
كوابينا كوفى Nana Kuabena Kofi وشعبه ، حين نقل حكومته إلى بوندوجو
طوال مدة الحرب . وفى سنة ١٩٥٠ أعلنت جيامان استعدادها لاستقبال النانا وشعبه
حين أرادت حكومة ساحل الذهب إبعاده ومعه شيوخ دولته ، وحين وصلت المرة
الأولى إلى بوندوجو فى سنة ١٩٤٦ لم يكن بها موظف فرنسى فى المدينة فقد ذهبوا
جميعاً إلى أبدجان Abidjan لحضور مؤتمر ، وحين سمع الوصى نانا ادنكرا
خبر وصولى إلى الاستراحة أرسل لى أحد حملة السيوف وحمله رسالة لأذهب إليه
وأحييه ، فى الوقت الذى كانت الطبول أمام قصره تعلن الشعب بخبر وصولى .
وجدته جالساً أمام قصره يحيط به شيوخه الذين استدعاهم ليجلسوا فى هيئة مجلس،
وكان نانا أدينكرا وسيماً مرحاً ولكنه كان أحياناً متسرعاً وكان يلبس فى رشاقة
رداءه ويتكلم الفرنسية فى طلاقة .

وسألنى عن مهمتى وعندما عرف أنى أريد جمع معلومات عن الأشانتى مانسو
وعد بكل مساعدة ممكنة ومال كل منا إلى صاحبه فى الحال ، وكنت سعيدة لصداقته
لاهتمامه بعملى ، وقد لاحظت خلال محادثاتى معه أنه كان يجلس على ركبتيه طفلاً فاتح
البشرة ، ورآنى مندهشة فناولنى إياه لألاعبه، وأخبرنى أنه ابن بنت عمه وكانت متزوجة
من أحد أبناء عمه ولكنها فشلت فى إنجاب أمير أو أميرة فضربها زوجها وطلقها ،
فتعرفت إلى تاجر يونانى فأنجبت هذا الولد ، ولما كان الطفل عند الدوما يرث

٢٤٣

رتبة أمه فإن هذا الطفل سيعتلى العرش إذا كان ولداً أما إذا كانت بنتاً فتصير ملكة أماً . ولهذا أولى نانا أدنكرا هذا الطفل وأمه شرفاً حين لعب معه .

وفى اليوم التالى تصادف أن قابلت والد الطفل . كان يونانياً شيوعياً لا يستطيع العودة إلى بلده وليس معه مال ، فسكب كل حنينه لوطنه ووحدته بين هذا الشعب الذى ربح منه ، والأميرة التى أنقذها من العار حين أنجب منها هذا الولد أحبته حباً جماً ، وكانت زوجة مدهشة إذ تعلمت منه الطعام اليونانى ، ولكنه كان قد حرم من أن يرى سماء بلاده أو شمسها وحكم عليه أن يعيش بقية عمره فى حر أفريقيا المرهق ، بين شعب لا يشعر شعوره . وحاولت جهدى أن أخفف عنه وأنا نفسى أشعر أنى اقتلعت من وطنى مثله ، ففهمته وأظهرت له عطفى وتمنيت له أن يعود إلى وطنه بالرغم من أن عودته قد لا تكون خيراً له ، كما يتصور . ومكثت ثلاثة أيام فقط مع نانا أدنكرا وشيوخه قبل أن يعود الموظفون الفرنسيون . وقد أخبرنى عن عودتهم ملازم سنغالى ، كان من أفراد فرقة الفرسان فى منزل القومندان ولكنه نصب نفسه لحراستى كى أعطيه عطية طيبة ، وأصبح الخبر حقيقة حين وصل ملازم فرنسى ليرانى فى الاستراحة وليكشف عن خبرى وعملى . امرأة بيضاء ومعها ثلاثة زنوج فى هذا الركن من العالم ، وللأسف أعطاه جواز سفرى بعض العذر لعدم الثقة فى ففيه أنى من رعايا جنوب أفريقيا ، مولودة فى ألمانيا ، مقيمة فى لندن ، وأسوأ من ذلك أن الجواز صادر من أكرا ، فلم يفهم لماذا أحمل جوازاً من حكومة ساحل الذهب ما دمت من رعايا جنوب أفريقيا ، أو بريطانية مقيمة فى لندن ، ولم ينفعه شرحى ، ولكى أضع حداً ، أخرجت له ورقة تسلمتها من موظفى الحكومة فى لندن قبل أن أبرحها تنص على أنى (ضابط) فى حكومة ساحل الذهب ، وأن أعامل على هذا الأساس . ويبدو لى أن هذه الورقة زادت الوضع تعقيداً ، فالضابط لا يكون امرأة تلبس ملابس مدنية . ظرفاء هؤلاء

الإنجليز ! لابد أن تكون قد تولدت له فكرة استخلصتها من الطريقة التى نظر إلى بها من أعلى إلى أسفل . فلا بد من أن أكون جاسوسة أو متآمرة أحاول أن أجعل جيامان تنضم إلى ساحل الذهب . وفى الواقع كان نانا أدنكرا ثائراً ضد الفرنسيين فى سنة ١٩٤٠ وهرب إلى ساحل الذهب وظل بها حتى انتهت الحرب ، ولم يفعل الضابط شيئاً ، ولكن ذلك لم يكن نهاية الأمر .

وبعد ظهر نفس اليوم جاء نانا أدنكرا وبعض شيوخه إلى الاستراحة ليمدونى ببعض المعلومات التى أردت الوقوف عليها بشأن تاريخهم ودياناتهم ، وجلسنا سعداء نشرب ونتحادث حين ظهر أمامنا ضابط فرنسى وطلب منى أن أصحبه تواً ، إذ إن السيد رئيس المركز يريد أن يتعرف إلى ، فأشرت إلى وجود زوار لدى كما يرى ، وسأكون عنده بعد ساعة واحدة ، ولكن الضابط حملق فى وصاح قائلا إن السيد رئيس المركز مفضل على الجميع ، هل لك أن تتبعينى ، وكدت أرفض لولا أن نانا أدنكرا أنقذ الموقف حين قال : نعم نعم رئيس المركز فى فريق مفضل . سأنتظر عودتك . وصمت برهة لا بسبب ما قال ، ولكن لأنه خاطبنى للمرة الأولى بضمير الجمع Vous إذ كان من عادته أن يخاطبنى دائماً بضمير المفرد Tu فالفرنسيون كانوا دائماً يخاطبون الملوك الإفريقيين والزعماء بضمير المفرد ، وهى لهجة تعود إلى القرن الثانى عشر بينما كان على الإفريقيين أن يخاطبوا الفرنسيين بلفظ الجمع . فخاف الملك أن أخاطبه أمام الفرنسى بهذا الضمير فيتدخلون لتصحيح الوضع أمامى .

وتبعت الضابط الفرنسى ، وفى خارج الاستراحة وعلى قارعة الطريق قدمنى إلى قائد المركز وزوجته وثلاثة آخرين من الضباط الفرنسيين وركبت معهم إحدى السيارتين اللتين قدموا فيهما ، ولاحظت فى تأفف أننا لم نتجه ناحية بيت القائد بل إلى خارج القرية ، وغضبت حين تبينت أنه لن تتاح لى العودة فى الوقت المناسب ، كما تضايقت من إن أحداً لم يخبرنى إلى أين نذهب ، فتبينت حينئذ أنهم يريدون خطفى .

ووقفنا على بعد أربعة أميال من بوندوجو ، أمام كشك هو بيت ميكانيكى فرنسى يملك جراجاً هناك ، وجلسنا فى حديقة ذابلة حيث قدمت إلينا المشروبات وسرعان ماساد المرح ، إذ كان المقصود اشعارى بانى زائر مرغوب فيه ، فأعطيت قنينة ملأى بالفرموت فرفضت لأنى لا أطيق هذا المشروب فى هذا الجو الحار ، فضحك القائد وحين رأيت الحاضرين ومن بينهم زوجة القائد قد شربوا نفس الكمية مثلجة جاريتهم ولم أتأثر بل ظللت متنبهة خلال أربع ساعات (من السادسة إلى العاشرة) وهى المدة التى قضيتها هناك ، وأجبت على عدد لا يحصى من أسئلتهم ليس من بينها واحد يتعلق بسبب مجيئى إلى بوندوجو ، وكل ما أرادوا أن يعرفوه كيف يحدث الحب فى جنوب أفريقيا ، فالفرنسيون يعتبرون أنفسهم أكثر خبرة فى هذا الميدان ، لما زادت الألفة سألونى هل أحب البريطانيين أم أهل جنوب أفريقيا أم الفرنسيين . فأجبتهم أنه لم يسبق لى أن أحببت فرنسيا فلا أستطيع أن أقول رأيا فى هذا الأمر ؟ فقال القائد بأنه يمكن استدراك هذا الأمر ، فأجبت : طبعاً فى باريس حيث أذهب بعد انتهاء عملى فى غرب أفريقيا[1] ولكن لن يكون فى بوندوجو ، فإننى هنا فى رعاية قوية وخدمى ينامون على الحصير خارج الباب لا يسمحون لأحد بالدخول . فارتفعت الحواجب فى دهشة إذ كان من عادة الضباط الفرنسيين والموظفين أن يجعلوا خدمهم ينامون بجوار أسرتهم فى غرف النوم الأمر الذى يزعج زملاءهم البريطانيين . وهكذا مضى الوقت ، ولما ركبت السيارة انتظرت أن يعودوا بى إلى الاستراحة ، ولكن كان هناك العشاء فى منزل القائد ، والجميع مدعوون . وبدأنا العشاء فى الحادية عشرة وجلست إلى جانب القائد وإلى يسارى بعد مقعدين جلس الضابط الذى فحص جواز سفرى ، إذا انضم إلينا فى تلك الساعة فقط .

---

(١) واضح أنه حديث مخمورين يدور بين رجال وسيدة باحثة يلتقون بها لأول مرة ! (المراجع)

وكانت الساعة قد جاوزت الثانية عشرة حين سمح لى بالانصراف ، فأوصلنى الميكانيكى صاحب الجراج إلى الاستراحة ، وحين دخلت إليها تعثرت فى جلبرت الذى كان جالساً أمام المدخل الخارجى ، وعلمت بعد ذلك من كوفى انثوم أنه انتظرنى حتى قدوم الليل ، وظل يتطلع إلى الجهة التى ذهبت إليها ، ولم يذهب كوفى إلى منزله بل ظل ينتظرنى . وذهب موشا وكان هو الوحيد الذى لم يتملكه القلق وردد قوله: « سيدتى هى السيد الأبيض العظيم ، سيدتى هى الأكثر قوه وليس هناك من سبب لأن نخاف» وروى لى كوفى ما حدث بعد أن تركتهم، فقدظل نانا أدنكرا والشيوخ يشربون وأجابوا على الأسئلة التى كنت قد وضعتها لهم . ولاحظ النانا بعد ذلك أن فرنسياً كان يقف فى ظل (الفراندة) محاولا أن يسمع كلامهم ، فدعاه وقال له: إن السيدة خرجت ، ثم دعاه إلى مشاركتهم الوسكى ، فجلس وسأل النانا عما كان يصنع مع مترجمى ، فأجابه النانا : إنى مهتمة بالسكان المسلمين فى جيامان ودياناتهم وعاداتهم، وكان هذا لسوء الحظ مخالفاً لما ذكرته للضابط حين سألنى فى الصباح وحين لم أعد حتى السابعة انفرط عقدهم ، ولم يشر الضابط بعد ذلك إلى زيارته للاستراحة رغم الفرصة التى سنحت له فى بيت القائد . كان هذا فى سنة ١٩٤٦ . ونحن الآن فى سنة ١٩٥٠ وكان الضابط من أنصار دى جول وعمل فى لندن خلال الحرب رئيساً للقوة الجوية ، ولم يكن أقل ريبة فى نشاطى فى بوندوجو من سلفه . وكان من الممكن أن أتجنب سوء الظن لو كان قد كتب إلى مسيو مونو Monoo والمسيومونى Mauny فى المعهد الفرنسى لأفريقيا السوداء فى داكار ليستوضحه الأمر، ذلك لأنى أعرفهما وكانا يعرفان عملى ، ولما كان ذلك من قبل المصادفة فإنى لم أعره عناية فى سنة ١٩٤٦ ولا فى سنة ١٩٥٠ . ولكى يعرف مزيدا عن عملى دعانى القائد الجديد إلى العشاء ذات ليلة ،ورغم أننا كنا وحدنا فلم نتكلم عن الحب أو الأمور الخاصة بل تكلم عن لندن وإعجابه بالإنجليز وأعطانى بطاقة ورجانى أن أسمح له

بزيارتى حين يكون هناك ، وكان شاعراً بقوة مركزه إذ كان يحكم منطقة أكبر من بلجيكا كما ذكر لى بلهجة ملؤها الفخر وكان واضحاً من لهجته : السيد المأمور له المكانة الأولى .

ومكثت بضعة أيام فى بوندوجو فى انتظار عودة نانا أدنكرا من ابدجان إذ كان قد أنعم عليه من الفرنسيين لموقفه العدائى لحكومة فيشى خلال الحرب وأمضيت معظم الوقت أتجول فى المدينة برفقة أنكوما أجمع بعض المعلومات وأنشىء الصداقات هنا وهناك . وكان ما أثار دهشتى مرة أخرى أن أرى أطفالا (أشقياء) إذ لم أكن أتخيل وجود مثل هؤلاء الأطفال بين الأكان ، بل كنت أتصورهم دائماً مطيعين لوالديهم ، وكان هذا نتيجة نزعة الصبر الشائعة بين كبارهم واحترامهم لأولادهم الذين سوف يصبحون أسلافاً فى السماء ، وحينئذ يصبحون أصحاب سلطة على أبائهم . هذا إلى أن المرأة عند الأكان ليست مهانة بل لها حقوق مصونة تحافظ عليها الملكة الأم التى تحكم جميع النساء .

ذهبت ذات صباح مع أنكوما لزيارة منزل كان يقيم فيه الكابتن بنجر Binger وتزينه الأن لوحة كتب عليها (كان يسكن هنا الكابتن بنجر) وهو صاحب كتاب (من النيجر إلى خليج غينيا) الذى نشر فى سنة ١٨٩٢ وقد قاتل على رأس فصيلة فرنسية الساموري الذين غزوا جزءاً كبيراً من السودان الغربى ، ولكنه وجد من وقته ما يكفى للاهتمام بتاريخ الأهالى الذين اتصل بهم ودياناتهم وعاداتهم، ولما سافرت فى نفس المنطقة التى عاش فيها وجدت ما كتبه من المعلومات والملاحظات صحيحاً : ويمكن الاعتماد عليها : فأعجبت به وسرنى أن خلدوا ذكراه بهذه اللوحة كما تحولت القاعة التى كان يسكنها فى بوندوجو إلى متحف ، وقد فعل ذلك أبناء صاحب البيت ومما يؤسف له أنه لم يكن هناك غير قبعته وسيفه والقرآن الذى كان

يدرسه كى يحسن التفاهم مع المسلمين، ولم أستطع أن أرى الأشياء الأخرى إذ كان الشيخ على ترنق Alimani Ali Trinité غائباً . ولم يكن لدى أنكوما أية فكرة عن بنجر ، وقد أخبرته عن كتابه وماذا كان يعنى فى ذلك الوقت لرجل أبيض منفرد فى أرض مجهولة ومعادية له ، ونسيت أن بنجر كان أبعد من أن يوصف بأنه كان وحيداً ، بل حاولت أن انقل إلى أنكوما بعض تجارب منجوبارك الذى سافر وحده فى سنة ١٧٩٩ وكشف السودان الغربى غير عابىء بما إذا كان سيعود حياً أم لا ، ولا بد أنى أحسنت رواية القصة لأنى رأيت الدموع فى عينى أنكوما دلالة عطفه على الرجل الأبيض الذى لقى مثل هذا المصير وأصبحت حذره من أخطائى ولكنى لم أصححها .

وحين عدنا إلى السيارة وجدنا كويتى قلقاً . إذ كانت الدموع تملأ عينيه ولا يعرف كيف يتكلم ، إذ بينما كان فى انتظارنا أحضر بعض شيوخ نانا أدنكوا رجلا عجوزاً اتهموه بالسرقة، فجلد أولا ثم أرغموه على أن يزحف على ركبتيه حول الميدان فسرعان ما دميت ركبتاه فأصبح جديراً بالرثاء ، فأدهشتنى هذه المعاملة لأنى أعرف أن الفرنسيين قد ألغوا منذ سنة ١٩٤٧ العقوبات الوحشية القديمة التى كان الشيوخ يمارسونها واستبدلوا بها الغرامات كما فعل الإنجليز ، ولا بد أنه كان منظراً مؤلماً حقاً، وسرنى أنى لم أشاهده ، إذ كان صعباً على أن أراه دون أن أثور أو أحتج، وأخيراً تركت بوندوجو دون أن أرى نانا أدنكرا وأسفت لذلك كثيراً ، إذ كنت أرغب فى محادثة أخرى مع الملك ، ولكن كان على أن ألحق بالطائرة التى تبرح أكرا فى الخامس من أبريل ؛ وكان لا بد أن أقضى بعض الوقت فى كوماسى وأكرا . وفى طريقى إلى تكيمان توقفنا بعض الوقت فى نسواكوا Nswakwa حيث كنت أود أن أصور بعض الأوانى النحاسية القديمة التى لم أكن قد صورتها جيداً خلال زيارتى الأولى فى سنة ١٩٤٦ .

وتركت نسوا كوا فى الساعة الواحدة، فوصلت تكيمان فى الثالثة، ووجدت النانا وقد استرد صحته وعاد إلى عاصمته هذا الصباح ، وكان جالساً فى جلسة مجلس الدولة ، وحين وصلت، وبعد أن رحب بى ترحيباً حاراً، وعد بأن يرانى فى الخامسة ، ولكنه لايزال مشغولا فى رد تحيات الأهالى الذين استبد بهم الفرح لرجوعه . فعول على زيارتى فى المساء فى الاستراحة ليودعنى ، وفى خارج القصر قابلت إيرتى الذى كان لدهشتى يلبس معطفاً إسلامياً طويلا (يبدو أنه جبة) ولم أستطع أن أكتم تعليق عليه فشرح لى فى فخر أن النانا هداه إلى الإسلام . وحين فكرت فى الساعات التى قضاها النانا معه حسدته عليها .

وفى المساء انتظرت النانا من الساعة الثامنة ولكنه لم يأت حتى التاسعة ، وعند انتصاف العاشرة ظهر أنكوما مع نكوانكوا هينى Nkwankwahene ياوفرمبون yao Frimpon المتكلم بلسانه كواسى تمبودوه Kwasi Timpuduoh وشربنا وانتظرنا جميعاً . وفى منتصف الحادية عشرة جاء رسول برسالة من النانا ينبىء فيها بعدم استطاعته المجىء ، ووعد بالقدوم فى الساعة السادسة من صباح الغد .

وبعد همس قصير مع نكوانكوا هينى قام أنكوما ليلقى كلمة النانا فقال مرة أخرى: إن تكيمان تدين لى لمساعدتى إياها خلال سنى صراعها من أجل حرية القرى التسع . ونظرت إلى أنكوما إذ لم أره قبل ذلك أكثر جدية ، ولكنه الآن يمثل النانا أو الدولة فكان يشعر بالمسئولية التى ألقيت على كتفيه ، وبعد نصف ساعة ورجوتهم أن يسمحوا لى بالانصراف إلى سريرى لحظة ، إذ كنت منهكة ، وإذا كان النانا سوف يقدم فى السادسة فإن ذلك معناه أن أستعد منذ الخامسة، فجلست على سريرى منعشه وجهى بماء الكولونيا محاولة أن استجمع قواى ، ثم التقطت (الإيشارب) الأزرق الذى

غسله سانتوس وكواه ووضعه مطبقاً على المائدة، وقد وعدت أنكوما به حين أرحل — إذ كان يود أن يأخذه تذكاراً منى — فحين عدت إلى الغرفة وجدت أنكوما مستعداً لأن يستأنف خطابه ، فأخذ (الإيشارب) دون كلمة ووضعه على رأسه وربط العقدة تحت ذقنه فبدا كالفتاة ، وتكلم نصف ساعة أخرى وفى نهاية الحديث ناولنى نكوانكوا هينى هدية الوداع من النانا وهى مظروف سميك يحتوى على عدة أوراق نقدية فرفضت قبولها وقلت : إنى قد تعاهدت مع النانا على أن أقدم كل مساعدة سياسية لقضية تكيمان لقاء اطلاعى على التقاليد والأساطير السرية التى أحتاجها لعملى ، وقد احترمت دولة تكيمان وملكها هذا العهد من جانبها وكذلك فعلت أنا ، كما أظهر النانا فى حديثه ، وبذلك لم يعد للمال مكان فى هذا الاتفاق .

وبسرعة أجاب نكوانكوا هينى أن النانا يعرف وجهة نظرى فى الموضوع كما عبرت عنها كثيراً ولكنى حملت إليه هدية عندما وصلت إلى تكيمان ، ومن واجب النانا أن يكون كريماً نحو صديقة محبوبة ويحب أن لا أجرح شعور النانا برفض قبول هديته ، والحق أن النانا قد توقع إنى سأتصرف هذا التصرف ولذا أرسله نيابة عنه مع أحد الشيوخ المقدسة أشخاصهم ، ما دام هو زعيما منتخباً من الشبان ، فيحق لى أن أرد عليه بما أشاء ، إذا أردت ذلك برفض هدية النانا ،وعلى كل حال ، ولديه الأوامر من النانا أن لا يرحل قبل أن يفعل ما يريد فكان هذا قلبا للأمر ، إذ كانت الساعة الحادية عشر حين تناولت المظروف وسألت نكوانكوا هينى أن يشكر النانا باسمى لحديثه ولهديته الكريمة ،ولكنى لم أستطع أن أضيف أنى كنت راغبة أن أسلم هذه الهدية الثمينة إلى الصغيرة إيفا .

وعندما انصرف نكوانكوا والمتكلم باسم النانا ودعنى أنكوما وكانت آخر كلماته (أشعر أن أمى ماتت) . ذهبت إلى السرير ولكنى لم أستطع النوم كما لم أجرؤ على تناول حبوب منومة ، إذ كان على أن أستيقظ مبكرة ولم يأت

النانا فى السادسة بل فى السابعة ، وكان يصحبه أوكيام بونج والد إيفا الثانية وانكوما ليترجم الحديث . فشكرته مرة أخرى لحديثه ولهديته بينما كان هو يتحاشى النظر إلى ، ثم تكلمنا فى السياسة الأمر الذى أشعر كلينا بالسعادة بينما كان على أن أشرب بعض النبيذ الذى أحضره النانا لى معه .

وفى منتصف الحديث وصل أوزو ليودعنى . وليقدم لى هديته دواجن وبيضاً ، لأجل الرحلة . وبعد قليل انضم إلينا أوتومانهينى وشيخان من شيوخه ، ليخبرونى عن داهية جديدة نزلت بقريتهم لقد فرض ملك الأشانتى ضريبة جديدة على أشجار الكاكاو الخاصة بعرشه وهذه الضريبة الجديدة على القرية لم يكن لها من مبرر مادام قد دفع الضرائب إلى خزينة الأشانتى عن محصول الكاكاو .

وعندما انصرف الجميع لف سانتوس وكويتى السيارة وبعد ساعة كنت فى المدينة وودعت النانا مرة ثالثةوجميع الشيوخ الذى اجتمعوا فى فناء الاستقبال ثم ذهبت لأرى الملكة الأم وفرحت حين سمعت أن كوابينا قد خرج مع والده وبذلك تخلص الطفل من ألم وداعى ، وأخيراً كنت مستعدة للرحيل ، وكان قلبى ثقيلا ، وفى الخامس من أبريل طرت إلى إنجلترا .

خاتمة

نشاطى من لندن

حين كنت فى بوندوجو أرسلت إلى المستر برايدن الموظف المختص فى محكمة النقض الخاصة نسخة من التماس تكيمان إلى صاحب الجلالة الملك ، وخطاباً من النانا وآخر منى طلبت فيه أن يتعجل رد جلالة الملك على الالتماس إذا كان معداً ، لاسيما وقد وعدت أخيراً من تكيمان بأدلة جديدة بشأن القرى موضع الخلاف ، وعندما رآنى مستر برايدن فى مكتبه فى لندن ، وأعطيته ما عندى من معلومات ، اقترح أن يرفق الالتماس بمذكرة كانت قد وصلت من وزارة المستعمرات ، فكتبت ملخصاً صغيراً بموضوع الخلاف بين تكيمان والأشانتى وأرسلت إلى وزير المستعمرات المستر جوس جونس كما أبلغته فى خطاب أن حكومة ساحل الذهب عدلت عن نفى تكيمانهينى وشيوخه إلى الخارج ، وأن شعب تكيمان قد صمم على الهجرة إلى ساحل العاج فى اللحظة التى يعرفون فيها قرار الإبعاد ، واهتم الوزير بهذا الأمر ووعد أن ينظر فى الأمر بنفسه وتم ذلك فعلا ، ولما كان النانا يريد أن أكون على بينة من كل شىء فإنه أرسل إلى صور البرقيات التى تبودلت بين وزارة المستعمرات وحكومة ساحل الذهب .

وعولت الآن على الاستفادة من خطاب وجدته فى دار الوثائق العامة فى لندن إذ كنت أبحث عن معاهدة تكيمان مع الملكة فيكتوريا . وكان هذا الخطاب قد كتبه فى أبريل سنة ١٨٩٧ المستر هل المندوب المتجول لوزارة المستعمرات يصف فيه زيارته لتكيمان . وكانت الفقرة الثانية أهم فقرات هذا الخطاب وفيها يقول إن نجوازى انشارا Ngwasi Inchare وفومان يعترفان بحدود تكيمان التى تمتد إلى امتداد

طريق بوندوجو نحو الجنوب إلى تانوسو . وفى الفقرة ٢٣ أن زعيمى نجوازى وها أنكارا وفوفان يعتبران نفسيهما تابعين لتكيمان ، وهذا يعنى أن من بين القرى التسع كانت أجوازى Agwase ونكوريا Nkurea وأفومان offuman وتانوسو كانت تابعة بصفة أكيدة لتكيمان فى هذا الوقت وأن بويم Boyen وتوبودوم Twobodom وسوبنسو Sohinso كذلك مادامت تقع على طريق بوندوجو المشار إليه بعاليه ومادام الأشانتى هينى والحكومة تدعيان أن هذه القرى قد خدمت الأشانتى حتى سنة ١٩٠١ حين — بعد هزيمتهم النهائية أمام البريطانيين — تفككت ممالك الأشانتى .

فكتبت إلى النانا عن خطاب المستر هل ، وعن معنى هذا الكشف من أجل قضيته ، وكانت الدهشة فى تكيمان هائلة إذ وصفها لى أوزو فى خطاب له يقول :

وصلنى خطابك فى ١٩ أبريل وهو يوم المونوكو Munukuo . وعندما علم الشعب الذى أتى للاحتفال بهذا العيد وكذلك أهل المدينة أنك كتبت إلى ابنك ، جروا إلى القصر وسألوا النانا (ابنك) ليخبرهم بمحتوياته ، فكان منظراً فذاً وقرئ الخطاب عليهم ولا أستطيع أن أعبر لك عن مقدار سرورهم والمدح الذى كالوه لك ، وحول الساعة التاسعة من الليل اجتمع كل النساء والشيوخ أمام القصر ليلعبوا أدابو Adabo أو نجينابا Ngyinabaa (وهو رقص لتحية الملكة الأم) طول الليل من أجل الإشادة بكشفك العجيب . ولا يوجد القلم الذى يستطيع أن يصف ما أشادوا به فى المدينة القديمة تكيمان ، وقد أطلقوا عليك الملكة الأم نانا كروا ، لا جديد فى دولتك غير هذا،أرسلنى ابنك إلى أكرا فى الخامس والعشرين مع نسخة من خطابك إلى الدكتور دنكوا الذى سر له وإن لم يعرف ماذا يقول ، سأعود إلى تكيمان اليوم وأومل أن أجد وقتاً أكتب لك فيه .

مع خالص شكرى ، نانا .

حفيدك د. ن. أوزو(١)

---

(١) كان أوزو حفيد عرش تكيمان وبهذا الاعتبار اعتبرنى الملكة الأم .

ومع أن المستر براون أفادني بخطاب المستر هل فى المذكرة فإن الدكتور دنكوا ظنه هاماً إلى حد أن استعمله فى مذكراته القانونية فكتب عريضة ملحقة مكونة من ست صفحات وقعها النانا وشيوخ الدولة لتنضم إلى العريضة الأولى المرفوعة إلى جلالة ملك انجلترا والمؤرخة فى ٢٩ يونيو سنة ١٩٤٩ .

ولم تكن بقية عام سنة ١٩٥٠ سعيدة بالنسبة لشعب تكيمان ، إذ حدثت سلسلة من الحوادث التى أزعجتهم ، وليس لنا أن نذكرها هنا تفصيلا سوى حادثه واحدة لم تؤثر فى الاتجاه العام ، فإن الحكومة — وهى فى سبيل إدخال تجربة جديدة فى الحكم وهى إنشاء المجالس الإقليمية والمجالس المحلية عاملت تكيمان كجزء من الأشانتى . (أى أنها لم تعترف بانفصال تكيمان عن الأشانتى) فأرسل النانا وشيوخ دولته برقية إلى الحكومة فى أكرا اتبعتها بمذكرة جديدة مطولة أشاروا فيها إلى أن تكيمان لم تستشر فى أمر ضمها إلى اتحاد دول الأشانتى ، وهى لا تنتظر أن تنضم إليه والتنظيمات المحلية الجديدة ، وطلبت إدارة محلية منفصلة ، وقبل كل شىء صورة من تقرير اللجنة الثلاثية المنتخبة .

وفى ديسمبر وصل الأمر إلى حد أن قام أجيمان هينى Agymanhene بادو ملك آخر من ملوك البرونج فى اتحاد ممالك الأشانتى بمعارضة الأشانتى هينى فى اجتماع عقد لمناقشة تقرير هذه اللجنة الثلاثية الخاص بتنظيم الحكومة المحلية فى أشانتى . وكتب إلى النانا بالحادثة خطاباً مؤرخاً فى التاسع والعشرين من ديسمبر قال فيه :

(خرج نانا دوماهيني وجميع مملكة الدوما من اجتماع اتحاد الأشانتى . وهو الآن (أخى) ومتفق معى ومصمم على العمل من أجل صالح البرونج وسوف ينضم بعض شيوخ البرونج إلى تكيمان ودوما .

وقد سار الأمر مع نانا دوما هينى كما يلى : —

حول الثامن والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٥٠ كان هناك اجتماع لمجلس اتحاد دول الأشانتى . (والآن مجلس الأشانتى) فى كوماسى ، من أجل مناقشة تقرير اللجنة الثلاثية بشأن الحكومة المحلية فى أشانتى .

وفى خلال الاجتماع دعى الزعماء ليعلنوا فرداً فرداً قبولهم للتقرير، ودعى دوماهينى أيضاً ليشرح وجهة نظره فقال: إن تقرير اللجنة عن الحكومة المحلية فى أشانتى وصل إلى الزعماء منذ أسبوعين أو ثلاثة فقط قبل اجتماع المجلس فلم يتح له دراسة التقرير مع دولته ، ولذا يقترح تأجيل الاجتماع ليتمكن الزعماء من دراسته مع دولهم قبل أن يقرروا قبوله ، فرفضت مذكرة دوماهينى وألحوا عليه فى أن يعرض وجهة نظره . بازداد إصراراً دوماهينى على أن تقرير اللجنة الثلاثية لم يتم الا بعد تسعة أشهر من أجل تكوين وجهة نظرهم ولذا كان من المستحيل على الزعيم ورجاله أن يدرسوا التقرير خلال ثلاثة أسابيع . وأضاف دوماهينى أن دولته قد حذرته من أن يشارك فى مناقشة التقرير ماداموا لم يدرسوه .

وخرج دوماهينى من قاعة الاجتماع واستقل عربته واتجه إلى دوما ، وكان ذلك فى الثامن والعشرين من ديسمبر سنة ١٩٥٠، وفى اليوم الثانى اجتمع مجلس الدولة دوما وأصدر قراراً بعدم الاستمرار فى عضوية دوماهينى فى اتحاد الأشانتى واستند فى ذلك الى أسس معينة أبداها فى قراره، فاجتمع مجلس الأشانتى وعين لجنة من خمسة أعضاء لمقابلة دوماهينى وتسوية الخلافات . وقد نصح شيوخ الدولة دوماهينى أن يجتمع بى فى تكيمان ، لنتحدث فى تأكيد العلاقة بين دوما وتكيمان .

وقد كتب تقرير عن زيارة دوماهينى ، ومنذ هذا الوقت لم تستطع لجنة الخمسة مقابلة نانا دوماهينى لتحاول فض الخلاف ، بل حذر مجلس اتحاد دول الأشانتى من أن دوما قد تكون تكيمان أخرى ، إذا لم يعالج الموضوع معالجة حاسمة . .

وكان شعب دوما ومجلس شيوخه أكثر تصميماً من أى وقت مضى حين بدأت مسألة تكيمان ، بل كان متحداً أكثر مما أستطيع التعبير عنه على أن يكون مع تكيمان ودولة دوسا أكبر وأكثر شأناً من أى دولة أخرى من دول برونج وسخط شعبها أعظم منذ أن أعيد ضمها إلى اتحاد الأشانتي وقد أمضى نانا دوسا هينى أربعة أيام معى هنا قبل أن يعود إلى دوسا ليعقد مجلس دولته ، وحدثنى تليفونياً اليوم ، وأخبرنى أنه سيعود سريعاً إلى تكيمان ، وهو يؤمل أن يقضى أربعة عشر يوماً هنا وسأكتب لك تفصيلات أكثر فى الكتاب التالى » .

وعلى قدر ما يظهر هذا الكتاب يمكننى أن أقرر أن نانا دوما هينى قد أظهر شجاعة مدهشة ، ولأجل تقدير هذا العمل على وجهه الصحيح يجب أن نحاول دراسة الجو الذى ساد اجتماع مجلس اتحاد ممالك الأشانتى ، وبعد هذه الحادثة سارت الأمور بسرعة ، فبعد عدة أسابيع تلقيت فى لندن برقية مؤرخة فى الثانى عشر من فبراير سنة ١٩٥١ جاء فيها « إن ملوك تكيمان ودوسا ودروبو Drobo وأبيس Abease المجتمعين فى تكيمان فى التاسع من فبراير يبعثون إليك بتحياتهم ، وأقسموا قسماً أعلنوا فيه إخلاصهم المتبادل التام وقرروا الانفصال عن اتحاد ممالك الأشانتى ، والعودة إلى اتحاد برونج كيمبم Broug-Kyempem اتحاد آلاف البرونج أو شعب البونو ، وحفظ الله زعماء برونج ، عاش اتحاد برونج (التوقيع : أوزور) ، وكان معنى هذا أن ملوك تكيمان ودوما ودروبو وإبنسى قد اجتمعوا فى تكيمان فى التاسع من فبراير وبعثوا بتحياتهم إلى وأنهم أقسموا على تبادل الثقة وقرر الملوك أن ينفصلوا عن اتحاد الأشانتى وإنشاء اتحاد برونج ـ كيمبن وبعبارة أخرى اتحاد « آلاف برونج » أو شعب بونو[1] .

(١) كان بونو — كيمبن لقب ملوك بونو القدماء.

وأعقب هذه البرقية برقيات أخرى تبلغنى أن أتيبوبو Atebubu وسوما Sume
وممالك برونج الأخرى قد انضمت إلى هذا الاتحاد الأخير ثم تسلمت جميع تفاصيل
الاجتماع والتصريحات وصور الوثائق والمذكرات وغير ذلك ليجعلنى على علم بجميع
عناصر تطورات موضوعى كما شرحها أوزو .

وكان طبيعياً أن يبعث ذلك السرور فى نفسى فلم أصدق من قبل أن شيئاً من هذا
يحدث فعدت بفكرى إلى اليوم الذى جلست فيه مع النانا وحدنا (وكان أوزو
يترجم بيننا) فى فناء الاستقبال وكان النانا فى حالة سيئة يخاف السوء لدولته ،
وحاولت أن أخفف عنه وأبث فيه التفاؤل ، وبدلا من ذلك قلت له فى قلق لماذا
لا يحاول أن يجد له حليفاً بين زعماء برونج فى صراعه وكلهم ساخط على الأشانتى
ولماذا لا يرفع من جديد شعار مملكة بونو القديمة ويجمعهم حوله وحينئذ يسلب الأشانتى
نصف أملاكهم . أنا لا أحب كلمة هزيمة ، إنها ليست من كلماتى ، إذ بعدئذ لمت نفسى
على قولى هذا ، ولا سيما وأنا أقوله لشخص يقاتل وظهره إلى الحائط ، والمسدس
موجه إلى صدره ، فكان معنى هذا أن ينقلب إلى الهجوم ، هذا ولا شك إهانة
له ، كما أنه ليس قولا عادلا ، بل يدل على الغباء ، ونظرت إلى النانا بينما كان
لا ينطق بشىء . بل جلس بعيون ناكسة إلى الأرض ، وتعجبت ماذا أستطيع
أن أفعل لأسترد كلماتى ، لم أدر فى هذا الوقت أن كلماتى الخشنة قد زرعت بذرة
فى نفسه ، بذرة قد أصبحت الآن شجرة صعبة الاقتلاع .

وفى الثامن والعشرين من فبراير أى بعد خمسة عشر يوماً من برقية الانتصار
الأول تسلمت أولى رسائل اتحاد ممالك برونج كيمبم موقعاً عليها من خمسة من زعماء
برونج تقول (لما كنت أيتها السيدة ميرفتش مستشارتنا) فقد أرادوا الوقوف
على رأيى بشأن المذكرة المرفقة التى هى موضوع برقية موجهة إلى الوزير جيمس

جريفث — الذى خلف المستر جوس جونس) احتجوا فيها على سياسة حكومة
ساحل الذهب الموجهة ضد تكيمان ، فاستشرت المستر برايدن بشأنها وأعطيتها
إلى الدكتورة ريتا هندن التى كانت آنذاك مديرة المكتب الفابى للمستعمرات ليكون
على علم بالقضية ويذكر بها المستر جريفث وكان جواب الحكومة على خلق اتحاد
ممالك برونج أكيمبم وعلى خطاب الدكتورة هندن إلى الوزارة ، هو إيقاف النانا
عن منصبه للمرة الثالثة ، وفى هذه المرة لم يهتم النانا .

وبعد ثلاثة أشهر تسلم النانا رداً على عريضة تكيمان إلى جلالة ملك انجلترا
فى خطاب مؤرخ فى الخامس والعشرين من يوليو سنة ١٩٥١ أبلغ فيه حاكم
مستعمرة ساحل الذهب نانا تكيمان هينى أن الوزارة تأسف إذ إنها لم تستطع
أن تنصح جلالة الملك باتخاذ أى إجراء بشأن العريضة حيث إنه ومستشاريه —
بعد الدراسة التفصيلية والاعتبارات الدقيقة — قد وصلوا إلى نتيجة حتمية وهى
أن تكيمان هينى قد فشل فى إقامة قضية سليمة لأجل إعادة القرى ، وامتد الخطاب
يقول إن هناك أملاً فى أن الاتجاه الحديث نحو تعديل نظام الحكومة المحلية سوف
يجعل الخلاف بينه وبين الأشانتى — إلى حد كبير — أقل ظهوراً لا سيما وقد
اقترح أن تضم هذه القرى التسع إلى نفس مجلس المقاطعة الذى ضمت إليه تكيمان ،
وأكثر من ذلك ؛ قد عينت الحكومة لجنة لدراسة الموقف الذى أوجده الخلاف
وترك لها حرية اقتراح الحلول المؤدية إلى حله .

وهأنذا آتى ببعض الفقرات المستخرجة من رد تكيمان هينى وشيوخه على كتاب
الحكومة لأنها تبين — أكثر من أى شىء آخر — كيف شعر الأهالى . حين
رفض التماسهم .

فقرة ٢ : إن شيوخى وزعماء شعبى لم يستطيعوا أن يفهموا لماذا عولجت العريضة

وملحقها على هذا المستوى . إن المذكرة الرئيسية مؤسسة على أساس معاهدة الخامس
من يونيو سنة ١٨٩٧ التى عقدت بين أسلاف صاحب الجلالة ملك انجلترا وأسلافى بشأن
دولة تكيمان. وعند تقديم هذه العريضة الأولى أثيرت الشكوك حول ما إذا كانت هذه
القرى التسع كونت فى الواقع جزءاً من تكيمان وقت عقد المعاهدة ، فسرت عليها
المعاهدة تلقائياً. وقد أثبتت المذكرة الملحقة بالدليل القاطع الذى لم يترك شكاً فى الأمر
على أنه عند توقيع معاهدة سنة ١٨٩٧ كانت القرى التسع جزءاً من تكيمان، وأصبح
الأمر ينحصر الآن فيما إذا كانت المعاهدة مرعية الجانب من الطرفين الموقعين بالقانون
الدولى العام أو بقانون الأمم وهل من المسموح لأحد طرفى التعاقد أن يسلم جزءاً
من الأملاك التى تسرى عليها المعاهدة إلى ثالث لم يكن طرفاً فى هذا التعاقد .

فقرة ٤ : أما فيما يختص باقتراح أن تكون القرى التسع تابعة لنفس مجلس
القاطعة الذى تتبعه تكيمان ، وفقاً للقانون الجديد للإدارة المحلية . وحينئذ تكون
مجلس مقاطعة واحد فإن من معى من زعماء وشيوخ وشعب لا يستطيعون أن
يصدقوا أن الحكومة تنوى فعلا إنشاء مجلس محلى للقرى التسع وهى مفصولة، شأنها
شأن تانوسو ، وهى مفصولة عن برامان Braman وسوبنسو Subinso وشأن تويودوم
وبويم Boyem وهما لا يبعدان بأكثر من خمسة أميال عن تكيمان التى هى مركزهم
القبلى . كما أن مصالحهم الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية مشتركة . إن فى ذلك
تضييعاً وتفويتاً للمصالح الاقتصادية . فكيف يكون لهذه القرى التسع التى لا يزيد
سكانها مجتمعة على ٨٩١٨ نسمة — إذا قورنت بتكيمان ذات الـ ١١ر٠٧٧ نسمة
مجلس محلى مستقل . إنها سوف لا تستطيع أن تتعاون إلى حد معقول . ولا شك
أن السكان المجتمعين الذين يبلغون عشرين ألفا سوف يكونون فى مركز أفضل يسمح
بخدمة جميع احتياجات كل تكيمان . فلا شك أن الحل الطبيعى هو أن تنضم القرى
التسع مع بعضها البعض لتكون فى نفس الوقت جزءاً من مجلس مقاطعة ونكى .

واللجنة التى عينتها الحكومة لدراسة الموقف والتى أشارت الحكومة إليها
فى خطابها عرفت باسم (لجنة التحقيق فى الخلاف الناشب بين اتحادى برونج كيمبم
والأشانتى واللذين كانا معروفين من قبل بمجلس اتحاد الأشانتى) وكان الرئيس
هو نانا أزو ماتى كولى Nana Azzu Mate Kole ملك إحدى الدول الصغيرة التى
عرف شعبها باسم أدانجمى Adangme فى الركن الجنوبى الشرقى من ساحل
الذهب ويمكن اعتباره محايداً .

وفى خطاب مؤرخ فى ٢٠ أغسطس سنة ١٩٥١ وصلنى من رئيس اتحاد
برونج أكيمبم وهو دروبوهينى نانا كوفو بوسيا جينان نوى الثالث Drobohene Nana
Kofi Busia Gyim Antwi III ليعطينى دليلا جديداً لقضيته . وقد وعدت النانا
أن أقدمه وهذه هى أهم فقراته (كتبنا إلى رئيس لجنة التحقيق فى شأن الخلاف بين برونج
والأشانتى نطلب حضورك فى اجتماعنا القادم كشاهدة إثبات لنا . وسألته أن يبلغنا عن
الوقت الذى يكون فيه مستعداً لمقابلتنا مرة أخرى حتى نبلغك لتحضرى فى الوقت
الملائم . وقد أرسلت نسخة من هذا الخطاب لك فى كتاب منفصل واتحاد برونج كيمبم
ينظر إليك كمخلص مرسل من الله (كذا !!) . نسأل الله أن يهبك الصحة والوقت
لتأتى وتخلصينا من حكم الأشانتى .

وقد اتفق معى نانا ماتى كولى الذى عرفته على هذه الخطوة ولكن الحكومة عندما
سمعت بها لم تسمح لى بالقدوم . وبعد تأخير طويل سلم التقرير إلى الحاكم فى نوفمبر
سنة ١٩٥٢ ورغم ما كتب عليه بأنه سرى جداً دبر النانا أن يرسل لى نسخة منه .
وكان قد أرسل بواسطة المستر Allassani سكرتير رئيس الوزراء الدكتور كوامى
نكروما وعضو اللجنة ومعه خطاب أشار فيه إلى أن اتجاه اللجنة كان مع البرونج .
وفى هذا الخطاب بعض فقرات تستحق الإشارة إليها .

(إن شعب البرونج عومل من الأشانتى فى الماضى بكل احتقار ممكن ، وليس هناك من فائدة فى القول إن هذا الاتحاد مع الأشانتى تاريخى ، فإنه قام فقط عن طريق القوة التى ترتب عليها التضحية بحرية وسعادته غير الأشانتى مثل البرونج .

أعتقد أن هدفنا هو إزالة الإمبريالية عن وطننا ومنح الحرية والسعادة لشعبنا وليس فقط الإمبريالية الأجنبية بل الوطنية أيضاً ، التحرر من الخوف ضرورى من أجل سعادة الناس . وإرغام هؤلاء الناس على مواصلة تعريض أنفسهم لاحتقار واستغلال الأشانتى سوف يحتل أسوأ أنواع القسوة التى تعرضهم لها ، وهذا هو السبب الذى من أجله أوصينا أن يكون لهم المجلس الذى يطلبونه) .

وبعد شهر زار رئيس الوزراء الدكتور كوامى نكروما تكيمان ليعيد افتتاح محكمة تكيمان الوطنية التى كانت قد أغلقت منذ أن أوقف النانا عن العمل فى المرة الأولى فى سنة ١٩٤٧ ، وهناك استقبل استقبالا حافلا من الشعب وألقى النانا خطاباً سأل فيه رئيس الوزراء أن يساعد تكيمان على استعادة القرى التسع كما طالب باعتراف الحكومة باتحاد برونج كيمبم ؛ أما عن دور الشعب فقد عبر النانا عن ولائه لحزب الشعب وهو الحزب الذى رفع رئيس الوزراء نكروما إلى الحكم .

أما عن نشاطى باسم تكيمان . فقد توقف منذ ذلك الوقت وإن كنت ظللت أقوم بدور المستشار فيما تلا ذلك من السنين كلما قامت المصاعب ، وأخذت ابتعد عن الصورة تدريجياً نتيجة للتغيرات السريعة حتى أصبحت عاجزة — شيئاً فشيئاً — عن إبداء النصيحة ، فحين خسر النانا قضية أرضه مع ونكى أولا أمام المحكمة العليا ثم أمام محكمة استئناف غرب أفريقيا ، رفع القضية إلى المجلس الخاص فى لندن فى سنة ١٩٥٦ حين طردت ونكى شعب تكيمان عن الأرض . وكان الفضل للمستر برايدن مندوب الاستئناف فى المجلس الخاص ، إذ كنت حاضرة حين نظر فى القضية إمام القضاة

البريطانيين المختصين ؛ ولكن شطب القضية لعدم كفاية الأدلة ، ولو كنت فى تكيمان فى ذلك الوقت لاستطعت أن أجمع تاريخ هذا الشريط من الأرض أما فى لندن فلا أستطيع أن أفعل شيئاً .

ولم يعد النانا يكتب إلى كثيراً كما كان فى الماضى بعد أن رحل المستر أفورنج ولم أكن أعرف السكرتير الجديد وتسلمت من أنكوما خطابات تعبر عن عواطفه الحارة ، وبعض البيانات حين كنت مشغولة بترتيب مادتى العلمية بينما ظل أوزو يمدنى بالأخبار حتى مرض مرضاً شديداً ، فأصبحت هناك ثغرة كبيرة فى المكاتبات ، ولكنها تجددت حين شفى ، كما كتب إلى أيضاً كل من توبودوم هينى وأدفومان هينى عن متاعبها التى لا تنتهى .

وفى سنة ١٩٥٧ استقلت ساحل الذهب ، وأصبحت تسمى غانا ، ولم تستطع حكومة نكروما أن تعيد القرى التسع إلى تكيمان من فورها وفى يوليو سنة ١٩٥٨ وسعت اتحاد برونج كيمبم حين ضمت إليه كل ولايات برونج وأطلقت عليه اسم (برونج أفاهو) ولما اعترف باتحاد برونج أفاهو نهائياً صدر به مرسوم نشر فى الجريدة الرسمية فى أبريل سنة ١٩٥٩ واعتبر الولاية الثانية فى غانة .

ونظرت قضية القرى التسع أمام زعماء هذا الاتحاد الجديد ، فأعيدت أربع قرى منها فوراً إلى تكيمان وهى تانوسو ، وتانوبواز وتوبودوم ، وبويم وكان ذلك فى أكتوبر سنة ١٩٥٩ وأعيد توبودوم هينى وتانوسو هينى إلى عرشهما ، وكانا قد أوقفا عن منصبهما منذ عشر سنوات ، ثم عادت القرى الباقية واحدة أثر الأخرى ، وأصبح النانا سعيداً واحتفل بهذه المناسبة احتفالا كبيراً .

ولكن مشكلة جديدة نشأت فى أوفومان وتوبودوم ، فحين أنشأت حكومة ساحل الذهب اتحاد ممالك الأشانتى فى سنة ١٩٣٥ ، أخذ أوفومان هينى جانب

تكيمان ، بينما أخذ جانب كوماسى أحد شيوخ أوفومان الذى يملك معظم أرضها .
بل أقسم يمين الولاء لأشانتى هينى ، ومن أجل هذا كوفئ بمنصب الزعامة ، أى أنه
أصبح زعيم أوفومان رقم (١) بينما اعتبر أوفومان هينى بواسطة الحكومة الزعيم
رقم (٢) وأراد زعماء اتحاد برونج أفاهو إلغاء إحدى الزعامتين لسبب أو لآخر
فنصر الزعيم رقم (١) وما زالت القضية معلقة ، أما من ناحية توبودوم فقد تركت
تكيمان وأعلنت نفسها مستقلة ، حين قام النزاع بينها وبين النانا بعد أن رفض الأخير
أن يدفع ديون العرش وقدرها أحد عشر ألفاً من الجنيهات ، وهى ميراث المغتصب
وخلفائه ، ولما كانت قرية واحدة ذات تسعة آلاف من السكان فقط لا تستطيع
أن تقف وحدها فلا بد أن تعود يوماً إلى تكيمان .

وفى أبريل سنة ١٩٦١ ضغط الشعب على نانا تكيمان ليستقيل ومضت سنون
من الشد والجذب كانت أكبر من أن يحتملها . وأخذت صحته تتدهور إلى حد
أن أصبحت الراحة ضرورية له فاستقال . وقبل الدكتور نكروما استقالته وكافأته
حكومة غانا — اعترافاً بخدماته — بخمسة آلاف جنيه وعضوية مجلس أكرا وكانت
الخدمة الكبرى التى قدمها النانا إلى حكومة غانا هى خلق اتحاد برونج نكيمبم الذى
مكن الدكتور نكروما من تحطيم الأشانتى وتكوين اتحاد ولايات برونج أفاهو .

وكانت التنبؤات التى حدثت فى الكهف المقدس لأسلاف النانا والتى كان قد
طلبها فى سنة ١٩٤٤ ، قد تحققت بفضل مساعدتى وبفضل التغييرات السياسية التى
حدثت فى غانة ، إذ تخلصت تكيمان من متاعبها مع الأشانتى وحكومة ساحل الذهب
وأكثر من ذلك بالكتابة عن مملكة بونو فى كتبى الأربعة حتى لأستطيع أن
أقول إنى سبب عودة بعض مجدها القديم . وإلى حد يسير كنت مسئولة ؛ عن عودة
اتحاد البرونج أو بونو . كما أعيد تنظيمه على شكل جديد وأصبحت منطقة برونج
أفاهو تعطى تقريباً جميع الأراضى التى كانت يوماً ما تحت سيادة ملوك بونو .

تقـويم

١٧٤٠ — تحطيم مملكة بونو (حول سنة ١٢٩٨) بواسطة الأشانتى ، أصبحت
تكيمان (ثانى مدن بونو الكبرى) عاصمة لدولة صغيره تابعة تسمى بونو تكيمان .
وأصبح ابن عم ملكها الأخير ملكاً لها ، وكوفئ الزعيم الخائن بافوبيم Baafo Pim
من ملك الأشانتى بولاية نكورانزا .

١٨١٠ — ثورة نكورانزا على الأشانتى . إجبار تكيمان على أن تحارب فى صفها
قوات تكيمان تأسر ملك نكورانزا انتقاماً منه لسابق خيانته . وتضحى به أمام عرش
آخر ملوك بونو . وكان ذلك على غير رغبة ملك الأشانتى .

١٨١٨ — ١٩ : حرب الأشانتى ضد جيامان ، إجبار تكيمان على أن ترسل
جيوشها وسبعة من كهنتها الأقوياء وزعماء القرى لمساعدة الأشانتى ، بعد النصر عاقب
ملك الأشانتى أوزاى بونسو بانين تكيمان لأنها رفضت أن تسلم ملك نكورانزا
الأسير فاستولى على القرى التسع والأراضى التى تخصها .

١٨٧٧ — ٩٦ : حرب تكيمان ضد الأشانتى انتصار تكيمان ، هزيمة الأشانتى
أمام البريطانيين فى نفس الوقت عودة القرى إلى تكيمان .

١٨٩٧ — معاهدة تكيمان مع الملكة فيكتوريا لضمان حمايتها وسلامها .

١٩٣٥ — حكومة ساحل الذهب (البريطانية) تؤسس اتحاد الأشانتى . دعوتها

للولايات التي كانت تابعة له إلى الانضمام إليه ، أرغم تكيمان هيني في نوفمبر على الانضمام
إلى الاتحاد كما أرغم على أن يقسم يمين الولاء لملك الأشانتي نانا برمبة الثاني الذي حرم
تكيمان من القرى السبع وهي تاتوسو وتانوبواز وتوبودوم وبويم . وأوفومان .
ونكربا وبرانام . وقريتين أخريتين . هما أجواز وسوبنسو . وهما اللتان تأسستا
على أراضي القرى القديمة ، احتجاج تكيمان ، رفض حكومة ساحل الذهب التدخل
في النزاع باعتباره مسألة داخلية يحلها اتحاد ممالك الأشانتي .

١٩٤٤ — ارتقاء النانا أ كومفي أمبياو الثالث عرش تكيمان . حكومة ساحل
الذهب تخلق منطقة إدارية تسمى تانو سوبين . تضم القرى التسع موضوع الخلاف
على أن تظل تدفع ضرائبها إلى الأشانتي .

١٩٤٧ — عريضة تكيمان إلى رئيس المفتشين في أشانتي طالبة رد القرى التسع
إليها ورفضها .

١٩٤٨ — خطاب إلى اتحاد ممالك الأشانتي ، موقع عليه من الملكة الأم في
تكيمان وجميع الزعماء والشيوخ معلنين الأشانتي أن ملك تكيمان لن يحضر اجتماعات
المجلس . ولكن في نفس الوقت أرسل خطاب آخر إلى حاكم ساحل الذهب يعلمه
أن دولة تكيمان قد قطعت جميع اتصالاتها باتحاد ممالك الأشانتي . ومنذ الآن سترفض
دفع ما عليها من الضرائب إلى خزينة الأشانتي إيقاف ملك تكيمان . نانا أ كومفي أمبياو
الثالث عن منصبه ومعه شيوخ دولته . عريضة إلى الحاكم تطلب عودة القرى التسع
وسحب أمر الإيقاف . طلب لجنة تحقيق لفحص الخلاف بين تكيمان وأشانتي ، رفض
الحكومة لهذا الطلب .

١٩٤٩ — وقف الملك أ كومفي أمبياو الثالث للمرة الثانية عن عمله ، التماس
تكيمان إلى جلالة ملك إنجلترا .

١٩٥٠ — التماس ملحق بالالتماس الأول إلى جلالة الملك ، وقف الملك
أ كومفي أمبياو الثالث للمرة الثالثة .

١٩٥١ — انفصال ولايات دوسه وغيرها من ولايات برونج عن اتحاد الأشانتي
وانضمامها إلى تكيمان تكوين اتحاد برونج كريعبم ، الإجابة على عريضة تكيمان ، إلى
جلالة ملك إنجلترا بالرفض ، حكومة ساحل الذهب تعيين لجنة تحقيق لفحص الخلاف
بين اتحاد برونج أ كريعبم واتحاد الأشانتي .

١٩٥٢ — زيارة رئيس الوزراء الدكتور كوامي نكروما لتكيمان لافتتاح
محكمة تكيمان الوطنية التي كانت قد أغلقت منذ الإيقاف الأول للنانا أ كومفي
أمبياو الثالث .

١٩٥٧ — استقلال ساحل الذهب .

١٩٥٨ — جميع ولايات برونج — وكانت تابعة للأشانتي — وبعض ولايات
اتحاد الأشانتي الأخرى تنضم إلى اتحاد برونج — أ كريعبم . الذي أصبح يسمى
برونج — أهافو .

٩/١٩٥٨ — إعادة القرى التسع إلى تكيمان .

مطابع سجل العرب

شارع بستان الدكة - ٩ عماد الدين : القاهرة

تليفون - ٩٣٢٧٠٦

١٩٦٧

م

٢٠